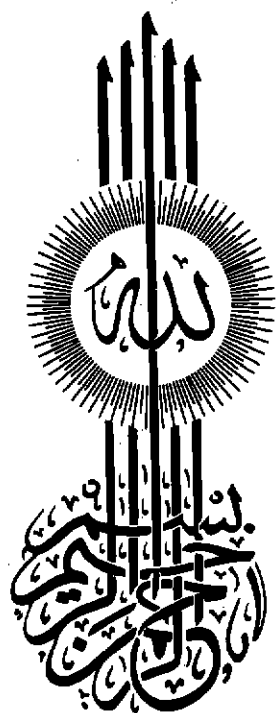


# اِنْجِيْلٌ هُوَ لَا ؟!

المجلد الخامس

عبد الملاك القاسم

دار القاسم



# وثلاث لطعامك

## المقدمة

الحمد لله الذي أنعم علينا بنعمه الظاهرة والباطنة ، وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . .

وبعد :

فإن الله خلقنا لأمر عظيم ، وسخر لنا ما في السماوات والأرض جميعاً منه ، وسهل أمر العبادة ، وأغدق علينا من بركات الأرض ؛ لتكون عوناً على طاعته .

ولتوسع الناس في أمر المأكل والمشرب حتى جاوزوا في ذلك ما جرت به العادة ، أحبت أن أذكر نفسي وإخواني القراء بأهمية هذه النعمة ووجوب شكرها وعدم كفرها .

وهذا هو الجزء «الثامن عشر» من سلسلة «أين نحن من هؤلاء؟» تحت عنوان «وثالثُ لطعامك» .

أدعو الله - عز وجل - أن يجعل ما أفاض علينا عوناً على طاعته وأن يعيننا على شكره وحسن عبادته وأن ييؤأنا من الجنة غزيراً تجري من تحتها الأنهار . . إنه سميع مجيب . وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

**عبدالمالك بن محمد بن عبدالرحمن القاسم**

## مدخل

قال الله - تعالى - : ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ (البقرة: ١٧٢).

قال ابن كثير - رحمه الله - في تفسير هذه الآية : يقول الله - تعالى - آمراً عباده المؤمنين بالأكل من طيبات ما رزقهم - تعالى - وأن يشكروه على ذلك إن كانوا عبيده، والأكل من الحلال سبب لتقبل الدعاء كما أن الأكل من الحرام يمنع قبول الدعاء والعبادة<sup>(١)</sup>.

وقال جل وعلا : ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ (الأعراف: ٣١).

قال ابن عباس : كل ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك خصلتان سرف ومخيلة.

وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : «إن من السرف أن تأكل كل ما شئت»<sup>(٢)</sup>.

وقال - تعالى - : ﴿ ثُمَّ لَنَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾ [التكاثر: ٨].

لما نزلت هذه الآية قالوا : يا رسول الله ! أي نعيم نُسأل عنه؟ وإنما هما الأسودان : الماء والتمر، وسيوفنا على رقابنا، والعدو حاضر، فعن أي نعيم نُسأل؟ قال : «أما إن ذلك سيكون»<sup>(٣)</sup>.

(١) تفسير ابن كثير (٢٠٦/١).

(٢) رواه ابن ماجه وغيره وإسناده لا يصح.

(٣) فتح القدير (٦٠٧/٥).

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « هذا والذي نفسي بيده من النعيم الذي نُسأل عنه : ظل بارد، ورطب، وماء بارد »<sup>(١)</sup>.  
 وحال نبي الأمة ﷺ في أكله وشربه تروي لنا طرفاً منه أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - حيث قالت : « ما شبع آل محمد ﷺ منذ قدم المدينة من خبز ثلاث ليال تباعاً حتى قبض »<sup>(٢)</sup>.

وعلى المرء أن يتجنب الشبع المفرط لقول رسول الله ﷺ : « ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطنه، حسب ابن آدم أكالات - وفي رواية : لقيمات - يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فنلت ل طعامه، وثلت ل شرابه، وثلت لنفسه »<sup>(٣)</sup>.

وهذا الحديث أصلٌ جامع لأصول الطب كلها.

وقد روي أن ابن ماسويه الطبيب لما قرأ هذا الحديث قال : لو استعمل الناس هذه الكلمات لسلموا من الأمراض والأسقام ولتعطلت المارشايات ودكاكين الصيدلة، وإنما قال هذا لأن أصل كل داء التخم<sup>(٤)</sup>.

وتأمل في نهاية كثرة الأكل وما يجر إليه في الآخرة؛ فعن سلمان - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « أكثر الناس شبعاً في الدنيا أطولهم جوعاً في الآخرة »<sup>(٥)</sup>.

(١) رواه الترمذي وصححه الألباني.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) رواه أحمد وابن ماجه والحاكم، وصححه الألباني في الصحيحة برقم ٢٢٦٥.

(٤) جامع العلوم، ص ٤٢٤.

(٥) رواه أبو نعيم في الحلية وحسنه الألباني.

وعن أبي - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « إن مطعم ابن آدم قد ضرب مثلاً للدنيا وإن قزحه وملحه فانظر إلى ما يصير »<sup>(١)</sup>.

وهذا أبو هريرة - رضي الله عنه - يذكر طرفاً من حال الرسول ﷺ قال :  
أتى رسول الله ﷺ بطعام سخن فأكل ، فلما فرغ قال : « الحمد لله ، ما دخل بطني طعام سخن منذ كذا وكذا »<sup>(٢)</sup>.

وصح عن النبي ﷺ أنه قال : « خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، ثم قوم يشهدون ولا يستشهدون ، وينذرون ولا يوفون ، ويظهر فيهم السمن ».

وفي المسند أن النبي ﷺ رأى رجلاً سميناً ، فجعل يومئذ بيده إلى بطنه ويقول : « لو كان هذا في غير هذا لكان خيراً لك ».

وهذا نبي الأمة ﷺ يحذر أمته من شهوة الفرج والبطن ، فعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « إن أخوف ما أخاف عليكم الشهوات التي في بطونكم وفروجكم ومضلات الهوى ».

وعن فاطمة عن النبي ﷺ قال : « شرار أمتي الذين عُذُّوا بالنعم ؛ يأكلون ألوان الطعام ويلبسون ألوان الثياب ويتشدقون في الكلام »<sup>(٣)</sup>.

وعن ابن عمر قال : تجشأ رجل عند النبي ﷺ فقال : « كف جشأك عتاً ، فإن أطولكم جوعاً يوم القيامة أكثركم شبعاً في دار الدنيا »<sup>(٤)</sup>.

وقد سئل الإمام أحمد عن قول النبي ﷺ : « ثلث للطعام وثلث

(١) رواه ابن حبان والطبراني وصححه الألباني في الصحيحة برقم ٣٨٢.

(٢) رواه ابن ماجه.

(٣) رواه البزار.

(٤) رواه ابن ماجه ، وحسنه الألباني.

للشراب وثلاث للنفس». . فقال: ثلث الطعام هو القوت، وثلاث الشراب هو القوى، وثلاث النفس هو الروح<sup>(١)</sup>.

قال المروزي: كان أبو عبد الله (أحمد بن حنبل) إذا ذكر الموت خنقته العبرة، وكان يقول: الخوف يمنعني أكل الطعام والشراب، وإذا ذكر الموت أهان عليّ كل الدنيا، إنما هو طعامٌ دون طعام، ولباسٌ دون لباس، وإنها أيامٌ قلائل، ما أعدل بالفقر شيئاً<sup>(٢)</sup>.

وعن عبد الله بن عدي وكان مولى لابن عمر، أنه قدم من العراق فجاءه فسلم عليه فقال: أهديت لك هدية، قال: وما هي؟ قال: جوارش، قال: وما جوارش؟ قال: يهضم الطعام، قال: ما ملأت بطني منذ أربعين سنة، فما أصنع به<sup>(٣)</sup>.

وسئل سهل التستري: الرجل يأكل في اليوم أكلة، قال: أكل الصديقين، قيل له: فأكلتان، قال: أكل المؤمنين، قيل له: فثلاث أكلات، فقال: قل لأهله يبنوا له معلفاً<sup>(٤)</sup>.

وحالهم في المأكل والمشرب حال المسارع إلى الخيرات متقلب بين حمدٍ وشكرٍ وإكرامٍ ضيف.

قال أبو حمزة السكري: ما شبت منذ ثلاثين سنة إلا أن يكون لي ضيف<sup>(٥)</sup>.

(١) جامع العلوم والحكم، ص ٤٢٨.

(٢) السير ٢١٦/١١.

(٣) صفة الصفوة (١/٥٧٤).

(٤) الفوائد، ص ٢٣٢.

(٥) تذكرة الحافظ (١/٢٣٠).



وذكر أن خالد بن معدان كان يقول: أكلٌ وحمد خير من أكل وضمت<sup>(١)</sup>.

وكان نوح عليه السلام إذا أكل قال: الحمد لله، وإذا شرب قال: الحمد لله، وإذا لبس قال: الحمد لله، وإذا ركب قال: الحمد لله، فسماه الله عبداً شكوراً<sup>(٢)</sup>.

### أخي المسلم:

مبنى الدين على قاعدتين: الذكر والشكر، قال - تعالى -: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢].

وقال النبي ﷺ لمعاذ: «والله إني لأحبك فلا تنس أن تقول دُبر كل صلاة: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك» وليس المراد بالذكر مجرد ذكر اللسان بل الذكر القلبي واللساني، وذكره يتضمن ذكر أسمائه وصفاته وذكر أمره ونهيه وذكره بكلامه، وذلك يستلزم معرفته والإيمان به وبصفات كماله ونعوت جلاله والثناء عليه بأنواع المدح.

وذلك لا يتم إلا بتوحيده، فذكره الحقيقي يستلزم ذلك كله ويستلزم ذكر نعمه وآلائه وإحسانه إلى خلقه.

وأما الشكر فهو القيام له بطاعته والتقرب إليه بأنواع محابه ظاهراً وباطناً.

وهذان الأمران هما جماع الدين، فذكره مستلزم لمعرفته، وشكره متضمن لطاعته، وهذان هما الغاية التي خلق لأجلها الجن والإنس

(١) السير (٥٣٢/٤).

(٢) الزهد للإمام أحمد، ص ٨٧.

والسماوات والأرض، ووضع لأجلها الثواب والعقاب، وأنزل الله الكتب، وأرسل الرسل، وهي الحق الذي به خلقت السماوات والأرض وما بينهما، وضدها هو الباطل والعبث.

قال بعض العلماء: ثلاث يمقت الله عليها: الضحك بغير عجب، والأكل من غير جوع، والنوم بالنهار من غير سهر، والحد من النوم: أن الليل والنهار أربع وعشرون ساعة؛ فالاعتدال في نومه ثماني ساعات في الليل والنهار جميعاً، فإذا نام هذا القدر بالليل فلا معنى للنوم بالنهار، وإن نقص منه مقداراً استوفاه بالنهار؛ فحسب ابن آدم إن عاش ستين سنة أن ينقص من عمره عشرون سنة، ومهما نام ثماني ساعات وهو الثلث فقد نقص من عمره الثلث<sup>(١)</sup>.

وأعرض عن مطاعم قد أراها  
فأتتركها وفي بطني انطواء  
فلا وأبيك ما في العيش خير  
ولا الدينيا إذا ذهب الحياء

قال الشافعي - رحمه الله -: ما شبت منذ ست عشرة سنة، لأن الشبع يثقل البدن، ويقسي القلب، ويزيل الفطنة، ويجلب النوم، ويضعف صاحبه عن العبادة.

فانظر إلى حكمته في ذكر آفات الشبع ثم في جدّه في العبادة، إذ طرح الشبع لأجلها، ورأس التعب لتقليل الطعام<sup>(٢)</sup>.

(١) الإحياء (١/٤٠٢).

(٢) الإحياء (١/٣٦).

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي - رحمه الله - في تفسير قوله - تعالى -: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأعراف: ٣١] جمع الله فيها أموراً كثيرة نافعة في الدين والبدن والحال والمآل، فالأمر بالأكل والشرب يدل على الوجوب، وأن العبد لا يحل له ترك ذلك شرعاً كما لا يتمكن من ذلك قدراً ما دام عقله معه، وأن الأكل والشرب من نية امتثال أمر الله يكون عبادة، وأن الأصل في جميع المأكولات والمشروبات الإباحة، إلا ما نص الشارع على تحريمه لضرره لإطلاق ذلك، وعلى أن كل أحد يأكل ما ينفعه ويناسب ويليق به ويوافق لغناه وفقره، ويوافق لصحته ومرضه ولعاداته وعدمها، لأنه حذف المأكول.

والآية ساقها الله لإرشاد العباد إلى منافعهم، وهي تدل على ذلك كله، وعلى أن أصل صحة البدن تدبير الغذاء بأن يأكل ويشرب ما ينفعه ويقيم صحته وقوته، وعلى الأمر بالاقتصاد في الغذاء والتدبير الحسن، لأنه لما أمر بالأكل والشرب نهى عن السرف، وعلى أن السرف منهى عنه، وخصوصاً في الأطعمة والأشربة، فإن السرف يضر الدين والعقل والبدن والمال. أما ضرره الديني: فكل من ارتكب ما نهى الله ورسوله عنه فقد انجرح دينه، وعليه أن يداوي هذا الجرح بالكوبة والرجوع.

وأما ضرره العقلي: فإن العقل يحمل صاحبه أن يفعل ما ينبغي على الوجه الذي ينبغي، ويوجب له أن يدبر حياته ومعاشه، ولهذا كان حسن التدبير في المعاش من أبلغ ما يدل على عقل صاحبه، فمن تعدى الطور النافع إلى طور الإسراف الضار، فلا ريب أن ذلك لنقص عقله، فإنه يستدل على نقص العقل بسوء التدبير.

وأما ضرره البدني: فإن من أسرف بكثرة المأكولات والمشروبات

انضرَّ بدنه واعتراه أمراض خطيرة، وكثير من الأمراض إنما تحدث بسبب الإسراف في الغذاء، ثم إنه ينضر أيضاً من وجه آخر، فإن من عوّد بدنه شيئاً اعتاده، فإذا عوده كثرة الأكل أو أكل الأطعمة المتنوعة فربما تعذرت في بعض الأحوال لفقر أو غيره، وحينئذ يفقد البدن ما كان معتاداً فتتحرف صحته .

وأما ضرره المالي : فظاهر، فإن الإسراف يستدعي كثرة النفقات، ولهذا قال - تعالى - : ﴿ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ۝١٩ ﴾ [الإسراء: ٢٩]؛ أي تلام على ما فعلت، لأنه في غير طريقه، ﴿ مَّحْسُورًا ۝٢٠ ﴾ فارغ اليد .

وإخباره أنه لا يحب المسرفين، دليل على أنه يحب المقتصدين، ففي هذه الآية إثبات صفة المحبة لله، وأنها تتعلق بما يحبه الله من الأشخاص والأعمال والأحوال كلها، فسبحان من جعل كتابه كنوزاً للعلوم النافعة المتنوعة<sup>(١)</sup> .

والإسراف أخي المسلم هو الزيادة التي لا وجه لها، مثل زيادة الطعام والشراب بلا حاجة .

وأما التبذير فهو: صرف الأموال في غير وجهها، إما في المعاصي، وإما في غير فائدة لعباً وتساهلاً بالأموال . .

وكلا الأمرين - الإسراف والتبذير - مذمومان بنص كتاب الله - عز وجل - . . قال الله - تعالى - : ﴿ وَلَا بُذْرَ بَذِيرًا ۝٢١ ﴾ إِنَّ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ﴿ [الإسراء: ٢٦، ٢٧] .

(١) المجموعة السعدية (٨/٤٥٣) .

وقال في الإسراف: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (٣١)

[الأعراف: ٣١].

ثم تأمل نهاية الأكل وإلى أين يصير؟ هذه مولاة لداود الطائي تخدمه، فقالت له: لو طبخت لك دسماً تأكله؟ قال: وددت، فطبخت له دسماً ثم أتت به، فقال لها: ما فعل أيتام بني فلان؟ قالت: على حالهم، قال: اذهبي به إليهم، فقالت: أنت لم تأكل أدماً منذ كذا وكذا، قال: إن هذا إذا أكلوه كان عند الله مذخوراً، وإذا أكلته كان في الحش<sup>(١)</sup>.

وكانت حالهم حال المنفق المتصدق؛ من يُقدم ولا يؤخر، وينفق ولا يقبض رغم قلة الحال وضيق ما في اليد.

هذا أبو الحسين النوري مكث عشرين سنة يأخذ من بيته رغيفين، ويخرج ليمضي إلى السوق فيتصدق بالرغيفين، ويدخل المسجد فلا يزال يركع حتى يجيء وقت سوقه، فإذا جاء الوقت مضى إلى السوق فيُظن أنه قد تغدى في بيته ومن هم في بيته عندهم أنه قد أخذ منه غداء؛ وهو صائم!!

وهذا الإنفاق وسيلة إلى التقرب إلى الله - عز وجل - بدفعه والتصدق به على المحتاجين ومساعدة المعسرين!!

قال عبيد بن عمير: يحشر الناس يوم القيامة أجوع ما كانوا قط، وأعطش ما كانوا قط، فمن أطعم الله أطعمه الله، ومن سقى الله سقاه الله، ومن كسا الله كساه الله.

يقول ابن القيم - رحمه الله -: فإن من بخل بماله أن ينفقه في سبيل الله

وإعلاء كلمته سلبه الله إياه أو قيس له إنفاقه فيما لا ينفعه دنيا ولا أخرى، وإن حبسه وادخره منعه التمتع به ونقله إلى غيره فيكون له مهنؤه، وعلى مخلفه وزره، وكذلك من رفه بدنه وعرضه وآثر راحته على التعب لله وفي سبيله أتعبه الله - سبحانه وتعالى - أضعاف ذلك في غير سبيله ومرضاته، وهذا أمر يعرفه الناس بالتجارب، قال أبو حازم: كما يلقي الذي لا يتقي الله من معالجة الخلق أعظم مما يلقي الذي يتقي الله من معالجة التقوى. واعتبر ذلك بحال إبليس فإنه امتنع من السجود لآدم فراراً أن يخضع له ويذل وطلب إعزاز نفسه، فصيره الله أذل الأذلين، وجعله خادماً لأهل الفسوق والفجور من ذريته، فلم يرض بالسجود له ورضي أن يخدم هو وبنوه فساق ذريته، وكذلك عباد الأصنام أنفوا أن يتبعوا رسولاً من البشر وأن يعبدوا إلهاً واحداً سبحانه، ورضوا أن يعبدوا آلهة من الأحجار<sup>(١)</sup>. ومن فوائد الجوع وعدم الإكثار من الأكل ما قاله أبو سليمان الداراني: إن النفس إذا جاعت وعطشت صفا القلب ورق، وإذا شبعت ورويت عمي القلب<sup>(٢)</sup>.

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى -: وأما فضول الطعام فهو داع إلى أنواع كثيرة من الشر، فإنه يحرك الجوارح إلى المعاصي، ويثقلها عن الطاعات؛ وحسبك بهذين شراً. فكم من معصية جلبها الشبع وفضول الطعام، وكم من طاعة حال دونها، فمن وقى شر بطنه فقد وقى شراً عظيماً، والشیطان أعظم ما يتحكم من الإنسان إذا ملأ بطنه من الطعام.

(١) حكمة الابتلاء لابن القيم، ص ٥١.

(٢) جامع العلوم والحكم، ص ٥١٧.

ثم قال : ولو لم يكن من الامتلاء من الطعام إلا أنه يدعو إلى الغفلة عن ذكر الله - عز وجل - وإذا غفل القلب عن الذكر ساعة واحدة جثم عليه الشيطان، ووعدته ومناه، وشهّاه، وهام به في كل واد، فإن النفس إذا شبت تحركت، وجالت، وطافت على أبواب الشهوات، وإذا جاعت سكنت وخشعت وذلت<sup>(١)</sup>.

ومع كثرة ما حبانا الله - عز وجل - به من النعم الكثيرة والخيرات العظيمة احذر أيها الحبيب أن تكون ممن قال عنهم بلال بن سعد: رُبَّ مسرور مغبون، يأكل ويشرب ويضحك، وقد حُقَّ له في كتاب الله - عز وجل - أنه من وقود النار<sup>(٢)</sup>.

أفلح الزاهدون والعابدون  
إذ لمولاهم أجاعوا البطوننا  
أسهروا الأعين العلييلة حياً

فما تنقضى ليلهم وهم ساهروننا<sup>(٣)</sup>  
قال المروزي: قال لي رجل: كيف ذاك المتنعم؟ (أحمد بن حنبل) قلت له: وكيف هو متنعم؟ قال: أليس يجد خبزاً يأكل وله امرأة يسكن إليها ويطأها؟ فذكرت ذلك لأبي عبد الله فقال: صدق، وجعل يسترجع فقال: إنا لنشبع<sup>(٤)</sup>.

وتأمل حديث الرسول ﷺ بعين فاحصة وقلب واع: «من أصبح منكم

(١) بدائع الفوائد (٢/٢٧٣).

(٢) صفة الصفوة (٤/٢١٨).

(٣) الإحياء (١/٣٦٦).

(٤) جامع العلوم والحكم، ص ٥١٧.

أمناً في سربه، معافى في جسده، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها»<sup>(١)</sup>.

ونحن في زمن مال فيه كثير من الناس إلى الإسراف والبذخ والتفاخر بالمآكل والمشارب والمراكب والمساكن. هذا الحسن يروي لنا حال من سبقنا ممن همهم الدار الآخرة ووجهتهم العبادة.. قال: أدركت - والذي نفسي بيده - أقواماً ما أمر أحدهم بصنعة طعام قط، فإن قرب إليه شيء أكله وإلا سكت، لا يبالي حاراً كان أو بارداً، وما افترش أحدهم بينه وبين الأرض فراشاً قط، وإنما يتوسد يده فيهجع من الليل، ثم يقوم فيبيت ليلته راکعاً ساجداً، يرغب إلى الله في فك رقبتة<sup>(٢)</sup>.

وقال رجل للحسن: ما تقول في رجل آتاه الله فهو يتصدق منه ويصل منه، أيحسب له أن يتعيش فيه (يعني يتنعم)؟ فقال: لا، لو كانت له الدنيا كلها ما كان له منها إلا الكفاف ويقوم ذلك ليوم فقره<sup>(٣)</sup>.

فإن مقصد ذوي الأبواب لقاء الله - تعالى - في دار الثواب، ولا طريق إلى الوصول للقاء الله إلا بالعلم والعمل، ولا تمكن المواظبة عليهما إلا بسلامة البدن، ولا تصفو سلامة البدن إلا بالأطعمة والأقوات والتناول منها بقدر الحاجة على تكرر الأوقات، فمن هذا الوجه قال بعض السلف الصالحين: إن الأكل من الدين، وعليه نبه رب العالمين بقوله وهو أصدق القائلين: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا عَمَلُوا صَالِحًا﴾ [المؤمنون: ٥١].

(١) رواه الترمذي وابن ماجه.

(٢) حلية الأولياء (٦/ ٢٧٠).

(٣) مكاشفة القلوب، ص ١٥٦.



فمن يُقدم على الأكل ليستعين به على العلم والعمل ويقوى به على التقوى فلا ينبغي أن يترك نفسه مهملاً سدىً يسترسل في الأكل استرسال البهائم في مرعى، فإن ما هو ذريعة إلى يوم الدين ووسيلة إليه ينبغي أن تظهر أنوار الدين عليه. وإنما أنوار الدين آدابه وسننه التي يزم العبد بزمائها ويلجم المتقي بلجامها، حتى يتزن بميزان الشرع شهوة الطعام في إقدامه وإحجامها، فيصير بسببها مدفعة للوزر ومجلبة للأجر وإن كان فيها أوفى حظ للنفس، قال رسول الله ﷺ: «إن الرجل ليؤجر حتى في اللقمة يرفعها إلى في امرأته». وإنما ذلك إذا رفعها بالدين وللدين مراعيّاً فيه آدابه ووظائفه.

**أخي الحبيب:**

إذا اجتمع الإسلام والقوت للفتى  
وكان صحيحاً جسمه وهو في أمن  
فقد ملك الدنيا جميعاً وحازها  
وحلّ عليه الشكر لله ذي المن  
قال الإمام الشافعي: ما شبت منذ ست عشرة سنة؛ لأن الشبع يثقل البدن، ويقسي القلب، ويزيل الفطنة، ويجلب النوم، ويضعف صاحبه عن العبادة<sup>(١)</sup>.  
وللإسلام شرائع وآداب عظيمة في جميع حياة المسلم فمن ذلك حال الإنسان في مأكله ومشربه، فإن الداعي إلى ذلك شيئان: حاجة ماسة، وشهوة باعثة.

(١) جامع العلوم والحكم، ص ٥١٨.

فأما الحاجة فتدعو إلى ما سد الجوع، وسكن الظمأ؛ وهذا مندوب إليه عقلاً وشرعاً لما فيه من حفظ النفس وحراسة الجسد، ولذلك ورد الشرع بالنهي عن الوصال بين صوم اليومين، لأنه يضعف الجسد، ويميت النفس، ويُعجز عن العبادة، وكل ذلك يمنع منه الشرع، ويدفع عنه العقل، وليس لمن منع نفسه قدر الحاجة حظ من بر، ولا نصيب من زهد، لأن ما حرمها من فعل الطاعات بالعجز والضعف أكثر ثواباً وأعظم أجراً، إذ ليس في ترك المباح ثواب يقابل فعل الطاعات وإتيان القرب، ومن أخسر نفسه ربحاً موفوراً أو حرمها أجراً مذخوراً كان زهده في الخير أقوى من رغبته، ولم يبق عليه من هذا التكليف إلا الشهوة بريائه وسمعته.

وأما الشهوة فتتنوع نوعين: شهوة في الإكثار والزيادة، وشهوة في تناول الألوان اللذيذة.

فأما النوع الأول: وهو شهوة الزيادة على قدر الحاجة، والإكثار على مقدار الكفاية؛ فهو ممنوع منه في العقل والشرع، لأن تناول ما زاد على الكفاية، نَهْمٌ مَعْرٌ، وشرٌّ مَضْرٌ.

أما النوع الثاني: فهو شهوة الأشياء اللذيذة، ومنازعة النفوس إلى طلب الأنواع الشهية، فمذاهب الناس في تمكين النفس منها مختلفة، فمنهم من يرى أن صرف النفس عنها أولى، وقهرها عن اتباع شهواتها أخرى، لئلا له قيادها، ويهون عليه عنادها، لأن تمكينها وما تهوى، بطر يطغى، وأشر يردى، لأن شهواتها غير متناهية، فإذا أعطاها المراد من شهوات وقتها، تعدتْها إلى شهوات قد استحدثتها، فيصير الإنسان أسير شهوات لا تنقضي، وعبد هوى لا ينتهي. ومن كان بهذه الحال لم يُرَجَّ له صلاح، ولم يوجد فيه فضل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - : فالذين يقتصدون في المأكل نعيمهم بها أكثر من الميسرفين فيها، فإن أولئك إذا أدمنوها وألفوها لا يبقى لها عندهم كبير لذة، مع أنهم قد لا يصبرون عنها، وتكثر أمراضهم بسببها.

يا خادماً الجسم كم تشقى بخدمته  
لتطلب الربح مما فيه خسران  
أقبل على النفس واستكمل فضائلها  
فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان<sup>(١)</sup>

ورث داود الطائي من أمه أربعمئة درهم، فمكث يتقوّت بها ثلاثين عاماً، فلما نفدت جعل ينقض سقوف الدويرة ويبيعها<sup>(٢)</sup>.

والمحاسبون لأنفسهم في هذه الدنيا يفعلون مثلما قال أبو يوسف القسولي عن نفسه : أنا أتفقه في مطعمي من ستين سنة<sup>(٣)</sup>.

وقال الحسن : أدركت أقواماً لا يفرحون بشيء من الدنيا أتوه، ولا يأسفون على شيء منها فاتهم<sup>(٤)</sup>.

أما من أسرف على نفسه وأكل الحرام ليملاً بطنه فنسوق له قولاً بليغاً لعله يتعظ به !!

(١) أدب الدنيا والدين، ص ٣٣٥.

(٢) السير (٤٢٤/٧).

(٣) كتاب الورع، عبدالله ابن حنبل، ص ١٠.

(٤) الزهد للإمام أحمد، ص ٢٣٠.

قال سميط بن عجلان: إنما بطنك يا ابن آدم شبر في شبر فلم يدخلك النار؟<sup>(١)</sup>.

وبعض الناس يقوده هذا الشبر إلى النار والعياذ بالله!!  
ولهذا كانوا يتحرّزون مما يأكلون، قال حذيفة: تعاهدوا أرقاءكم فانظروا من أين يجيئون بضربهم، فإنه لا يدخل الجنة لحم نبت من سحت<sup>(٢)</sup>.

وقال شعيب بن حرب: لا تحقرن فلساً تطيع الله في كسبه، ليس الفلاس يراد، إنما الطاعة تراد، عسى أن تشتري به بقلّاً فلا يستقر في جوفك حتى يغفر لك<sup>(٣)</sup>.

#### أخي المسلم:

للأكل آداب عظيمة علمنا إياها رسول الله ﷺ، ولا يليق بمسلم أن يأكل ويشرب من نعم الله - عز وجل - وينسى ما دلنا عليه الشرع من آداب وأحكام!!

ومن الآداب التي تجاهلها الناس وأصبحت مهجورة إما كبيراً أو جهلاً ونسياناً لعق الأصابع لقول النبي ﷺ: «إذا أكل أحدكم طعاماً فلا يمسح أصابعه حتى يلغقها» أو «يلغقها»<sup>(٤)</sup>.

ولقول جابر - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ أمر بلغق الأصابع

(١) مكاشفة القلوب، ص ١٧٠.

(٢) كتاب الزهد للإمام أحمد، ص ٢٦٣.

(٣) صفة الصفوة (٣/ ٨٠).

(٤) رواه أبو داود والترمذي.

والصحفة، وقال: «إنكم لا تدرّون في أي طعامكم البركة»<sup>(١)</sup>.  
وكذلك إذا سقط منه شيء مما يأكل أزال عنه الأذى وأكله، لقول النبي ﷺ: «إذا سقطت لقمة أحدكم فليأخذها، وليُمِطْ (ينح) عنها الأذى وليأكلها، ولا يدعها للشيطان»<sup>(٢)</sup>.

قال مسلم بن عبد الملك: دخلت على عمر بن عبد العزيز بعد الفجر في بيت كان يخلو فيه بعد الفجر فلا يدخل عليه أحد، فجاءت جارية بطبق عليه تمر صبحاني، وكان يعجبه التمر، فرفع بكفه منه فقال: يا مسلمة! أترى لو أن رجلاً أكل هذا ثم شرب عليه الماء، فإن الماء على التمر طيب، أكان يجزيه إلى الليل؟ قلت: لا أدري. فرفع أكثر منه، قال: فهذا؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين، كان كافيه دون هذا حتى ما يبالي أن لا يذوق طعاماً غيره، قال: فعلامَ تدخل النار؟! قال مسلمة: فما وقعت مني موعظة ما وقعت هذه<sup>(٣)</sup>.

**أخي المسلم:**

قرب طعامك وابذله لمن دخلا  
واحلف على من أبى واشكر لمن أكلا  
ولا تكن ساحري العرض محتشما  
من القليل فلسست الدهر محتفلا<sup>(٤)</sup>  
اجتمع مالك بن دينار ومحمد بن واسع فتذاكرا العيش، فقال مالك:

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.

(٣) حلية الأولياء (٥/٢٧٧).

(٤) ترتيب المدارك (١/٣٠٧).

ما شيء أفضل من أن يكون للرجل غلة يعيش فيها، فقال محمد: طوبى لمن وجد غداء ولم يجد عشاء ووجد عشاء ولم يجد غداء، وهو عن الله راضٍ، والله عنه راضٍ<sup>(١)</sup>.

هي القناعة لا تبغ بها بدلا  
فيها النعيم وفيها راحة البدن  
انظر لمن ملك الدنيا بأجمعها  
هل راح منها بغير القطن والكفن؟

أخي المسلم:

النعم ثلاثة: نعمة حاصلة يعلم بها العبد، ونعمة منتظرة يرجوها، ونعمة هو فيها لا يشعر بها، فإذا أراد الله إتمام نعمته على عبده عرفه نعمته الحاضرة وأعطاه من شكره قيدا يقيد بها حتى لا تشرد، فإنها تشرد بالمعصية وتقيد بالشكر، ووفقه لعمل يستجلب به النعمة المنتظرة، وبصره بالطرق التي تسدها وتقطع طريقها ووفقه لاجتنابها. وإذا بها قد وافت إليه على أتم الوجوه، وعرفه النعم التي هو فيها ولا يشعر بها. ويحكى أن أعرابيا دخل على الرشيد، فقال: يا أمير المؤمنين، ثبتت الله عليك النعم التي أنت فيها، بإدامة شكرها، وحقق لك النعم التي ترجوها بحسن الظن به ودوام طاعته، وعرفك النعم التي أنت فيها ولا تعرفها لشكرها. فأعجبه ذلك منه وقال: ما أحسن تقسيمه<sup>(٢)</sup>.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وأما نعمة السراء فتحتاج إلى الصبر على

(١) تذكرة الحفاظ (٤/٢٢٤).

(٢) الفوائد، ص ٢٢٤.

الطاعة فيها، فإن فتنه السراء أعظم من فتنه الضراء.

ثم قال - رحمه الله -: والفقر يصلح عليه خلق كثير، والغنى لا يصلح عليه إلا أقل منهم، ولهذا كان أكثر من يدخل الجنة المساكين، لأن فتنه الفقر أهون، وكلاهما يحتاج إلى الصبر والشكر، لكن لما كان في السراء اللذة، وفي الضراء الألم - اشتهر ذكر الشكر في السراء والصبر في الضراء<sup>(١)</sup>.

قال يوسف بن أسباط: إذا تعبد الشاب يقول إبليس: انظروا من أين مطعمه، فإن كان مطعم سوء، قال: لا تشتغلوا به، دعوه يجتهد وينصب فقد كفاكم نصيبه<sup>(٢)</sup>.

وقد وردت آيات عديدة كثيرة نصّت على الترف والمترفين وسوء ذلك على نفوس الكثير، قال - تعالى -: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْتَرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٦٤].

وقال - تعالى - عن أصحاب الشمال: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴾ [الواقعة: ٤٥].

وقال - جل وعلا -: ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾ [الإسراء: ١٦].

وكل ذلك - والعياذ بالله - من كفر النعمة وعدم شكرها والقيام بحقوقها، فإن الإنسان إذا توالى عليه النعم وكثرت في يده الخيرات قد يلهى ويستغنى عن ربه وينقطع إلى الدنيا وتكون هي حياته ونهاية علمه!!

(١) مجموع الفتاوى (٣٠٥/١٤).

(٢) الزهد للبيهقي، ص ٣٥٩.

كان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - لا يكاد يعيب طعاماً، فقال غلامه يرفاً أو أسلم: لأجعلنّه حتى يعيبه؛ فجعل لبناً حامضاً ثم قربه إليه، قال: فأخذ منه فقطب، ثم قال: ما أطيب هذا من رزق الله - عز وجل - (١).

هذا سفيان الثوري - رحمه الله - وهو يتحدث عن الدنيا وزينتها وما هو الزهد فيها؟! قال: الزهد في الدنيا قصر الأمل، ليس بأكل الغليظ ولا بلبس العباء (٢).

وجدت الجوع يطـردـه رغيـف  
ومـلـء الكف مـن مـاء الفـرات  
وقـل الطعم عـون للمـصـلي  
وكثـر الطعم عـون للسـبـات (٣)

قال عبدالله بن الفرج: كان عتبة (الغلام) يعجن دقيقه ويجففه في الشمس ثم يأكله ويقول: كسرة وملح حتى نهناً في الدار الآخرة، الشواء والطعام الطيب، وكان يأكل خبزاً وملحاً ويقول: العرس في الدار الآخرة. وقال عبدالله بن شميطة: سمعت أبي إذا وصف أهل الدنيا يقول: دائم البطنة، قليل الفطنة، إنما همته بطنه وفرجه وجلده، يقول: متى أصبح فأكل وأشرب والهـو وألـعب؟ متى أمـسي فأنام؟ جيفة بالليل يطال بالنهار (٤).

(١) الزهد للإمام أحمد، ص ١٨١.

(٢) جامع العلوم والحكم، ص ٣٥٥.

(٣) حلية الأولياء (٢١٩/٧).

(٤) الزهد للإمام أحمد، ص ٢٥٥.



وقد يظن بعض الناس أن هذه الأقوال دعوة إلى ترك الأكل الحلال  
وصرف النفس عنه!!

لكن يبين لنا يحيى بن معاذ توضيح ذلك كله فيقول وهو يحدث  
أصحابه: لست آمركم بترك الدنيا، آمركم بترك الذنوب، ترك الدنيا  
فضيلة، وترك الذنوب فريضة، وأنتم إلى إقامة الفريضة أحوج منكم إلى  
الحسنات والفضائل.

قال إبراهيم بن أدهم: ما أدرك من أدرك إلا من كان يعقل ما يدخل  
جوفه<sup>(١)</sup>.

### أخي المسلم:

والدنيا أعيان موجودة، للإنسان فيها حظ وهي الأرض وما عليها، فإن  
الأرض سكن الآدمي، وما عليها ملبس ومطعم ومركب، وكل ذلك علف  
لراحلة بدنه السائر إلى الله - عز وجل -، فإنه لا يبقى إلا بهذه المصالح،  
كما لا تبقى الناقة في طريق الحج إلا بما يصلحها، فمن تناول منها ما  
يصلحه على الوجه المأمور يُمدح، ومن أخذ منها فوق الحاجة يكتنفه  
الشره ووقع في الدم، فإنه ليس للشره في تناول الدنيا وجه، لأنه يخرج  
عن النفع إلى الأذى، ويشغل عن طلب الآخرة فيفوت المقصود، ويصير  
بمثابة من أقبل يعلف الناقة، ويرد لها الماء، ويغير عليها ألوان الثياب،  
وينسى أن الرفقة قد سارت، فإنه يبقى في البادية فريسة للسباع هو  
وناقته.

ولا وجه أيضاً للتقصير في تناول الحاجة، لأن الناقة لا تقوى على

(١) الإحياء (٢/١٠٣).

السير إلا بتناول ما يصلحها، فالطريق السليم هي: أن يؤخذ من الدنيا ما يحتاج إليه من الزاد للسلوك وإن كان مشتهى، فإن إعطاء النفس ما تشتهيه عون لها وقضاء لحقها<sup>(١)</sup>.

قال علي بن أبي طالب: ليس الخير أن يكثر مالك وولدك، ولكن الخير أن يكثر عملك ويعظم حلمك، ولا خير في الدنيا إلا لأحد رجلين: رجل أذنب ذنباً فهو يتدارك ذلك بتوبة، ورجل يسارع في الخيرات، ولا يقلُّ عملٌ في تقوى، كيف يقلُّ ما يُتقبل<sup>(٢)</sup>.  
وعليك أخي الكريم بوصية سفيان الثوري عندما سأله رجل فقال: أوصني، قال: اعمل للدنيا بقدر بقائك فيها، وللآخرة بقدر بقائك فيها. والسلام<sup>(٣)</sup>.

قال مؤمل: دخلت على سفيان وهو يأكل طباهج (اللحم المشرح) بيض، فكلمته في ذلك، فقال: لم آمركم أن تأكلوا طيباً، اكتسبوا طيباً واكلوا<sup>(٤)</sup>.

وقيل إن سفيان الثوري رحمه الله أكل ليلة فقال: إن الحمار إذا زيد في علفه زيد في عمله، فقام تلك الليلة حتى أصبح.  
فعلى المسلم أن ينوي بأكله أن يتقوى به على طاعة الله - تعالى - ليكون مطيعاً بالأكل ولا يقصد التلذذ والتنعيم بالأكل فحسب. بل يكون الأكل زاداً له للطاعة ونشاطاً في العبادة.

(١) مختصر منهاج القاصدين، ص ٢١١.

(٢) صفة الصفوة (١/٣٢١).

(٣) حلية الأولياء (٧/٥٦).

(٤) السير (٧/٢٣٧).

قال إبراهيم بن شيان : منذ ثمانين سنة ما أكلت شيئاً شهوتي .  
 ويعزم مع ذلك على تقليل الأكل ، فإنه إذا أكل لأجل قوة العبادة لم  
 تصدق نيته إلا بأكل ما دون الشبع ؛ فإن الشبع يمنع من العبادة ولا يقوي  
 عليها ، فمن ضرورة هذه النية كسر الشهوة وإثارة القناعة على الاتساع .  
 سئل سعيد بن عبدالعزيز عن الكفاف من الرزق ما هو ؟ قال : شبع يوم  
 وجوع يوم <sup>(١)</sup> .  
**أخي المسلم :**

أعظم المهلكات لابن آدم شهوة البطن ، فيها أخرج آدم عليه السلام  
 وحواء من دار القرار إلى دار الذل والافتقار ، إذ نُهيّا عن الشجرة فغلبتهما  
 شهواتهما حتى أكلا منها فبدت لهما سوءاتهما ، والبطن على التحقيق  
 ينبوع الشهوات ومنبت الأدواء والآفات ، إذ يتبعها شهوة الفرج وشدة  
 الشبق إلى المنكوحات ، ثم تتبع شهوة الطعام والنكاح شدة الرغبة في  
 الجاه والمال اللذين هما وسيلة إلى التوسع في المنكوحات  
 والمطعومات ، ثم يتبع استكثار المال والجاه أنواع الرعونات وضرر  
 المنافسات والمحاسبات ، ثم يتولد بينهما آفة الرياء وغائلة التفاخر  
 والتكاثر والكبرياء ، ثم يتداعى ذلك إلى الحقد والحسد والعداوة  
 والبغضاء ، ثم يفضي ذلك بصاحبه إلى اقتحام البغي والمنكر والفحشاء ،  
 وكل ذلك ثمرة إهمال المعدة وما يتولد منها من بطر الشبع والامتلاء ،  
 ولو ذلل العبد نفسه بالجوع وضيق به مجاري الشيطان لأذعنت لطاعة الله  
 - عز وجل - ولم تسلك سبيل البطر والطغيان ، ولم ينجر به ذلك إلى

(١) السير (٣٧/٨) ، تذكرة الحفاظ ٢١٩/١ .

الانهماك في الدنيا وإيثار العاجلة على العقبى، ولم يتكالب كل هذا التكالب على الدنيا<sup>(١)</sup>.

فالأكل في مقام العدل يصح البدن وينفي المرض، وذلك أن لا يتناول الطعام حتى يشتهي، ثم يرفع يده وهو يشتهي، والدوام على التقلل من الطعام يضعف القوى، وقد قلل أقوام مطاعمهم حتى قصروا عن الفرائض، وظنوا بجهلهم أن ذلك فضيلة، وليس كذلك، ومن مدح الجوع فإنما أشار إلى الحالة التي ذكرناها. ويسهل الاحتراز عن ذلك في بدايات الأمور، فإن آخرها يفتقر إلى علاج شديد، وقد لا ينجع، ومثاله من يصرف عنان الدابة عند توجهها إلى باب تريد دخوله، فما أهون منعها بصرف عنانها، ومثال من يعالجه بعد استحكامه، مثال من يتركها حتى تدخل الباب وتجاوزته، ثم يأخذ بذنبها يجرها إلى وراء، وما أعظم التفاوت بين الأمرين!!<sup>(٢)</sup>.

حسبك من دهرك هذا القوت

ما أكثر القوت لمن يموت<sup>(٣)</sup>

دخلت خادمة منزل طلحة بن مصرف تقتبس ناراً وطلحة يُصلي، فقالت لها امرأته: مكانك يا فلانة حتى نشوي لأبي محمد هذا القديد على قصبتك يفطر عليها، فلما قضى الصلاة قال: ما صنعت؟ لا أدوقها حتى ترسلي إلى سيدتها تستأذنها حبسك إياها وشواءك على قصبته<sup>(٤)</sup>.

(١) الإحياء (٨٧/٣).

(٢) مختصر منهاج القاصدين، ص ١٧٧.

(٣) الزهد للبيهقي، ص ١١٧.

(٤) حلية الأولياء (١٥/٥).

وهذا من شدة ورعهم وبعدهم عن أخذ حقوق الغير . . أما في نفقتهم وجودهم فإنهم يضربون أروع الأمثال في ذلك !!  
كان الربيع بن خيثم إذا جاءه السائل قال : أطعموه السكر ؛ فإن الربيع يحب السكر<sup>(١)</sup> .

لقد كانت نفقتهم مما يحبون من الأكل . . فيدعون شهوة بطونهم احتساباً للأجر والمثوبة فينفقون ويتصدقون ، قال الله - تعالى - : ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا حُبَبْتُمْ﴾ [آل عمران : ٩٢] .

خطب شداد بن أوس فقال : أيها الناس ، إن الدنيا أجلُّ حاضر ، يأكل منها البر والفاجر ، وإن الآخرة أجلُّ مستأخر ، يحكم فيها ملك قادر ، ألا وإن الخير كله بحذافيره في الجنة ، وإن الشر كله بحذافيره في النار<sup>(٢)</sup> .  
وقال عمرو بن العاص - رضي الله عنه - وكأنه يُطلُّ على زماننا : إذا لم يكن للرجل تجارة إلا الطعام طغى وبغى<sup>(٣)</sup> .

وما ظنك بمن يفكر في عشائه ومن ماذا يتكون وهو على طعام الغداء ، وتراه يسأل ويحرص على بطنه !! ودينه مرقع !! يأكل من نعم الله ويعصي بنعمه التي أنعم عليه من عين وسمع ويد ورجل !! .

قال ابن معاوية الغلابي : حدثني رجل قال : قالت امرأة شميطة (ابن عجلان) يا أبا تمام ! إنا نعمل الشيء فيبرد ؛ نشتهي أن تأكل منه معنا فلا تجيء حتى يفسد ويبرد ، فقال : والله إن أبغض ساعاتي إلي الساعة التي آكل فيها .

(١) الزهد لابن السري (٣٤٤/١) .

(٢) حلية الأولياء (٤٦٦/٢) .

(٣) الزهد للإمام أحمد ، ص ٧٣ .

وعن ميمون بن مهران أن امرأة ابن عمر، عوتبت فيه، فقيل لها: أما تلطفين بهذا الشيخ؟ فقالت: فما أصنع به، لا نصنع له طعاماً إلا دعا من يأكل، فأرسلت إلى القوم من المساكين كانوا يجلسون بطريقه إذا خرج من المسجد فأعطتهم وقالت لهم لا تجلسوا بطريقه، ثم جاء إلى بيته فقال أرسلوا إلى فلان وإلى فلان، وكانت امرأته أرسلت إليهم بطعام وقالت إن دعاكم فلا تأتوه، فقال ابن عمر - رضي الله عنهما -: أردتم أن لا أتعشى الليلة، فلم يتعش تلك الليلة<sup>(١)</sup>.

وهذا يحيى بن معاذ وكأنه يخاطب أهل البطون من همهم جمع الدنيا ومتابعاتها حتى أصبحوا عبيداً لها: مسكين ابن آدم، لو خاف النار كما يخاف الفقر دخل الجنة<sup>(٢)</sup>.

**أخي الحبيب: أين نحن من هؤلاء؟!**

ضرب الربيع الفالاج، وطال به وجعه، فاشتهى لحم دجاج فكف نفسه أربعين يوماً، ثم حكى لامرأته فاشتريت دجاجة بدرهم ودانقين فسوتها، وخبزت له خبزاً، وجعلت له أصبغاً كالحلوى، ثم جاءت بالخوان، فلما ذهب ليأكل قام سائل، فقال: تصدقوا عليّ، فكفّ، وقال: خذي هذا فادفعيه إليه، قالت: فأنا أصنع ما هو أحب إليه، قال: وما هو؟ قالت: نعطيهِ ثمن هذا، وتأكل أنت شهوتك، قال: قد أحسنت، أثبتني بثمره، فجاءت بثمر الدجاجة والخبز والأصبغ فقال: ضعيه على هذا وادفعيه جميعاً إلى السائل<sup>(٣)</sup>.

(١) حلية الأولياء (١/٢٩٨).

(٢) تاريخ بغداد (١٠/٣٧٨).

(٣) أحسن المحاسن، ص ٢٨٩.

قال أبو إسحاق الطبري: كان النجاد يصوم الدهر ويفطر على رغيف ويترك لقمة، فإذا كان ليلة الجمعة أكل تلك اللقم التي استفضلها وتصدق بالرغيف<sup>(١)</sup>.

أولئك قوم قال عنهم الحسن: والله لقد أدركت أقواماً ما طوي لأحدهم في بيته ثوب قط، ولا أمر في أهله بصنعة طعام قط، وما جعل بينه وبين الأرض شيئاً قط!!<sup>(٢)</sup>.

وقال الحسن بن يحيى: من أراد أن تغزر دموعه ويرق قلبه فليأكل وليشرب في نصف بطنه.

قال أحمد ابن أبي الحواري: فحدثت بهذا أبا سليمان فقال: إنما جاء الحديث: «ثلث طعام وثلث شراب» وأرى هؤلاء قد حاسبوا أنفسهم فربحوا سدساً.

وقال محمد بن النضر: الجوع يبعث على البر كما تبعث البطنة على الأشر.

وقد نذب النبي ﷺ إلى الإقلال من الأكل في حديث المقدام وقال: «حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه»، وفي الصحيحين عنه ﷺ أنه قال: «المؤمن يأكل في معي واحد، والكافر يأكل في سبعة أمعاء». والمراد أن المؤمن يأكل بآداب الشرع فيأكل في معي واحد، والكافر يأكل بمقتضى الشهوة والشدة والنهم فيأكل في سبعة أمعاء.

ونذب ﷺ مع الإقلال مع الأكل والاكتفاء ببعض الطعام إلى الإيثار

(١) تذكرة الحفاظ (٣/٨٦٨).

(٢) حلية الأولياء (٢/١٤٦).

بالباقى منه، فقال: «طعام الواحد يكفي الإثنين، وطعام الإثنين يكفي الثلاثة، وطعام الثلاثة يكفي الأربعة».

فأحسن ما أكل المؤمن في ثلث بطنه وشرب في ثلث وترك للنفس ثلثاً؛ فإن كثرة الشرب تجلب النوم وتفسد الطعام.

قال سفيان: كل ما شئت ولا تشرب، فإذا لم تشرب لم يجنك النوم. وقال بعض السلف: كان شباب يتعبدون في بني إسرائيل، فإذا كان فطرهم قام عليهم قائم فقال: لا تأكلوا كثيراً فتناموا كثيراً فتخسروا كثيراً. وقد كان النبي ﷺ وأصحابه يجوعون كثيراً ولا يشربون كثيراً يتقللون من أكل الشهوات، وإن كان ذلك لعدم وجود الطعام، إلا أن الله لا يختار لرسوله إلا أكمل الأحوال وأفضلها، ولهذا كان ابن عمر يتشبه به في ذلك مع قدرته على الطعام وكذلك أبوه من قبله.

وفي الصحيحين عن عائشة قالت: «ما شبع آل محمد ﷺ من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض».

وخرج البخاري عن أبي هريرة قال: «ما شبع رسول الله ﷺ من طعام ثلاثة أيام حتى قبض». وعنه قال: «خرج رسول الله ﷺ من الدنيا ولم يشبع من خبز شعير».

وفي صحيح مسلم عن عمر أنه خطب فذكر ما أصاب الناس من الدنيا فقال: «لقد رأيت رسول الله ﷺ يظل اليوم يلتوي ما يجد دقلاً».

وخرج الترمذي وابن ماجه من حديث أنس عن النبي ﷺ قال: «لقد أوديت في الله وما يؤذى أحد، ولقد أخفت في الله وما يخاف أحد، وقد



أتت عليّ ثلاث من بين يوم وليلة وما لي طعام إلا ما وراه إبط بلال»<sup>(١)</sup>.  
وهذه النعمة العظيمة التي نتقلب فيها من الطعام والشراب هي مطية  
لحسن العبادة وطولها فقد كان سفيان الثوري حسن المطعم وكان يقول:  
إن الدابة إذا لم تحسن إليها في العلف لم تعمل<sup>(٢)</sup>.  
قال القاسم بن مخيمر: ما اجتمع على مائدتي لوانان من طعام  
واحد<sup>(٣)</sup>.

وقال محمد بن صفوان: كان ليحيى القطان نفقة من غلته، إن دخل من  
غلته حنطة أكل حنطة، وإن دخل شعير أكل شعيراً، وإن دخل تمر أكل  
تمراً<sup>(٤)</sup>.

وكان ﷺ يأكل فاكهة بلده، ما قدمت له فاكهة فترك أكلها لا على سبيل  
الزهد الفاسد، ولا على سبيل الورع الفاسد، بل كان لا يرد موجوداً، ولا  
يتكلف مفقوداً، ويتبع قوله - تعالى -: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن  
طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢].

فأمر بالأكل والشكر، فمن حرم الطيبات عليه وامتنع من أكلها بدون  
سبب شرعي، فهو مذموم مبتدع داخل في قوله - تعالى -: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ  
ءَامَنُوا لَا تُخْرِمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٧].

ومن أكلها بدون الشكر الواجب فيها مذموم، قال - تعالى -: ﴿ثُمَّ  
لَتَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨] أي شكر النعيم..

(١) جامع العلوم والحكم، ص ٤٢٧.

(٢) منهاج القاصدين، ص ٢٦.

(٣) حلية الأولياء (٨٠/٦).

(٤) السير ١٨/٩.

وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر».

وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله ليرضى عن العبد بأن يأكل الأكلة فيحمده عليها أو يشرب الشربة فيحمده عليها».

وكذلك الإسراف في الأكل مذموم وهو مجاوزة الحد.

ومن أكل بنية الاستعانة على عبادة كان مأجوراً على ذلك، وكذلك ما ينفقه على أهل بيته، كما قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «نفقة المسلم على أهله يحسبها صدقة».

وقال لسعد: «إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا ازددت بها درجة ورفعة، حتى اللقمة تضعها في في امرأتك»<sup>(١)</sup>.

وكان عبدالله بن عمر لا يأكل طعاماً إلا وعلى خوانه يتيم<sup>(٢)</sup>.

ومن دقيق نعم الله على العبد، التي لا يكاد يفطن لها، أنه يغلق عليه بابه، فيرسل الله إليه من يطرق عليه الباب يسأله شيئاً من القنت، ليعرف نعمته عليه<sup>(٣)</sup>.

ثم يكرمه الله - عز وجل - بسخاء اليد وطيب النفس فيعين أهل الكرب وأصحاب الحاجات، ويساعد الأراامل والأيتام سعيًا وطلبًا لمرضاة الله - عز وجل -.

كان الحسن يقول: رحم الله عبداً جعل العيش عيشاً واحداً، فأكل كسرة، ولبس خلقاً، ولزق بالأرض، واجتهد في العبادة، وبكى على

(١) مجمع الفتاوى (٢١٢/٣٢).

(٢) حلية الأولياء (٢٩٩/١).

(٣) عدة الصابرين، ص ١٧٤.

الخطيئة، وهرب من العقوبة، ابتغاء الرحمة حتى يأتيه أجله وهو على ذلك<sup>(١)</sup>.

خلقـان لا أرضـى مـفـالـهمـا  
بطـر الغـنى ومـذـلـة الفقـر  
فإذا غـنـيت فلا تـكـن بطـراً  
وإذا افتـقـرت علـى الـدـهـر<sup>(٢)</sup>

قال عبدالله ابن شبرمة: عجبت للناس يحتمون من الطعام مخافة الداء، ولا يحتمون من الذنوب مخافة النار<sup>(٣)</sup>.  
ومن صور الورع العجيبة: أن امرأة من الصالحات أتتها نعي زوجها وهي تعجن، فرفعت يديها من العجين وقالت: هذا طعام قد صار لنا فيه شريك<sup>(٤)</sup>.

وأعظم من ذلك ورع الصديق أبي بكر رضي الله عنه، قال زيد بن أرقم - رضي الله عنه -: كنا مع أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - فدعا بشراب، فأتي بماء وعسل، فلما أدناه من فيه، بكى وبكى حتى أبكى أصحابه، فسكتوا وما سكت، ثم عاد وبكى، حتى ظنوا أنهم لم يقدرُوا على مسأَلته، قال: ثم مسح عينيه، فقالوا: يا خليفة رسول الله، ما أباك؟ فقال: كنت مع رسول الله، فرأيتُه يدفع عن نفسه شيئاً، ولم أر معه أحداً، فقلت: يا رسول الله، ما الذي تدفع عن نفسك؟ قال: «هذه الدنيا مثلت لي،

(١) الزهد للبيهقي (٢/٦٥).

(٢) السير (٤/٢٧٦).

(٣) السير (٦/٣٤٨).

(٤) تعني الورثة ومن له حق.

فقلت لها: إليك عني، فرجعت، فقالت: إنك إن أفلتَ مني فلن يفلتَ مني من بعدك»<sup>(١)</sup>.

قال سهل: من أكل الحرام عصت جوارحه شاء أم أبى، علم أو لم يعلم، ومن كانت طعمته حلالاً أطاعته جوارحه، ووفقت للخيرات. وقال رجل لابن عمر: يا أبا عبد الرحمن، رقت مضجعك وكبر سنك، وجلساؤك لا يعرفون لك حقك ولا شرفك، فلو أمرت أهلِكَ أن يجعلوا لك شيئاً يلففونك إذا رجعت إليهم، قال: ويحك، والله ما شبت منذ إحدى عشرة سنة، ولا اثنتي عشرة سنة ولا ثلاث عشرة سنة، ولا أربع عشرة سنة مرة واحدة، فكيف بي وإنما بقي مني ما بقي<sup>(٢)</sup>.

**أخي الحبيب:**

من سنن المرسلين إطعام الطعام وإكرام الضيف، وهي من علامات الإيمان لقوله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه...»<sup>(٣)</sup>.

ويقول الشاعر:

أضاحك ضيفي قبل إنزال رحله  
ويخصب عندي والمحل جديب  
ما الخصب للأضياف في كثرة  
القرى ولكنما وجه الكريم خصيب<sup>(٤)</sup>

(١) عدة الصابرين، ص ٢٥٧.

(٢) جامع العلوم والحكم، ص ٥١٥.

(٣) متفق عليه.

(٤) مكاشفة القلوب، ص ٤٢٥.

قال عبدالرزاق: لما قدم سفيان علينا، طبخت له قدر سكباج (لحم يطبخ بخل) فأكل ثم أتته بزبيب الطائف فأكل، ثم قال: يا عبدالرزاق، اعلف الحمار وكده، ثم قام يصلي حتى الصباح<sup>(١)</sup>.

ولو كانت الطاعة والعبادة بكثرة الأكل وتوفر النعم لكننا أكثر منهم قياماً وصلاة وعبادة، ولكنها حياة القلوب وموتها لا كثرة الأكل وتنوع الأصناف!! قال شعبة: إذا كان عندي دقيق وقصب ما أبالي ما فاتني من الدنيا.

سهرت أعين ونامت عيون  
لأمور تكونون أو لا تكونون  
فاطرد الهمم ما استطعت عن  
النفس فحملانك الهموم جنون  
إن رباً كفاك بالأمس ما كان  
سيكفيك في غد ما يكون<sup>(٢)</sup>

عن جابر بن عبدالله قال: رأى عمر بن الخطاب لحماً معلقاً في يدي فقال: ما هذا يا جابر؟ قلت: اشتهيت لحماً فاشتريته، فقال عمر: أفكلما اشتهيت يا جابر اشتريت؟ أفكلما اشتهيت يا جابر اشتريت؟ أما تخاف هذه الآية يا جابر ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمْ﴾ [الأحقاف: ٢].

دخل عمر على ابنه عاصم وهو يأكل لحماً، فقال: ما هذا؟ قال: قرمنا إليه، قال: أو كلما قرمت إلى شيء أكلته؟ كفى بالمرء سرفاً أن يأكل كل ما يشتهي<sup>(٣)</sup>.

(١) السير (٧/٢٧٧).

(٢) تذكرة الحفاظ (٤/١٣٩٧).

(٣) تاريخ عمر لابن الجوزي، ص ١١٩.

وروي أن ابناً لسمرة بن جندب أكل حتى بشم، فقال له: لو مت ما صليت عليك!!.

قال صفوان بن محرز: إذا أكلت رغيفاً أشد به صلبى، وشربت كوز ماء - فعلى الدنيا وأهلها العفاء<sup>(١)</sup>.

ملك كسرى تغني عنه كسرة  
وعن البحر اجزاء بالوشل  
اعتبر نحن قسماً بينهم  
تلقاه حقاً وبالحق نزل  
وتأمل في فعل السلف وقناعتهم بالرزق مع كثرة طاعتهم وحسن  
عبادتهم.

كان محمد بن واسع يبل الخبز اليابس بالماء ويأكل، ويقول: من قنع بهذا لم يحتج إلى أحد.

وفي هذا الزمن الذي تفجرت ينابيع الخيرات وكثر فيه الرزق يخشى أن يكون ذلك استدراجاً.

قال سلمة بن دينار: إذا رأيت الله - عز وجل - يتابع نعمه عليك وأنت تعصيه فاحذره<sup>(٢)</sup>.

هب أن البعث لم تأتينا رسله  
وجاحمة النار لم تُضرم

(١) تاريخ الخلفاء، ص ١٢٠.

(٢) صفة الصفوة (١٥٧/٢).

## أليس في الواجب المستحق

حياء العباد من المنعم<sup>(١)</sup>

قال ابن بشار: أمسينا مع إبراهيم بن أدهم ليلة، ليس لنا ما نفطر عليه، فقال: يا ابن بشار، ماذا أنعم الله على الفقراء والمساكين من النعيم والراحة؟ لا يسألهم يوم القيامة عن زكاة ولا حج ولا صدقة ولا صلة رحم، لا تغتم فرزق الله سيأتيك، نحن والله - الملوك والأغنياء - تعجلنا الراحة، لا نبالي على أي حال كنا إذا أطعنا الله، ثم قام إلى صلاته، وقمت إلى صلاتي، فإذا برجل قد جاء بثمانية أرغفة وتمر كثير، فقال: كل يا مغموم، فدخل سائل فأعطاه ثلاثة أرغفة مع تمر، وأعطاني ثلاثة وأكل رغيفين<sup>(٢)</sup>.

**أخي الحبيب:** في الجوع عشر فوائد هي:

الفائدة الأولى: صفاء القلب وإيقاد القريحة وإنقاذ البصيرة، فإن الشع يورث البلادة ويعمي القلب ويكثر البخار في الدماغ شبه السكر حتى يحتوي على معادن الفكر فيثقل القلب بسببه عن الجريان في الأفكار وعن سرعة الإدراك، بل الصبي إذا أكثر الأكل بطل حفظه وفسد ذهنه وصار بطيء الفهم والإدراك.

ويقال: مثل الجوع مثل الرعد، ومثل القناعة مثل السحاب، والحكمة كالمطر.

الفائدة الثانية: رقة القلب وصفائه الذي به يتهيأ للإدراك لذة المثابة

(١) التخويف من النار، ص ١٢٥.

(٢) السير (٣٩٤/٧).

والتأثر بالذكر، فكم من ذكر يجري على اللسان مع حضور القلب ولكن القلب لا يلتذ به ولا يتأثر حتى كأن بينه وبينه حجاباً من قسوة القلب.  
قال أبو سليمان الداراني: أحلى ما تكون إليَّ العبادة إذا التصق ظهري ببطني.

**الفائدة الثالثة:** الانكسار والذل وزوال البطر والفرح والأشهر الذي هو مبدأ الطغيان والغفلة عن الله - تعالى -، فلا تنكسر النفس ولا تذلل بشيء كما تذلل بالجوع، فعنده تسكن لربها وتخضع له وتقف على عجزها وذلتها إذا ضعفت منتها وضاعت حيلتها بلقيمة طعام فاتتها، وأظلمت عليها الدنيا لشربة ماء تأخرت عنها. وما لم يشاهد الإنسان ذل نفسه وعجزه لا يرى عزة مولاه ولا قهره، وإنما سعادته في أن يكون دائماً مشاهداً نفسه بعين الذل والعجز ومولاه بعين العز والقدرة والقهر.

**الفائدة الرابعة:** أن لا تنسى بلاء الله وعذابه، ولا ينسى أهل البلاء، فإن الشبعان ينسى الجائع وينسى الجوع، والعبد الفطن لا يشاهد بلاء من غيره إلا يتذكر بلاء الآخرة، فيذكر من عطشه عطش الخلق في عرصات القيامة، ومن جوعه جوع أهل النار، حتى أنهم ليجوعون فيطعمون الضريع والزقوم ويسقون الغساق والمهل، فلا ينبغي أن يغيب عن العبد عذاب الآخرة وآلامها، فإنه هو الذي يهيج الخوف، فمن لم يكن في ذلة ولا علة ولا قلة ولا بلاء نسي عذاب الآخرة ولم يتمثل في نفسه ولم يغلب على قلبه، فينبغي أن يكون العبد في مقاساة بلاء أو مشاهدة بلاء، وأولى ما يقاسيه من الجوع فإن فيه فوائد جمة سوى تذكر عذاب الآخرة.

**الفائدة الخامسة:** وهي من أكبر الفوائد: كسر شهوات المعاصي كلها والاستيلاء على النفس الأمانة بالسوء، فإن منشأ المعاصي كلها الشهوات



والقوى، ومادة القوى والشهوات لا محالة الأطعمة، فتقليلها يضعف كل شهوة وقوة، وإنما السعادة كلها في أن يملك الرجل نفسه، والشقاوة في أن تملكه نفسه، وكما أنك لا تملك الدابة الجموع إلا بضعف الجوع فإذا شبت قوى وشردت وجمحت، فكذلك النفس. إن القوم لما شبت بطونهم جمحت بهم نفوسهم إلى هذه الدنيا.

وهذه ليست فائدة واحدة بل هي خزائن الفوائد. ولذلك قيل: الجوع خزانة من خزائن الله - تعالى -، وأقل ما يندفع بالجوع: شهوة الفرج وشهوة الكلام، فإن الجائع لا يتحرك عليه شهوة فضول الكلام فيتخلص به من آفات اللسان كالغيبة والفحش والكذب والنميمة وغيرها، فيمنعه الجوع من كل ذلك، وإذا شبع افتقر إلى فاكهة فيتفكه لا محالة بأعراض الناس، ولا يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم.

وأما شهوة الفرج فلا تخفى غائلتها، والجوع يكفي شرها. وإذا شبع الرجل لم يملك فرجه، وإن منعه التقوى فلا يملك عينه، فالعين تزني، فإن ملك عينه بغض الطرف فلا يملك فكره، فيخطر له من الأفكار الرديئة وحديث النفس بأسباب الشهوة ما يتشوش به مناجاته، وربما عرض له ذلك في أثناء الصلاة.

الفائدة السادسة: دفع النوم ودوام السهر، فإن من شبع شرب كثيراً ومن كثر شربه كثر نومه، وفي كثرة النوم ضياع العمر وفوت التهجد وبلادة الطبع وقساوة القلب، والعمر أنفس الجواهر، وهو رأس مال العبد فيه يتجر، والنوم موت فتكثيره ينقص العمر، ثم فضيلة التهجد لا تخفى وفي النوم فواتها. ومهما غلب النوم فإن تهجد لم يجد حلاوة العبادة. فالنوم منبع الآفات، والشبع مجلبة له، والجوع مقطعة له.

الفائدة السابعة: تيسير المواظبة على العبادة فإن الأكل يمنع من كثرة العبادات لأنه يحتاج إلى زمان يشتغل فيه بالأكل، وربما يحتاج إلى زمان في شراء الطعام وطبخه، ثم يحتاج إلى غسل اليد والخلال، ثم يكثر ترده إلى بيت الماء لكثرة شربه. والأوقات المصروفة إلى هذا لو صرفها إلى الذكر والمناجاة وسائر العبادات لكثر ربحه.

قال السري: رأيت مع علي الجرجاني سويقاً يستف منه فقلت: ما حملك على هذا؟ قال: إني حسبت ما بين المضغ إلى الاستفاف سبعين تسبيحة فما مضغت الخبز منذ أربعين سنة.

فانظر كيف أشفق على وقته ولم يضيعه في المضغ.

وكل نفس من العمر جوهرة نفيسة لا قيمة لها، فينبغي أن يستوفي منه خزانة باقية في الآخرة لا آخر لها بصرفه إلى ذكر الله وطاعته.

ومن جملة ما يتعذر بكثرة الأكل الدوام على الطهارة وملازمة المسجد، فإنه يحتاج إلى الخروج لكثرة شرب الماء وإراقته. ومن جملة الصوم فإنه ييسر لمن تعود الجوع، فالصوم ودوام الاعتكاف ودوام الطهارة وصرف أوقات شغله بالأكل وأسبابه إلى العبادة أرباح كثيرة، وإنما يستحقها الغافلون الذين لم يعرفوا قدر الدين لكن رضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الروم: ٧].

وقد أشار أبو سليمان الداراني إلى ست آفات من الشيع فقال: من شيع دخل عليه ست آفات: فقد حلاوة المناجاة، وتعذر حفظ الحكمة، وحرمان الشفقة على الخلق لأنه إذا شيع ظن أن الخلق كلهم شباع، وثقل العبادة، وزيادة الشهوات، وأن أول سائر المؤمنين يدورون حول

المساجد، والشبايع يدورون حول المزابل.

**الفائدة الثامنة:** يستفيد من قلة الأكل صحة البدن ودفع الأمراض، فإن سببها كثرة الأكل وحصول فضله الأخلاط في المعدة والعروق. ثم المرض يمنع من العبادات ويشوش القلب ويمنع من الذكر والفكر، وينغص العيش، ويحوج إلى الفصد والحجامة والدواء والطبيب، وكل ذلك يحتاج إلى مؤن ونفقات لا يخلو الإنسان منها بعد التعب عن أنواع من المعاصي واقتحام الشهوات، وفي الجوع ما يمنع ذلك كله.

حكى أن الرشيد جمع أربعة أطباء: هندي، ورومي، وعراقي، وسوادي، وقال: ليصف كل واحد منكم الدواء الذي لا داء فيه، فقال الهندي: الدواء الذي لا داء فيه عندي هو الإهليلج الأسود، وقال العراقي: هو حب الرشاد الأبيض، وقال الرومي: هو عندي الماء الحار، وقال السوادي وكان أعلمهم: الإهليلج يعفص المعدة وهذا داء، وحب الرشاد يزلق المعدة وهذا داء، والماء الحار يرخي المعدة وهذا داء، قالوا: فما عندك؟ فقال: الدواء الذي لا داء معه عندي أن لا تأكل الطعام حتى تشتهيه، وأن ترفع يدك عنه وأنت تشتهيه، فقالوا: صدقت.

**الفائدة التاسعة:** خفة المثونة، فإن من تعود قلة الأكل كفاه من المال قدر يسير، والذي تعود الشبع صار بطنه غريماً ملازماً له أخذ بمخنقه في كل يوم، فيقول ماذا تأكل اليوم؟ فيحتاج إلى أن يدخل المداخل، فيكتسب من الحرام فيعصي أو من الحلال فيذل، وربما يحتاج إلى أن يمد أعين الطمع إلى الناس وهو غاية الذل والقماءة، والمؤمن خفيف المثونة.

وقال بعض الحكماء: إني لأقضي عامة حوائجي بالترك فيكون ذلك أروح لقلبي.

وقال آخر: إذا أردت أن أستقرض من غيري لشهوة أو زيادة استقرضت من نفسي فتركت الشهوة فهي خير غريم لي.

وكان إبراهيم بن أدهم رحمه الله يسأل أصحابه عن سعر المأكولات فيقولون إنها غالية، فيقول: أرخصوها بالترك.

وقال سهل - رحمه الله -: الأكل مذموم في ثلاثة أحوال: إن كان من أهل العبادة فيكسل، وإن كان مكتسباً فلا يسلم من الآفات، وإن كان ممن يدخل عليه شيء فلا ينصف الله - تعالى - من نفسه.

الفائدة العاشرة: أن يتمكن من الإيثار والتصدق بما فضل من الأطعمة على اليتامى والمساكين، فيكون يوم القيامة في ظل صدقته.

فما يأكله كان خزائنه الكنيف، وما يتصدق به كان خزائنه فضل الله - تعالى -، فليس للعبد من ماله إلا ما تصدق فأبقى أو أكل فأفنى أو لبس فأبلى. فالتصدق بفضلات الطعام أولى من التخمة والشبع.

وكان الحسن - رحمه الله عليه - إذا تلا قوله - تعالى -: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢].

قال: عرضها على السماوات السبع الطباق والطرائق التي زينها بالنجوم وحملة العرش العظيم فقال لها - سبحانه وتعالى -: هل تحملين الأمانة بما فيها؟ قالت: وما فيها؟ قال: إن أحسنت جوزيت وإن أسأت عوقبت، فقالت: لا، ثم عرضها كذلك على الأرض فأبت، ثم عرضها على الجبال الشوامخ الصلاب الصعاب فقال لها: هل تحملين الأمانة بما

فيها؟ قالت: وما فيها؟ فذكر الجزاء والعقوبة فقالت: لا، ثم عرضها على الإنسان فحملها إنه كان ظلوماً جهولاً بأمر ربه. فقد رأيناهم والله اشتروا الأمانة بأموالهم فأصابوا آلافاً فماذا صنعوا فيها؟ وسَّعوا بها دورهم وضيقوا به قبورهم، وأسمنوا براذينهم وأهزلوا دينهم، وأتعبوا أنفسهم بالغدو والرواح إلى باب السلطان يتعرضون للبلاء وهم من الله في عافية، يقول أحدهم: تبيعني أرض كذا وكذا وأزيدك كذا وكذا، يتكيء على شماله ويأكل من ماله، حديثه سخرة وماله حرام، حتى إذا أخذته الكظة ونزلت به البطنة قال: يا غلام، اتتني بشيء أهضم به طعامي، يا لكع أطعامك تهضم؟ إنما تهضم دينك، أين الفقير أين الأرملة أين المسكين أين اليتيم الذي أمرك الله - تعالى - بهم؟

فهذه إشارة إلى هذه الفائدة وهو صرف فاضل الطعام إلى الفقير ليدخر به الأجر، فذلك خير له من أن يأكله حتى يتضاعف الوزر عليه.

وعن الحسن قال: والله لقد أدركت أقواماً الرجل منهم يمسي وعنده من الطعام ما يكفيه ولو شاء لأكله فيقول: والله لا أجعل هذا كله لبطني حتى أجعل بعضه لله.

فهذه عشر فوائد للجوع يتشعب من كل فائدة فوائد لا ينحصر عددها ولا تنتهي فوائد، فالجوع خزانة عظيمة لفوائد الآخرة. ولأجل هذا قال بعض السلف: الجوع مفتاح الآخرة وباب الزهد، والشبع مفتاح الدنيا وباب الرغبة<sup>(١)</sup>.

تالله لو عاش الفتى في عمره  
 ألفاً من الأعوام مالك أمره  
 فتلذذ فيها بكل نعيم  
 متنعماً فيها بنعم عصره  
 ما كان ذلك كله في أن يفني  
 بميت أول ليلة في قبره  
 قيل لوهيب بن الورد: ألا تشرب من ماء زمزم؟ قال: بأي دلو؟ قال  
 شعيب بن جرب: ما احتملوا لأحد ما احتملوا لوهيب، كان يشرب  
 بدلوه.

وقال حرملة بن يحيى: أخذ سفيان بن عيينة بيدي فأقامني في ناحية  
 وأخرج من كمة رغيف شعير وقال لي: يا حرملة! ما يقول الناس، هذا  
 طعامي منذ ستين سنة<sup>(١)</sup>.

ولأصحاب النهم الذين يكتزون الذهب والفضة ويجمعون ما يكفي  
 لأمة بأسرها.. نسوق إليهم قول إمام أهل السنة رحمه الله ورضي عنه؛  
 الإمام أحمد: أسرُّ أيامي إليَّ يوم أصبح وليس عندي شيء<sup>(٢)</sup>.

وتأمل أخي الكريم في قول الرسول ﷺ: «ليس لابن آدم حق في سوى  
 هذه الخصال: بيت يسكنه، وثوب يوارى به عورته، وجلف الخبز  
 والماء»<sup>(٣)</sup>.

وهذا الطعام من أوجه الإنفاق العظيمة؛ بصرفه يبلغ الإنسان الدرجات

(١) حلية الأولياء (٧/٢٧٢).

(٢) جامع العلوم والحكم، ص ٣٥٣.

(٣) رواه الترمذي.

العلا ويباعد بالتمرّة عن النار. قال رسول الله ﷺ: «اتقوا النار ولو بشق تمرّة»<sup>(١)</sup>.

قال أبو ذر لعمر: يا عمر! إن سرك أن تلحق بصاحبك فانكس الإزار واخصف النعل وكل دون الشبع<sup>(٢)</sup>.

أتى عبدالرحمن بن عوف بطعام فجعل يبكي، فقال: قُتل حمزة فلم يوجد ما يكفن فيه إلا ثوباً واحداً، وقتل مصعب بن عمير فلم يوجد ما يكفن فيه إلا ثوباً واحداً، لقد خشيت أن يكون عجلت لنا طيبتنا في حياتنا الدنيا، وجعل يبكي<sup>(٣)</sup>.

قال أبوبكر - رضي الله عنه -: دخلت على أبي مسلم في يوم عيد، فرأيت عليه قميصاً مرقعاً، وبين يديه خروف وهو يأكل منه، فقلت: يا أبا مسلم، فقال: لا تنظر إلى الخروف ولكن انظر إذا سألتني ربي، من أين لك هذا؟ فأني جواب أقوله وما اعتذاري<sup>(٤)</sup>.

**أخي المسلم:**

تقلب في نعم الله صباحاً ومساءً.. فعليك بالشكر والحمد قولاً وفِعْلاً، واسأل الله - عز وجل - أن يديمها عليك وأن لا تكون استدراجاً..

**إذا كنت في نعمة فارعها  
فإن المعاصي تزيل النعم**

(١) متفق عليه.

(٢) الزهد للإمام أحمد، ص ٤٤٧.

(٣) السير ١/١٤٦.

(٤) الزهر الفائح، ص ٨٨.

كان يقال : من ملك بطنه ملك الأعمال الصالحة كلها .

وكان يقال : لا تسكن الحكمة معدة ملأى .

وعن عبدالعزيز بن أبي داود قال : كان يقال : ثلث الطعام عون على التسرع إلى الخيرات .

وعن قثم العابد قال : كان يقال : ما أقل طعم امرئ قط إلا ورق قلبه ونديت عيناه .

وعن عبدالله بن مرزوق قال : لم نر للأشر مثل دوام الجوع ، فقال له أبو عبدالرحمن العمري الزاهد : وما دوامه عندك؟ قال : دوامه أن لا تشبع أبداً ، قال : وكيف يقدر من كان في الدنيا على هذا؟ قال : ما أيسر ذلك يا أبا عبدالرحمن على أهل ولايته ، من وفقه لطاعته لا يأكل إلا دون الشبع هو دوام الجوع .

ويشبه هذا قول الحسن لما عرض الطعام على بعض أصحابه فقال له : أكلت حتى لا أستطيع أن آكل ، فقال الحسن : سبحان الله ، وما يأكل المسلم حتى لا يستطيع أن يأكل؟ .

وروي عن أبي عمران الجوني قال : كان يقال : من أحب أن ينور قلبه فليقلّ طعامه .

وعن عثمان بن زائدة قال : كتب إلي سفيان الثوري : إن أردت أن يصح جسمك ويقل نومك فأقلل من الأكل .

وعن ابن السماك قال : خلا رجل بأخيه فقال : أي أخي ! نحن أهون على الله من أن يجيعنا ، إنما يجيع أوليائه .

وعن عبدالله بن أبي الفرج قال : قلت لأبي سعيد التميمي : الخائف يشبع؟ قال : لا .



وعن رباح القيس أنه قُرَّب إليه طعام فأكل منه، ف قيل له: ازدد فما أراك شبع، فصاح صيحة فقال: كيف أشبع أيام الدنيا وشجرة الزقوم طعام الأثيم بين يدي، فرفع الطعام من بين يديه، وقال: أنت في شيء ونحن في شيء.

وعن إبراهيم بن أدهم قال: من ضبط بطنه ضبط دينه، ومن ملك جوعه ملك الأخلاق الصالحة، وإن معصية الله بعيدة من الجائع قريبة من الشبعان، والشبع يميئ القلب، ومنه يكون الفرح والمرح والضحك<sup>(١)</sup>. قال سفيان الثوري وهو يؤكد على أكل الحلال والبعد عن الحرام: انظر درهمك من أين هو؟ وصل في الصف الأول<sup>(٢)</sup>.

ويستطيع من أعانه الله أن يجمع بين الأمرين من أكل الحلال والصلاة في الصف الأول!!

قال الحارث بن كلدة طبيب العرب: الحمية رأس الدواء والبطنة رأس الداء.

وقال الحارث أيضاً: الذي قتل البرية وأهلك السباع في البرية إدخال الطعام على الطعام قبل الانهضام.

وقال غيره: لو قيل لأهل القبور: ما كان سبب آجالكم؟ لقالوا: التخم. فهذا بعض منافع قليل الغذاء وترك التملؤ من الطعام بالنسبة إلى صلاح البدن وصحته. وأما منفعه بالنسبة إلى القلب وصلاحه فإن قلة الغذاء يوجب رقة القلب وقوة الفهم وانكسار النفس وضعف الهوى

(١) جامع العلوم والحكم، ص ٤٢٦.

(٢) حلية الأولياء (٦٨/٧).

والغضب، وكثرة الغذاء يوجب ضد ذلك.

قال الحسن: يا ابن آدم! كل في ثلث بطنك واشرب في ثلثه ودع ثلث بطنك يتنفس ويتفكر.

وقال المرزوي: جعل أبو عبد الله (يعني الإمام أحمد بن حنبل) يعظم من الجوع والفقر، فقلت له: يؤجر الرجل في ترك الشهوات؟ فقال: وكيف لا يؤجر وابن عمر يقول: ما شبعت منذ ثلاثة أشهر، قلت لأبي عبد الله: يجد الرجل من قلبه رقة وهو شبع؟ قال: ما أرى.

وعن ابن عمر قال: ما شبعت منذ أسلمت.

أما محمد بن واسع فهو يقول: من قل طعامه فهم وأفهم وصفا ورق، وإن كثير الطعام ليثقل صاحبه عن كثير مما يريد.

وعن أبي عبيدة الخواص قال: حثفك في شبعك، وحفظك في جوعك، إذا أنت شبعت ثقلت فنمت استمكن منك العدو فجثم عليك، وإذا أنت تجوعت كنت للعدو بمرصد.

وعن عمرو بن قيس قال: إياكم والبطنة فإنها تقسي القلب.

وعن سلمة بن سعيد قال: إن كان الرجل ليعير بالبطنة كما يعير بالذنب يعمله.

وعن بعض العلماء قال: إذا كنت بطيناً فاعدد نفسك زمناً حتى تخمض.

وعن ابن الأعرابي قال: كانت العرب تقول: ما بات رجل بطيناً فتم عزمه.

وعن أبي سليمان الداراني قال: إذا أردت حاجة من حوائج الدنيا والآخرة فلا تأكل حتى تقضيها فإن الأكل يغير العقل.

وَاسْعَ أَخِي الْمُؤْمِنَ فِي فِكَاكِ رَقَبَتِكَ وَالسَّعْيِ نَحْوَ نَجَاتِكَ، وَلَا يَكُنْ هَمُّكَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا مُنْصَرَفًا عَنِ الْعِبَادَةِ إِلَى الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ، بَلْ اجْعَلْهَا عَوْنًا عَلَى الطَّاعَةِ.

قال مالك بن دينار: ما ينبغي للمؤمن أن يكون بطنه أكبر همه وأن تكون شهوته هي الغالبة<sup>(١)</sup>.  
قال النابغة:

وَلَسْتُ بِجَالِسٍ لِفَسَدِ طَعَامٍ  
حَذَارٍ غَيْرٍ لِكُلِّ غَسَدِ طَعَامٍ  
قال بشر بن الحارث: ما شبعنا منذ خمسين سنة.

وقال: ما ينبغي للرجل أن يشبع اليوم في الحلال لأنه إذا شبع من الحلال دعت نفسه إلى الحرام فكيف في هذه الأقدار؟<sup>(٢)</sup>.  
أخي المسلم:

لو قيل لأهل القبور: ما كان سبب آجالكم؟ لقالوا: التخم<sup>(٣)</sup>.  
وقال الحكيم الخبير - جل شأنه وعظم سلطانه -: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ [الأعراف: ٣١].

قال بعض العلماء: جمع الله بهذه الآيات الطب كله<sup>(٤)</sup>.  
جسمك بالحمية أحصته  
مخافة من ألم طارئ

(١) جامع العلوم والحكم، ص ٤٢٥.

(٢) جامع العلوم والحكم، ص ٥١٨.

(٣) جامع العلوم والحكم، ص ٥١٧.

(٤) جامع العلوم والحكم، ص ٥١٥.

وكان أولى بك أن تحتمي

من المعاصي خشية الباري<sup>(١)</sup>

عن بلال بن تعب قال: كان طاووس إذا خرج من اليمن (يعني إلى مكة) لم يشرب إلا من تلك المياه القديمة الجاهلية.  
وقال الثوري: الزهد في الدنيا قصر الأمل، وليس أكل الخشن، وليس العبادة.

وصدق الثوري - رحمه الله -: فإن من قصر أمله لم يتسابق في المأكولات والمطعومات، ولا يتفنن بالملبوسات، وأخذ من الدنيا ما تيسر، واجترأ منها بما يبلغه<sup>(٢)</sup>.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - مفصلاً ما قد يكون مشوشاً على بعض الناس بشأن الأكل والشرب، فقال في كلام مفيد وتفصيل دقيق:

وأما الأكل واللباس: فخير الهدي هدي محمد ﷺ، وكان خلقه في الأكل أنه يأكل ما تيسر إذا اشتهاه، ولا يرد موجوداً، ولا يتكلف مفقوداً، فكان إن حضر خبز ولحم أكله، وإن حضر فاكهة وخبز ولحم أكله، وإن حضر تمر وحده أو خبز وحده أكله، وإن حضر حلو وعسل طعمه أيضاً، فلم يكن إذا حضر لوانان من الطعام يقول: لا آكل لونين، ولا يمتنع من طعام لما فيه من اللذة والحلاوة.

وكان أحياناً يمضي الشهران والثلاثة لا يوقد في بيته نار، ولا يأكلون

(١) تذكرة السامع والمتكلم، ص ١٢١.

(٢) العاقبة، ص ٦٩.

إلا التمر والماء، وأحياناً يربط على بطنه الحجر من الجوع، وكان لا يعيب طعاماً، فإن اشتهاه أكله، وإلا تركه. وأُكل على مائدته لحم ضب فامتنع من أكله، وقال: «إنه ليس بحرام، ولكن لم يكن بأرض قومي فأجدني أعافه».

وقد كان اجتمع طائفة من أصحابه على الامتناع من أكل اللحم ونحوه، وعلى الامتناع من تزوج النساء، فأنزل الله - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْرِمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (٨٧) ﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنشَأَ بِهِ مُؤْمِنُكُمْ﴾ (٨٨) [المائدة: ٧٨، ٨٨].

وفي الصحيحين عنه أنه بلغه أن رجلاً قال أحدهم: أما أنا فأصوم ولا أفطر، وقال الآخر: أما أنا فأقوم ولا أنام، وقال الآخر: أما أنا فلا أتزوج النساء، وقال الآخر: أما أنا فلا أكل اللحم، فقال ﷺ: «لكني أصوم وأفطر، وأقوم وأنام، وأتزوج النساء، وأكل اللحم، فمن رغب عن سنتي فليس مني».

وقد قال - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (١٧٢) ﴿[البقرة: ١٧٢]؛ فأمر بأكل الطيبات، والشكر لله، فمن حرم الطيبات كان معتدياً، ومن لم يشكر كان مفرطاً مضيعاً لحق الله .

وفي صحيح مسلم عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله ليرضى من العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، ويشرب الشربة فيحمده عليها» .  
وفي الترمذي وغيره عن النبي ﷺ أنه قال: «الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر» .

فهذه الطريق التي كان رسول الله ﷺ هي أعدل الطرق وأقومها، والانحراف عنها إلى وجهين:

قوم يسرفون فيتناولون الشهوات، مع إعراضهم عن القيام بالواجبات. وقد قال الله - تعالى -: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأعراف: ٣١].

وقال - تعالى -: ﴿ خَلَفَ مِنْ بَدْيِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴾ [مريم: ٥٩].

وقوم يحرمون الطيبات، ويتدعون رهبانية لم يشرعها الله - تعالى -، ولا رهبانية في الإسلام، وقد قال الله - تعالى -: ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْزَمُوا طَيِّبَتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ [المائدة: ٨٧].

وقال - تعالى -: ﴿ يَتَأَيَّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ [المؤمنون: ٥١].

وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين»، فقال - تعالى -: ﴿ يَتَأَيَّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ﴾ [المؤمنون: ٥١].

وقال - تعالى -: ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِنَ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ [البقرة: ١٧٢].

ثم ذكر: «الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده إلى السماء يا رب! يا رب! ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذّي بالحرام، فأني يستجاب له».

وكل حلال طيب، وكل طيب حلال، فإن الله أحل لنا الطيبات، وحرم

علينا الخبائث، لكن جهة طيبه كونه نافعاً لذيداً.

والله حرم علينا كل ما يضرنا، وأباح لنا كل ما ينفعنا بخلاف أهل الكتاب فإنه بظلم منهم حرم الله عليهم طيبات أحلت لهم، فحرم عليهم طيبات لهم، ومحمد ﷺ لم يحرم علينا شيئاً من الطيبات. والناس تتنوع أحوالهم في الطعام واللباس والجوع والشبع، والشخص الواحد يتنوع حاله، ولكن خير الأعمال ما كان لله أطوع، ولصاحبه أنفع، وقد يكون ذلك أيسر العاملين، وقد يكون أشدهما، فليس كل شديد فاضلاً ولا كل يسير مفضولاً، بل الشرع إذا أمرنا بأمر شديد فإنما يأمر به لما فيه من المنفعة، لا لمجرد تعذيب النفس؛ كالجهاد الذي قال الله - تعالى - فيه: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾ [البقر: ٢١٦].

والحج هو الجهاد الصغير، ولهذا قال النبي ﷺ لعائشة - رضي الله عنها - في العمرة: «أجرك على قدر نصبك».

وقال - تعالى - في الجهاد: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجَرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [التوبة: ١٢٠].

وأما مجرد تعذيب النفس والبدن من غير منفعة راجحة، فليس هذا مشروعاً لنا، بل أمرنا الله بما ينفعنا، ونهانا عما يضرنا، وقد قال رسول الله ﷺ: «إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين».

وقال لمعاذ وأبي موسى لما بعثهما إلى اليمن: «يسرا وتيسرا، وبشرا ولا تنفرا».

وقال: «هذا الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فاستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة، والقصد القصد تبلغوا».

وروي عنه أنه قال: «أحب الدين إلى الله الحنيفة السمحة».

فالإنسان إذا أصابه في الجهاد والحج أو غير ذلك حر أو برد أو جوع ونحو ذلك فهو مما يحمد عليه، قال - تعالى -: ﴿وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرْبِ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ (٨١) [التوبة: ١١].

وقبل الختام نخرج سوياً على بيت النبوة الذي حاله وقد عرضت على رسول الله ﷺ كنوز الدنيا، فلم يأخذها وقال: «بل أجوع يوماً وأشبع يوماً، فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك، وإذا شبعت حمدتك وشكرتك».

وسأل ربه أن يجعل له رزق أهله قوتاً، كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -: «اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً».

وفيهما عنه قال: «والذي نفس أبي هريرة بيده ما شبع نبي الله وأهله ثلاثة أيام تباعاً من خبز حتى فارق الدنيا».

وفي صحيح البخاري عن أنس - رضي الله عنه -: «ما أعلم رسول الله ﷺ رأى رغيفاً مرققاً ولا شاة سميماً قط حتى لحق بربه».

وفي صحيحه أيضاً عنه، قال: «خرج النبي ﷺ ولم يشبع من خبز شعير».

وفي صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: «لقد رأيت رسول الله ﷺ يظل اليوم ما يجد دقلاً يملأ بطنه».

وفي المسند والترمذي، عن ابن عباس - رضي الله عنهما -: «كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يبيت الليالي المتتابعات طاوياً وأهله لا



يجدون عشاء، وكان أكثر خبزهم خبز الشعير». وفي الترمذي، من حديث أبي أمامة: «ما كان يفضل أهل بيت رسول الله ﷺ خبز الشعير».

وفي المسند، عن عائشة - رضي الله عنها - : «والذي بعث محمدًا بالحق؛ ما رأى منخلًا ولا أكل منخلًا منذ بعثه الله - عز وجل - إلى أن قبض». قال عروة: فقلت: فكيف كنتم تأكلون الشعير؟ قالت: كنا نقول أف - أي ننفخه - فيطير ما طار ونعجن الباقي».

وفي صحيح البخاري، عن أنس قال: «لقد رهن رسول الله ﷺ درعه بشعير ولقد سمعته يقول: «ما أصبح لآل محمد صاع ولا أمسى، وإنهم لتسعة أبيات».

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: «ما عاب رسول الله ﷺ طعاماً قط، إن اشتهاه أكله، وإن كرهه تركه»<sup>(١)</sup>.

وعن جابر - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ سأل أهله الأدم فقالوا: ما عندما إلا الخل، فدعا به، فجعل يأكل ويقول: «نِعْمَ الأدم الخل، نعم الأدم الخل»<sup>(٢)</sup>.

جعلنا الله وإياكم من الحامدين الشاكرين الذين يؤدون شكر نعمته، وجعل ما أمدنا به من خير عوناً على طاعته، وتجاوز عن خطأنا وتقصيرنا وجهلنا وعمدنا، وغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) متفق عليه.

(٢) رواه مسلم.

A decorative border with intricate floral and scrollwork patterns surrounds the central text.

لا تستوحش لهم الفبراء

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.  
وبعد:

فإن أمر الورع قد ندر وقلّ في هذا الزمن . . . وها هو قلمي ينزوي حياءً أن يكتب في هذا الموضوع، لما في النفس من تقصير وتفريط . ولكن حسبها موعظة تقع في قلب مسلم ينتفع بها . . . وهذا هو الجزء «التاسع عشر» من سلسلة «أين نحن من هؤلاء؟!» تحت عنوان «لا تستوحش لهم الغبراء» ومدار حديثه وسطوره عن الورع والبعد عن الشُّبّه .  
جعل الله لنا نصيباً من ذلك، ورزقنا خوفه سرّاً وعلانية .

**عبد الملك بن محمد بن عبد الرحمن القاسم**

## مدخل

قال الله - تعالى - : ﴿يَتَأْتِيَ الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون : ٥١] .

وقال - تعالى - : ﴿وَيَا بَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر : ٤] .

قال قتادة ومجاهد: نفسك فطهر من الذنب . فكنى عن النفس بالثوب .

وقال ابن عباس : لا تلبسها على معصية ولا غدر<sup>(١)</sup> .

وفي الحديث المشهور عن النبي ﷺ أنه قال : «الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشبهات لا يعلمها كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ ل عرضه ودينه ، ومن وقع في الشُّبهات وقع في الحرام ، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه . . . »<sup>(٢)</sup> .

وقال ﷺ في توجيه لمن أراد النجاة ويبحث عن المخرج : «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك»<sup>(٣)</sup> .

وقال رسول الله ﷺ : «فضل العلم أحب إلي من فضل العباداة ، وخير دينكم الورع»<sup>(٤)</sup> .

وعن عطية بن عروة السعدي الصحابي - رضي الله عنه - قال : قال

(١) مدارج السالكين ، ص ٢١ .

(٢) متفق عليه .

(٣) رواه الترمذي .

(٤) رواه البزار والحاكم وصححه الألباني .

رسول الله ﷺ: «يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به، حذرًا لما به بأس»<sup>(١)</sup>.

وهذا سيد الورعين وصفوة الخلق أجمعين يقول كما روى أبو أمامة عنه أنه ﷺ قال: «عرض عليّ ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهبًا، قلت: لا يا ربي ولكن أشبع يومًا وأجوع يومًا»، أو قال: ثلاثًا، أو نحو هذا «فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك، فإذا شبعت شكرتك وحمدتك»<sup>(٢)</sup>.

بل هاهو إمام الورعين وقدوة المؤمنين - عليه الصلاة والسلام - في تطبيق عملي يترك ثمرة واحدة ورعًا وتقوى... عن أنس - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ وجد ثمرة في الطريق، فقال: «لولا أنني أخاف أن تكون من الصدقة لأكلتها»<sup>(٣)</sup>.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية مبيّنًا أهمية الورع ومكانته: والورع من قواعد الدين<sup>(٤)</sup>.

### أخي المسلم:

الخوف من الله يثمر الورع والاستعانة وقصر الأمل، وقوة الإيمان باللقاء تثمر الزهد، والمعرفة تثمر المحبة والخوف والرجاء، والقناعة تثمر الرضا، والذكر يثمر حياة القلب، والإيمان بالقدر يثمر التوكل، ودوام تأمل الأسماء والصفات يثمر المعرفة، والورع يثمر الزهد أيضًا، والتوبة تثمر المحبة أيضًا، ودوام الذكر يثمرها، والرضا يثمر الشكر،

(١) رواه الترمذي.

(٢) رواه الترمذي وأحمد، وهو ضعيف انظر ضعيف الترمذي بالرقم ٤٠٨.

(٣) متفق عليه.

(٤) مجموع الفتاوى: (٣١٥/٢٩).

والعزيمة والصبر يثمران جميع الأحوال والمقامات، والإخلاص والصدق كل منهما يثمر الآخر ويقتضيه، والمعرفة تثمر الخلق، والفكر يثمر العزيمة، والمراقبة تثمر عمارة الوقت وحفظ الأيام والحياء والخشية والإنابة.

وإماتة النفس وإذلالها وكسرها يوجب حياة القلب وعزه وجبره، ومعرفة النفس ومقتها يوجب الحياء من الله - عز وجل -، واستكثار ما منه، واستقلال ما منك من الطاعات، ومحو أثر الدعوى من القلب واللسان. وصحة البصيرة تثمر اليقين، وحسن التأمل لما ترى وتسمع من الآيات المشهودة والمتلوّة يثمر صحة البصيرة.

وملاك ذلك كله أمران:

أحدهما: أن تنقل قلبك من وطن الدنيا فتسكنه في وطن الآخرة، ثم تقبل به كله على معاني القرآن واستجلائها وتدبرها وفهم ما يراد منه وما نزل لأجله، وأخذ نصيبك وحظك من كل آية من آياته، وتنزلها على داء قلبك.

فهذه طريق مختصرة قريبة سهلة، موصلة إلى الرفيق الأعلى، آمنة لا يلحق سالكها خوف ولا عطب، ولا جوع ولا عطش، ولا فيها آفة من آفات سائر الطريق البتة، وعليها من الله حارس وحافظ يكلاً السالكين فيها ويحميهم، ويدفع عنهم. ولا يعرف قدر هذه الطريق إلا من عرف طرق الناس وغوائلها وآفاتها وقطاعها. والله المستعان<sup>(١)</sup>.

قال الفقيه السمرقندي في تعريف الورع بشكل بيّن واضح لمن أراد أن

(١) مدارج السالكين، ص ٢٩.

يسلك طريق النجاة وينجو بنفسه: الورع الخالص أن يكف بصره عن الحرام، ويكف لسانه عن الكذب والغيبة، ويكف جميع أعضائه وجميع جوارحه عن الحرام.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: إن الواجبات والمستحبات لا يصلح فيها زهد ولا ورع، وأما المحرمات والمكروهات فيصلح فيها الزهد دون الورع<sup>(١)</sup>.

وقال - رحمه الله -: وأما الورع فإنه الإمساك عما قد يضر. فتدخل فيه المحرمات والشبهات لأنها قد تضر<sup>(٢)</sup>.

قال وهيب بن الورد في نصيحة صادقة وكلمات غالية: إذا أردت البناء فأسسسه على ثلاث: على الزهد والورع والنية، فإنك إن أسسته على غير هؤلاء انهدم البناء<sup>(٣)</sup>.

وقال الضحاك: لقد أدركت أصحابي وما يتعلمون إلا الورع<sup>(٤)</sup>.  
وقال يحيى بن معاذ: الورع اجتناب كل ريبة، وترك كل شبهة، والوقوف مع الله على حد العلم من غير تأويل<sup>(٥)</sup>.

ومن صور الورع في صدر الأمة ما كان عليه الخليفة الراشد أبو بكر الصديق - رضي الله عنه -، فعن زيد بن أرقم قال: كان لأبي بكر الصديق مملوك يغلُّ عليه، فأتاه ليلة بطعام فتناول منه لقمة، فقال له المملوك: ما

(١) مجموع الفتاوى: (٦١٩/١٠).

(٢) مجموع الفتاوى: (٦١٥/١٠).

(٣) الزهد الكبير للبيهقي، ص ٣١٠.

(٤) المرجع السابق.

(٥) الزهد للبيهقي ص ٣١٩.

لك كنت تسألني كل ليلة ولم تسألني الليلة؟ قال: حملني على ذلك الجوع، من أين جئت بهذا؟ قال: مررت بقوم في الجاهلية فرقت لهم فوعدوني، فلمّا أن كان اليوم مررت بهم فإذا عرس لهم فأعطوني، فقال: أفّ لك، كدت تهلكني، فأدخل يده في حلقه فجعل يتقيأ وجعلت لا تخرج، فقيل له: إن هذه لا تخرج إلا بالماء، فدعا بعُسٍّ من ماء فجعل يشرب ويتقيأ فرمى بها، فقيل له: يرحمك الله، كل هذا من أجل هذه اللقمة؟! فقال: لو لم تخرج إلا مع نفسي لأخرجتها<sup>(١)</sup>.

### الله أكبر: أين نحن من هؤلاء؟

وروي عن عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - أنه أتى بزيت من الشام وكان الزيت في الجفان (يعني في القصاع) وعمر يقسمه بين الناس بالأقداح، وعنده ابن له شعرات، فكلما أفرغت جفنة مسح بقيتها برأسه، فقال له عمر - رضي الله عنه -: أرى شعرك شديد الرغبة على زيت المسلمين ثم أخذ بيده فانطلق إلى الحجّام فحلق شعره وقال: هذا أهون عليك<sup>(٢)</sup>.

قال حذيفة موصياً الحريصين على آخرتهم من يريدون نقاء صحائفهم وبيضها يوم القيامة: تعاهدوا أرقّاءكم فانظروا من أين يجيئون بضرابهم فإنه لا يدخل الجنة لحمٌ نبت من سُحت<sup>(٣)</sup>.

ولهذا قال مطرف بن عبد الله: إنّك لتلقى الرجلين أحدهما أكثر صلاة وصومًا وصدقة والآخر أفضل منه بونًا بعيدًا، قيل له: كيف ذاك قال:

(١) صفة الصفوة: (١/٢٥١).

(٢) تنبيه الغافلين، ص ٢٤٥.

(٣) الزهد للإمام أحمد، ص ٢٦٣.



يكون أحدهما أشد ورعاً لله - عز وجل - عن محارمه<sup>(١)</sup>.

والمقصود: أن الورع يطهر دنس القلب ونجاسته كما يطهر الماء دنس الثوب ونجاسته. وبين الثياب والقلوب مناسبة ظاهرة وباطنة. ولذلك تدل ثياب المرء في المنام على قلبه وحاله. ويؤثر كل منهما في الآخر. ولهذا نُهي عن لباس الحرير والذهب، وجلود السباع، لما تؤثر في القلب من الهيئة المنافية للعبودية والخشوع. وتأثير القلب والنفس في الثياب أمر خفي. يعرفه أهل البصائر من نظافتها ودنسها ورائحتها، وبهجتها وكسفتها، حتى أن ثوب البر ليُعرف من ثوب الفاجر، وليسا عليهما.

وقد جمع النبي ﷺ الورع كله في كلمة واحد فقال: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه» فهذا يَعُمُّ الترك لما لا يعني: من الكلام، والنظر، والاستماع، والبطش، والمشي، والفكر، وسائر الحركات الظاهرة والباطنة. فهذه الكلمة كافية شافية في الورع<sup>(٢)</sup>.

قال إبراهيم بن أدهم: الورع ترك كل شبهة، وترك ما لا يعينك هو ترك الفضول.

وفي الترمذي مرفوعاً إلى النبي ﷺ: «يا أبا هريرة، كن ورعاً تكن أعبد الناس».

قال الشبلي: الورع أن يتورع عن كل ما سوى الله.

ولغلبة الهوى وحظ النفس وشهوتها قال إسحاق بن خلف: الورع في المنطق أشد منه في الذهب والفضة، والزهد في الرياسة أشد منه في

(١) الزهد للإمام أحمد، ص ٣٤٣.

(٢) مدارج السالكين، ص ٢١.

الذهب والفضة لأنهما يُبذلان في طلب الرياسة .

وقال أبو سليمان الدَّاراني: الورع أول الزهد، كما أن القناعة أول الرضا<sup>(١)</sup>.

وتأمل في حال صدر الأمة الأول وكيف كانوا يتورعون . .

قال بعض الصحابة: كنَّا ندع سبعين بابًا من الحلال مخافة أن نقع في باب من الحرام<sup>(٢)</sup>.

ولغفلة الناس عن أمر الورع قالت عائشة - رضي الله عنها -: إنكم لتغفلون عن أفضل العبادة وهو الورع<sup>(٣)</sup>.

قال عيسى - عليه الصلاة والسلام -: لو صليتم حتى تصيروا مثل الحنايا، وصُمتتم حتى تكونوا أمثال الأوتاد، وجرى من أعينكم الدموع أمثال الأنهار، ما أدركتم ما عند الله إلا بورع صادق .

وروي عن ابن المبارك - رحمه الله - أنه قال: تركُ فلسٍ من حرام أفضل من مائة ألف فلس أتصدق بها .

وعنه أنه كان بالشام يكتب الحديث، فانكسر قلمه فاستعار قلمًا فلما فرغ من الكتابة نسي فجعل القلم في مقلته، فلمَّا رجع إلى مَرَوْ ورأى القلم عرفه فتجهَّز للخروج إلى الشام لردِّ القلم .

وتأمل في وصايا الآباء، لأبنائهم وهي وصايا صادقة إنها جواهر ودرر .

عن سفيان قال: قال لقمان لابنه: يا بني، إن الدنيا بحر عميق غرق

(١) مدارج السالكين، ص ٢٢ .

(٢) مدارج السالكين، ص ٢٣ .

(٣) الإحياء: (١٠٣/٢) .

فيها ناس كثير، فلتكن سفيتك فيها تقوى الله، وزيادتها الإيمان بالله، ومشعرها التوكل على الله، لعلك تنجو، وما أراك ناجياً<sup>(١)</sup>.

والورع: توق مستقصى على حذر. وتخرج على تعظيم.

قال ابن القيم - رحمه الله -: يعني أن يتوقى الحرام والشبه وما يخاف أن يضره أقصى ما يمكنه من التوقي.

والتوقي: فصل الجوراح.

والحذر: فصل القلب.

ويكون الباعث على الورع عن المحارم والشبه: إما حذر الوعيد، وإما تعظيم الرب جل جلاله -، وإجلالاً له أن يتعرض لما نهى عنه، فقد يتوقى العبد الشيء لا على وجه الحذر والخوف، ولكن لأمر أخرى، من إظهار نزاهة، وعزة وتصوف، أو اعتراض آخر، كتوقي الذين لا يؤمنون بمعاد ولا جنة ولا نار ما يتوقونه من الفواحش والدناءة تصوناً عنها، ورغبة بنفوسهم عن مواقفها، وطلباً للمحمدة ونحو ذلك<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي موسى الأشعري - رضي الله تعالى عنه - أنه قال: لكل شيء حد. وحدود الإسلام: الورع، والتواضع، والشكر، والصبر. فالورع ملاك الأمور، والتواضع براءة من الكبر، والصبر النجاة من النار، والشكر الفوز بالجنة<sup>(٣)</sup>.

وانظر إلى المسابقين في الخيرات الحريصين على دينهم ممّن قدموا الآخرة على الدنيا والباقية على الفانية.

(١) الزهد للبيهقي، ص ٣٣٥.

(٢) مدارج السالكين، ص ٢٣.

(٣) تنبيه الغافلين، ص ٢٤٤.

قال حسان بن أبي سنان: ما شيء أهون عندي من الورع إذا رابني شيء تركته<sup>(١)</sup>.

ولكن لا يُظن أن هذا الترك سهل ميسور لكل أحد، بل إنه منحة ربانية لمن وفقه الله وأعانه وإلا فهو لغيرهم كما قال الحسن البصري: طلب الحلال أشد من لقاء الزحف<sup>(٢)</sup>.

وأثر الحلال الذي لا شبهة فيه واضح بيّن، هذا عبدالله بن المبارك يقول عن ردّ الشبه ومنزلتها العظيمة: لأن أرد درهماً من شبهة، أحب بمائة ألف ومائة ألف... حتى بلغ ستمائة ألف<sup>(٣)</sup>.

وتأمل - أخى الكريم - في أثر الحرام على النفس.

قال سهل - رحمه الله -: من أكل الحرام عصت جوارحه شاء أم أبى، علم أو لم يعلم، ومن كانت طعمته حلالاً أطاعته جوارحه، ووفقت للخيرات.

وللخوف العظيم والوجل المستمر من يوم تتطير فيه الصحف ويحاسب فيه العبد على أمثال مثقال الذر.

قال الحسن: ما زالت التقوى بالمتقين حتى تركوا كثيراً من الحلال مخافة الحرام<sup>(٤)</sup>.

وقال سليمان بن داود: أوتينا ممّا أوتي النَّاس ومما لم يُؤْتوا، وعلمنا مما علِمَ النَّاس ومما لم يَعْلَموا، فلم نجد شيئاً أفضل من تقوى الله في السرِّ

(١) جامع العلوم والحكم، ص ١٣١.

(٢) الورع لابن أبي الدنيا، ص ١١٧.

(٣) الورع لابن أبي الدنيا، ص ١١٩.

(٤) جامع العلوم والحكم، ص ١٠.

والعلانية، والعدل في الغضب والرضا، والقصد في الفقر والغنى<sup>(١)</sup>.

**أخي الحبيب.. أين نحن من هؤلاء؟!**

قال الفضيل: يزعم الناس أن الورع شديد، وما ورد عليّ أمران إلا أخذت بأشدهما<sup>(٢)</sup>.

قال ابن عمر - رضي الله عنهما: - إنّي لأحب أن أدع بيني وبين الحرام سترَةً من الحلال لا أخرقها<sup>(٣)</sup>.

لأنها إذا انخرقت فتُح باب الحرام وهان الولوج فيه.

وقال عمر - رضي الله عنه -: إن من تمام التقوى أن يتقي العبد في مثقال ذرة حتى يترك بعض ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حراماً حتى يكون حجاباً بينه وبين النار<sup>(٤)</sup>.

عن ميمون بن مهران: لا يكون الرجل تقياً حتى يكون لنفسه أشد محاسبة من الشريك لشريكه، وحتى يعلم من أين ملبسه ومطعمه ومشربه<sup>(٥)</sup>.

ولعظم أمر الحلال ومنزله عند الله - عز وجل - قال يونس بن عبيد: لو أعلم موضع درهم من حلال من تجارة لا شترت به دقيقاً، ثم عجنته ثم خبزته ثم جفّفته ثم دقّته أداوي به المرضى.

قال غالب القطان: ذكر الحلال عند بكر بن عبدالله المزني فقال بكر:

(١) الفوائد، ص ٧١.

(٢) جامع العلوم والحكم، ص ١٣١.

(٣) جامع العلوم والحكم، ص ٩٠.

(٤) الإحياء: (١٠٨/٢).

(٥) السير: (٧٤/٥).

إن الحلال لو وُضع على جرح لبرى<sup>(١)</sup>.  
وقال إبراهيم بن أدهم: ما أدرك من أدرك إلا من كان يعقل ما يدخل  
جوفه<sup>(٢)</sup>.

أما يحيى بن معاذ فإنه يقول - رضي الله عنه -: كيف يكون زاهدًا من لا  
ورع له، تورّع عما ليس لك ثم ازهد فيما لك<sup>(٣)</sup>.

وقال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: لا تنظروا إلى صلاة امرئ  
ولا صيامه، ولكن انظروا إلى صدق حديثه إذا حدث، وإلى ورعه إذا  
أشقى، وإلى أمانته إذا أوثمن<sup>(٤)</sup>.

ولنفسى - المقصورة - وللأحبة القراء تعريف سريع للورع، وهو جادة  
لمن أراد النجاة وسعى إلى الفوز بجنة عرضها السماوات والأرض.  
قيل لابن سيرين: ما أشد الورع؟ فقال: ما أيسره؛ إذا شككت في  
شيء فدعه.

وقال هشام: كنا قعودًا ومعنا يونس بن عبيد وذكرنا شيئًا، فتذكروا  
أشد الأعمال، فاتفقوا على الورع، فجاء حسان بن أبي سنان فقالوا: قد  
جاء أبو عبدالله، فجلس فأخبروه بذلك، فقال حسان: إن للصلاة لمؤنة،  
وإن للصيام لمؤنة، وإن للصدقة لمؤنة، وهل الورع إلا إذا رابك شيء  
تركته<sup>(٥)</sup>.

(١) الورع لابن أبي الدنيا، ص ١١٧.

(٢) الإحياء: (١٠٣/٢).

(٣) وفيات الأعيان: (١٦٥/٦).

(٤) الورع لابن أبي الدنيا، ص ١٢١.

(٥) الورع لابن أبي الدنيا، ص ٥٧.

وجاء رجل إلى عبد الله بن عبد العزيز فقال: عطني، فأخذ حصاة من الأرض فقال: زنة هذه من الورع يدخل قلبك خير لك من صلاة أهل الأرض. قال: زدني، قال: كما تحب أن يكون الله - عز وجل - لك غداً فكن له اليوم<sup>(١)</sup>.

وعن أنس - رضي الله عنه - قال: «إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر، كنا نعدها على عهد رسول الله ﷺ من الموبقات»<sup>(٢)</sup>.  
\* قال محمد بن كعب القرظي: ثلاث خصال إن استطعت أن لا تترك شيئاً منها أبداً فافعل:

لا تبغين على أحد فإن الله - تعالى - يقول: ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ [يونس: ٢٣].

ولا تمكرن على أحد مكرًا فإن الله - تعالى - يقول: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: ٤٣].

ولا تنكش عهداً أبداً فإن الله - تعالى - يقول: ﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ [الفتح: ١٠].

\* وقال إبراهيم بن أدهم - رحمه الله تعالى -: الزهد ثلاثة أصناف:  
زهد فرض، وزهد فضل، وزهد سلامة:  
فالزهد الفرض: هو الزهد في الحرام.  
والزهد الفضل: هو الزهد في الحلال.  
وزهد السلامة: هو الزهد في الشبهات.

(١) صفة الصفوة: (١٨٣/٢).

(٢) رواه البخاري.

\* وقال أيضاً: الورع ورعان: ورع فرض، وورع حذر:

فالورع الفرض: الورع عن معاصي الله - تعالى - .

والورع الحذر: الورع عن الشبهات.

\* وقال أيضاً: والحزن حزنان: حزن لك وحزن عليك:

فالحزن الذي هو لك: حزنك على الآخرة.

والحزن الذي هو عليك: حزنك على الدنيا وزينتها<sup>(١)</sup>.

وكن - أخي المسلم - مثل حبيب بن محمد حيث قالت امرأته عنه:

كان يقول: إن مت اليوم فأرسلني إلى فلان يُغسلني، وافعلي كذا واصنعي

كذا، فقليل لامرأته: أراي رؤيا؟ قالت: هذا قوله كل يوم<sup>(٢)</sup>.

قال العلاء بن زياد: إنكم في زمانٍ أفلُكم الذي ذهب عشر دينه،

وسياتي عليكم زمان أفلُكم الذي يبقى عليه عشر دينه<sup>(٣)</sup>.

ولننظر إلى حال بعض الصالحين وسيرتهم في مواقف معبرة من

حياتهم، فمن ذلك ما روي عن يحيى بن كثير أنه شرب الدواء، فقالت له

امرأته: لو تمشيت في الدار قليلاً حتى يعمل الدواء، فقال: هذه مشية لا

أعرفها، وأنا أحاسب نفسي منذ ثلاثين سنة. فكأنه لم تحضره نية في هذه

المشية تتعلق بالدين، فلم يُجز الإقدام عليها<sup>(٤)</sup>.

ومن علامات الطريق والسير مع الصالحين التواصي بالحق والتزود

بنصيحة الأخ المحب المشفق، فحينما ودَّع ابن عون رجلاً قال له: عليك

(١) تنبيه الغافلين، ص ٢٤٥.

(٢) صفة الصفوة: (٣/٣٢٠).

(٣) السير: (٢/٢٤٦).

(٤) الإحياء: (٢/١١٠).



بتقوى الله، فإن المتقي ليست عليه وحشة<sup>(١)</sup>.

ولمن يتبعون الرُّخص هوى واتباعاً للشهوات، وخروجاً من التكاليف... إليهم قول سليمان التيمي: لو أخذت برخصة كل عالم اجتمع فيك الشر كله<sup>(٢)</sup>.

\* قال بعض الحكماء: أمرُ الدنيا كلها عجب ولكنني أتعجب من ابن آدم المغرور في خمسة أشياء:

أولها: أتعجب من صاحب فضول الدنيا كيف لا يقدم فضوله ليوم فقره وحاجته إليه.

والثاني: من لسان ناطق كيف يطاوع نفسه ويعرض عن ذكر الله - تعالى - وعن تلاوة القرآن.

والثالث: أتعجب من صحيح فارغ رأيته مفطراً أبداً كيف لا يصوم من كل شهر ثلاثة أيام أونحوه، وكيف لا يتفكر في عاقبة الصوم إذا استقبله.

والرابع: أتعجب من الذي يمهد فراشه وينام إلى الصبح، كيف لا يتفكر في فضل صلاة ركعتين في الليل فيقوم ساعة من الليل.

والخامس: أتعجب من الذي يجترىء على الله ويرتكب ما نهاه عنه وهو يعلم أنه يُعرض عليه يوم القيامة فكيف لا يتفكر في عاقبة أمره لينزجر عنه<sup>(٣)</sup>.

وعلى اختلاف مشارب الناس وطرقهم في هذا الزمن وقلة الورعين إلا

(١) الفوائد، ص ٧١.

(٢) السير: (١٩٨/٦).

(٣) تنبيه الغافلين، ص ٢٤٤.

أنهم قد يصابون في مقتل وذلك بتحزُّزهم في أمور وترك غيرها فيكون ورعهم مخرومًا وطريقهم صعبًا.

قال ابن الجوزي: رأيت كثيرًا من الناس يتحرزون من رشاش نجاسة، ولا يتحاشون من غيبة، ويكثرون من الصدقة، ولا يبالون بمعاملات الربا، ويتعجلون بالليل، ويؤخرون الفريضة عن الوقت، في أشياء يطول عددها، من حفظ فروع وتضييع أصول.

فبحثت عن سبب ذلك، فوجدته من شيئين: أحدهما: العادة، والثاني: غلبة الهوى في تحصيل المطلوب، فإنه قد يغلب، فلا يترك سمعًا ولا بصرًا.

ومن هذا القبيل أن إخوة يوسف قالوا حين سمعوا صوت المنادي: ﴿إِنَّكُمْ لَسَّرِقُونَ﴾ [يوسف: ٧٠]: ﴿لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾ [يوسف: ٧٣]، فجاء في التفسير: أنهم لما دخلوا مصر كمّموا أفواه إبلهم، لئلا تتناول ما ليس لهم، فكأنهم قالوا: قد رأيتهم ما صنعنا بإبلنا فكيف نسرق؟ ونسُوا هم التفاوت بين الورع واختطاف أكلة لا يملكونها، وبين إلقاء يوسف - عليه السلام - في الحب وبيعه بثمن بخس.

وفي الناس من يطيع في صغار الأمور دون كبارها، وفيما كُلفته عليه خفيفة أو معتادة، وفيما لا ينقص شيئًا من عادته في مطعم وملبس.

نرى أقوامًا يأخذون الربا، ويقول أحدهم: كيف يراني عدوي بعد أن بعث داري، أو تغير ملبوسي ومركوبي؟!

ونرى أقوامًا يوسوسون في الطهارة، ويستعملون الكثير من الماء، ولا يتحاشون من غيبة.

وأقوامًا يستعملون التأويلات الفاسدة في تحصيل أغراضهم، مع علمهم أنَّها لا تجوز.

حتى إني رأيت رجلًا من أهل الخير والتعب، أعطاه رجل مالا ليبيني به مسجداً، فأخذه لنفسه، وأنفق عوض الصحيح قراضة، فلمَّا احتضر قال لذلك الرجل: اجعلني في حلٍّ؛ فإني فعلت كذا وكذا.

ونرى أكوامًا يتركون الذُّنوب لبعدهم عنها، فقد أَلْفُوا التَّركَ، وإذا قربوا منها لم يتمالكوا.

وفي الناس من هذه الفنون عجائب يطول ذكرها.

وقد علمنا أن خلقًا من علماء اليهود كانوا يحملون ثقل التَّعب في دينهم، فلمَّا جاء الإسلام وعرفوا صحته لم يطيقوا مقاومة أهوائهم في محور رياستهم.

وكذلك قيصر، فإنه عرف رسول الله ﷺ بالدليل، ثم لم يقدر على مقاومة هواه وترك ملكه.

فالله الله في تضييع الأصول، ومن إهمال سرح الهوى؛ فإنه إن أهملت ماشية نفشت في زروع التقى.

وما مثل الهوى إلا كسُبع في عنقه سلسلة، فإن استوثق منه ضابطه كَفَّه، وربما لاحت له شهواته الغالبة عليه، فلم تقاومها السلسلة، فأفلت.

على أن من الناس من يكف هواه بسلسلة، ومنهم من يكفه بخيط،

فينبغي للعاقل أن يحذر شياطين الهوى، وأن يكون بصيرًا بما يقوى عليه من أعدائه، وبمن يقوى عليه<sup>(١)</sup>.

ولمن يحملون على ظهورهم حقوق الآخرين غير مبالين بذلك نسوق لهم واقعة امرأة احتاجت إلى دينٍ لسدِّ فاققتها وحاجتها ثم نسمع، جواب إمام أهل السنة عن ذلك وتوبيخه لها!!  
استقرضت امرأة رغيفين فقال أحمد بن حنبل: ما أجراك! تبيتين وعليك دين<sup>(٢)</sup>؟

وعن بعض الصالحين أنه رُوي بعد موته في المنام، ف قيل له: ما فعل الله بك؟ قال: خيرًا، غير أنني محبوس عن الجنة بإبرة استعرتها فلم أردها<sup>(٣)</sup>.

هذا في إبرة وتلك في رغيفين! فكيف بمن فتح الباب على مصراعيه من أخذ حقوق الناس والتحايل عليهم، ونقص الموازين وتطفيف المكاييل، والتعدي على أموال بيت مال المسلمين.. ومن تتبع الأمر أعياه طول الطريق.

**أخي الحبيب.. أين نحن من هؤلاء؟**

كان الضحّاك صاحب بشر بن الحارث يجيء إلى أخته حين مات زوجها، فيبيت عندها فيجيء معه بشيء يقعد عليه، ولم ير أن يقعد على ما خلف من غلة الورثة.

قال أحمد بن ماهان: سئل أحمد بن حنبل عن مسألة في الورع،

(١) صيد الخاطر، ص ٢٣٣.

(٢) الورع للإمام أحمد بن حنبل، ص ٤٢.

(٣) الكبائر للذهبي، ص ١٢١.

فقال: أنا أستغفر الله، لا يحلُّ لي أن أتكلم في الورع وأنا أكل من غلة بغداد! لو كان بشرُّ بن الحارث، صلح أن يجيبك عنه، لأنه كان لا يأكل من غلة بغداد ولا من طعام السَّواد.

وقال الحسن بن محمد بن أعين: سمعتُ أحمد بن حنبل يقول: لو لا بشرُّ وما نرجو من استغفاره لنا لكنا في عطلة! <sup>(١)</sup>.

أما الإمام الورع الزاهد سعيد بن المسيب فقد كان لا يقبل من أحد شيئاً لا ديناراً ولا درهماً ولا شيئاً <sup>(٢)</sup>.

وقال إدريس الحداد: كان أحمد بن حنبل إذا ضاق به الأمر آجر نفسه من الحاقة، فلمَّا كان أيام المحنة وصُرفَ إلى بيته... حُمِلَ إليه مال فردّه وهو محتاج إلى رغيّف، فجعل عمه إسحاق يحسب ما رد فإذا هو نحو خمسمائة ألف، قال: فقال: يا عم لو طلبناه لم يأتنا، وإنما أتانا لمَّا تركنا <sup>(٣)</sup>.

وقال يحيى بن سعيد: زاملتُ أبا بكر بن عياش إلى مكة، فما رأيت أروع منه، لقد أهدى له رجل رطباً، فبلغه أنه من بستانٍ أخذ من خالد بن سلمة المخزومي، فأتى آل خالد، فاستحلَّهم، وتصدق بثمانه <sup>(٤)</sup>.

وتأمَّل بركة المال الحلال في سعادة القلب وصلاح الذرية، قال إسماعيل المحدث والد الإمام البخاري عن موته: لا أعلم في جميع مالي درهماً من شبهة.

(١) الورع للإمام أحمد بن حنبل، ص ٢٩١.

(٢) حلية الأولياء: (١٦٧/٢).

(٣) السير: (٣٠٠/١١).

(٤) السير: (٤٩٩/٨).

ويكفي هذا الأب فخراً وعظماً أجر إنجابه وتربيته لابنه صاحب أصح الكتب بعد كتاب الله - عز وجل - صحيح البخاري الذي تلقته الأمة بالقبول ..

وقد غفل عن هذا الأمر كثير من الآباء والأمهات فأدخلوا بطون أبنائهم من السحت والحرام وهم يبحثون بعد ذلك عن الصلاح والهداية، والرسول ﷺ يقول: «كل جسم نبت من سحت فالنار أولى به»<sup>(١)</sup>.

وبعض الناس يتوهم أن الحرام فقط في الربا والرشوة، وما علم أن إضاعته دقيقة من عمله الذي يأخذ عليه أجراً هو مال حرام وكسب لا يجوز!! وتأمل كم يدخل البطون من أموال الموظفين والمدرسين والمدارس من تضييع الدقائق التي يأخذون عليها أجراً!! ولو جمعت تلك الدقائق لأصبحت ساعات!! وصدق الرسول ﷺ حيث قال: «يأتي على الناس زمان لا يبالي المرء ما أخذ منه، أمن الحلال أم من الحرام؟».

ومن صور الورع ماروي أن عمر - رضي الله عنه - وصله مسك من البحرين فقال: وددت لو أن امرأة وزنت حتى أقسمه بين المسلمين، فقالت امرأته عاتكة: أنا أجيد الوزن، فسكت عنها، ثم أعاد القول فأعادت الجواب، فقال: لا أحببت أن تضعيه بكفة ثم تقولين فيها أثر الغبار فتمسحين بها عنقك فأصيب بذلك فضلاً على المسلمين.

وكان يوزن بين يدي عمر بن عبدالعزيز مسك للمسلمين، فأخذ بأنفه

(١) رواه أحمد وابن حبان.

حتى لا تصيبه الرائحة وقال: وهل ينتفع منه إلا بريحه لما استبعد ذلك منه<sup>(١)</sup>.

قالت فاطمة ابنة عبد الملك: انتهى عمر بن عبد العزيز يوماً عسلاً، فلم يكن عندنا، فوجهنا رجلاً على دابة من دواب البريد إلى بعلبك بدينار فأتى بعسل، فقلت: إنك ذكرت عسلاً، وعندنا عسل، فهل لك فيه؟ قالت: فأتيناه به فشرب، ثم قال: من أين لكم هذا العسل؟ قالت: وجَّهنا رجلاً على دابة من دواب البريد بدينار إلى بعلبك، فاشترى لنا عسلاً، فأرسل إلى الرجل فقال: انطلق بهذا العسل إلى السوق فبعه، واردد إلينا رأس مالنا، وانظر إلى الفضل فاجعله في علف دواب البريد، ولو كان ينفع المسلمين قيء لتقيأت<sup>(٢)</sup>.

ولمنازل الأخيار تميز، ولحياتهم نموذج عبادة وإشراقات وروع. هذه إحداهن تستفتي في أمر لا يخطر اليوم على بال..

ذهبت أخت بشر الحافي إلى الإمام أحمد بن حنبل فقالت: إني ربما طفيء السراج وأنا أغزل على ضوء القمر، فهل عليّ عند البيع أن أميز هذا من هذا؟ فقال: إن كان بينهما فرق فميّري للمشتري<sup>(٣)</sup>.

وجاء مجمع التيمي بشاة يبيعها، فقال: إني أحسب أو أظن في لبنها ملوحة.

(١) الإحياء: (١٠٩/٢).

(٢) الورع للإمام أحمد ص ٨٥.

(٣) البداية والنهاية: (٣٣٨/١٠).

وباع محمد بن واسع حماراً له بسوق بلخ، فقال له رجل: أترضاه لي؟ قال: لو رضيته لم أبعه<sup>(١)</sup>.

وهذا امتثالاً لأمر النبي ﷺ: «البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما»<sup>(٢)</sup>.  
فأين من يبيعون اليوم بالغش والخداع والتدليس؟!

قال الحسن بن عرفة قال لي ابن المبارك: استعرت قلماً بأرض الشام فذهب عليّ أن أردّه إلى صاحبه، فلما قدمت مرو نظرت فإذا هو معي، فرجعت يا أبا علي إلى أرض الشام حتى رددته على صاحبه<sup>(٣)</sup>.

واستفتى أحدهم الإمام أحمد بن حنبل، في المشي على العبارة التي يجري فيها ماء السقية إلى آبار الناس؟ قال: لا، وكره المشي عليها، وقال إنما صُيِّرَت هذه للماء، وأن يجري فيها، وقال: هذه تخرب، يعني إذا مشى عليها. وهكذا قال في المغتسل، لا يُغطى به البئر، إذا حفرت في المسجد، وقال: إنما جعل ذلك للموتى.

قال أبو بكر: رأيت أنابشر بن الحارث يمشي على العبارة بعد ما صلى على جنازة، وكان عندي من ضرورة، وذلك أن الناس ازدحموا خلفه ينظرون إليه<sup>(٤)</sup>.

وهذا الدين لو يُتقى كما تتقى الملابس ويحافظ عليها لتغيرت الحال..

(١) الورع لابن أبي الدنيا ص (١٠٦).

(٢) متفق عليه.

(٣) صفة الصفوة: (١٤٥/٤).

(٤) الورع للإمام أحمد، ص ٣١.



قال سلمة بن دينار لجلسائه: لوددت أن أحدكم يتقي على دينه كما يتقي على نعله.

ولا شك أن من يتقي على دينه ويحوطه بالرعاية والضيانة عن أثر الشبه والحرام لهو في خير عظيم.

قال الحسن: إن أيسر الناس حسابًا يوم القيامة، الذين حاسبوا أنفسهم لله في الدنيا فوقفوا عند همومهم وأعمالهم، فإن كان الذي همُّوا به لله، مضوا فيه، وإن كان عليهم أمسكوا، وإنما يثقل الحساب يوم القيامة على الذين جازفوا الأمور في الدنيا، أخذوها على غير محاسبة، فوجدوا الله قد أحصى عليهم مثاقيل الذر، ثم قرأ: ﴿يَوَلِّينَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

### أخي المسلم:

إنني وجدت فلا تظنني غيـره  
أن الثورع عند هذا الدرهم  
فإذا قدرت عليه ثم تركته  
فاعلم بأن تقاك تقوى المسلم<sup>(١)</sup>

قال علي بن ثابت: لو لقيت سفيان الثوري في طريق مكة ومعك  
فلسان تريد أن تتصدق بهما وأنت لا تعرف سفيان ظننت أنك ستضعهما  
في يده<sup>(٢)</sup>.

(١) مكاشفة القلوب، ص ٣٢٩.

(٢) صفة الصفوة: (١٤٧/٣).

قال المثنى بن عبدالله: كتبت إلى عم لي وكان جليسا للحسن أنه: يكفي من الدعاء مع الورع ما يكفي القدر من الملح<sup>(١)</sup>. وحتى الأموال التي أحبها الناس وساروا خلفها في كل ناحية وتبعوها في كل جهة، تركها الكثير تورعا وخشية.. فقد تنزه يزيد بن زريع عن خمسمائة ألف ميراث أبيه فلم يأخذه وكان أبوه ولي الأعمال للسلطين<sup>(٢)</sup>.

### أخي الحبيب.. أين نحن من هؤلاء؟!!

كان جابر بن يزيد يتحدث مع بعض أهله فمر بحائط قوم فانتزع منه قصبة فجعل يطرد بها الكلاب عن نفسه، فلما أتى البيت وضعها في المسجد، فقال لأهله: احتفظوا بهذه القصبة فإنني مررت بحائط قوم فانتزعتها منه، قالوا: سبحان الله يا أبا الشعثاء: ما بلغ بقصبة؟ فقال: لو كان كل من مر بهذا الحائط أخذ منه قصبة لم يبق منه شيء، فلما أصبح ردها<sup>(٣)</sup>.

وكم في الناس اليوم من يأخذ من أموال محرمة! فهذه أموال المسلمين لا يبالي أن ينفقها، وتلك استحلها وسماها بغير اسمها، وثالث يقول: مثلي مثل غيري والكل أخذ وأنا منهم. والله - عز وجل - يقول: ﴿كُلْ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةً﴾ [المدثر: ٣٨].

قال إبراهيم التيمي: لقد أدركت ستين من أصحاب عبدالله في مسجدنا هذا وأصغرهم الحارث بن سويد، وسمعته وهو يقرأ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتْ...﴾

(١) الورع لابن أبي الدنيا، ص ١٢٦.

(٢) جامع العلوم والحكم، ص ١٣٢.

(٣) حلية الأولياء: (٨٧/٣).

حتى بلغ ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾ بكى، ثم قال: إن هذا الإحصاء شديد (١).

وتأمل في جواب صفوة الخلق نبي هذه الأمة فقد قال أبو بكر - رضي الله عنه - لرسول الله ﷺ: شئت يا رسول الله. قال ﷺ: «شئتني هود، والواقعة، وعم يتساءلون، وإذا الشمس كورت» (٢).

**أخي الحبيب.. أين نحن من هؤلاء؟!**

قال الوراق: ركبنا يوماً إلى الرمي ونحن بفربر، فخرجنا إلى الدرب الذي كان يؤدي إلى الفرضة، فجعلنا نرمي، فأصاب سهم أبي عبد الله (الإمام البخاري) وتد القنطرة التي على النهر، فانشق الوتد، فلما رأى ذلك نزل عن دابته فأخرج السهم من الوتد وترك الرمي، وقال لنا: ارجعوا، فرجعنا، فقال لي: يا أبا جعفر، لي إليك حاجة، وهو يتنفس الصعداء، فقلت: نعم، قال: تذهب إلى صاحب القنطرة فتقول: إنا أخللنا بالوتد فنحب أن تأذن لنا في إقامة بدله أو تأخذ ثمنه، وتجعلنا في حلٍّ مما كان منا، وكان صاحب القنطرة حميد بن الأخصر فقال لي: أبلغ أبا عبد الله السلام، وقل له: أنت في حل مما كان منك فإن جميع ملكي لك الفداء، فأبلغته الرسالة فتهلل وجهه وأظهر سروراً كثيراً، وقرأ ذلك اليوم للغرباء خمسمائة حديث وتصدق بثلاثمائة درهم (٣).

وحين مر عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - بقرية دُمره أمر غلامه أن يقطع له مسواكاً من صفصاي على نهر بردى، فمضى ليفعل، ثم قال له:

(١) الزهد للبيهقي، ص ٣٢٤.

(٢) رواه أحمد والترمذي.

(٣) مقدمة الفتح، ص ٤٨٠.

ارجع ، فإنه إن لا يكن بثمان ، فإنه يبس ، فيعود خطباً بثمان<sup>(١)</sup> .  
ومن الورع البعد عن حقوق الناس وأن يلي منها شيئاً قضاءً أو إمارة أو ولاية . . قال الربيع بن عاصم : أرسلني يزيد بن عمر بن هبيرة ، فقدمت بأبي حنيفة عليه ، فأراد أن يكون حاكماً على بيت المال فأبى ، فضربه عشرين سوطاً ، فانظر كيف هرب من الولاية واحتمل العذاب<sup>(٢)</sup> .  
قال الهيثم بن جميل : سمعت مالكا (الإمام) سئل عن ثمان وأربعين مسألة فأجاب في اثنين وثلاثين منها بـ (لا أدري)<sup>(٣)</sup> .  
وسأل رجل مالك بن أنس عن مسألة فقال : لا أحسنها . فقال الرجل : إني ضربت إليك من كذا وكذا لأسألك عنها ، فقال له مالك : فإذا رجعت إلى مكانك وموضعك فأخبرهم أنني قلت لك : لا أحسنها<sup>(٤)</sup> .  
وكان ابن سيرين إذا سئل عن شيء من الفقه ، الحلال والحرام ، تغير لونه وتبدل حتى كأنه ليس بالذي كان<sup>(٥)</sup> .  
وقال أبو حصين وكأنه يرى تسارعنا إلى الفتوى والمسابقة في ذلك : إن أحدهم يفتي في المسألة ، ولو وردت على عمر لجمع لها أهل بدر<sup>(٦)</sup> .  
وكانوا - رحمهم الله - يتدافعون أربعة أشياء : الإمامة ، والوصية والوديعة ، والفتيا<sup>(٧)</sup> .

(١) السير : (١٠ / ٢) .

(٢) الإحياء : (٣٩ / ١) .

(٣) السير : (٧٧ / ٨) .

(٤) صفة الصفوة : (١٧٩ / ٢) .

(٥) حلية الأولياء : (٢٦٤ / ٢) .

(٦) السير : (٤١٦ / ٥) .

(٧) الإحياء : (٨٥ / ١) .

وتأمل في مدافعة الناس اليوم وسعيهم لهذه الأربعة!! والبعض يقف بالأبواب ليحظى بشيء من ذلك! فالله المستعان على أهل هذا الزمان!!  
قال قاسم الجرعى: أصل الدين الورع، وأفضل العبادة مكابدة الليل، وأفضل طرق الجنة سلامة الحذر.

وقال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: إن الدين ليس بالطنطنة من آخر الليل، ولكن الدين الورع<sup>(١)</sup>.

قال رسول الله ﷺ: «ألا وإن في الجسد مضغة؛ إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»<sup>(٢)</sup>.

فيه إشارة إلى أنَّ صلاح حركات العبد بجوارحه واجتنابه للمحرمات واتقائه للشبهات بحسب صلاح حركة قلبه، فإن كان سليماً ليس فيه إلا محبة الله ومحبة ما يحبه الله، وخشية الله وخشية الوقوع فيما يكرهه؛ صلحت حركات الجوارح كلها، ونشأ عن ذلك اجتناب المحرمات كلها وتوقي الشبهات حذراً من الوقوع في المحرمات، وإن كان القلب فاسداً قد استولى عليه اتباع الهوى وطلب ما يحبه ولو كرهه الله؛ فسدت حركات الجوارح كلها وانبعثت إلى كل المعاصي والمشتبهات بحسب اتباع قلبه.

ولا ينفع عند الله إلا القلب السليم كما قال - تعالى -: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ (٨٨) إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩].

فالقلب السليم هو السالم من الآفات والمكروهات كلها، وهو القلب

(١) الزهد للإمام أحمد، ص ١٨٤.

(٢) رواه البخاري.

الذي ليس فيه سوى محبة الله وخشيته وخشية ما يباعد عنه<sup>(١)</sup>.  
وقال الثوري لابن أبي ذئب: إن اتقيت الله كفأك الناس، وإن اتقيت  
الناس لن يُغنوا عنك من الله شيئاً<sup>(٢)</sup>.

قال أبو عبدالرحمن العمري الزاهد: إذا كان العبد ورعاً ترك ما يريبه  
إلى ما لا يريبه<sup>(٣)</sup>.

دخل أبو إسحاق الشيرازي يوماً المسجد ليأكل فيه شيئاً على عادته،  
فنسي ديناراً فذكر في الطريق، فرجع فوجده، فتركه ولم يمسه وقال:  
ربما وقع من غيري ولا يكون ديناري<sup>(٤)</sup>.

وكما كان تورعهم في الدينار والدرهم فإنهم حافظوا على جوارحهم  
الأخرى وعفت ألسنتهم عما يرون فيه بأساً..  
**أخي الحبيب... أين نحن من هؤلاء؟!!**

سئل مسروق بن الأجدع عن بيت شعر فقال: أكره أن أجد في  
صحيفتي شعراً<sup>(٥)</sup>.

ولما مات أنس بن مالك - رضي الله عنه - أوصى أن يغسله محمد بن  
سيرين وكان محمد محبوساً فقالوا له في ذلك فقال: أنا محبوس،

(١) جامع العلوم والحكم، ص ٩١ بتصرف.

(٢) الفوائد، ص ٧١.

(٣) جامع العلوم والحكم، ص ١٣١.

(٤) تركية النفوس، ص ٢٠.

(٥) السير: (٦٩/٤).

فقالوا: قد أستاذنا الأمير في إخراجك، قال: إن الأمير لم يحبسني، من له الحق، فأذن له صاحب الحق فغسله<sup>(١)</sup>.

وقال زيد بن أسلم: كان يقال: من اتقى الله أحبه الناس وإن كرهوا<sup>(٢)</sup>.

ومن أنواع الورع: التورع عن الزينة لأنه يخاف منها أن تدعو إلى غيرها، وإن كانت الزينة مباحة في نفسها.

وقد سئل أحمد بن حنبل عن النعال السبتية فقال: أما أنا فلا أستعملها ولكن إن كان للطين فأرجو، وأما من أراد الزينة فلا.

ومن ذلك أن عمر - رضي الله عنه - لما ولي الخلافة كانت له زوجة يحبها، فطلقها خيفة أن تشير عليه بشفاعه في باطل فيطيعها ويطلب رضاها.

وهذا من ترك ما لا بأس به مخافة مما به البأس؛ أي مخافة من أن يفضي إليه. وأكثر المباحات داعية إلى المحظورات، حتى استكثار الأكل واستعمال الطيب للمتعزب فإنه يحرك الشهوة، ثم الشهوة تدعو إلى الفكر، والفكر يدعو إلى النظر، والنظر يدعو إلى غيره، وكذلك النظر إلى دور الأغنياء وتجميلهم، مباح في نفسه ولكن يهيئ الحرص ويدعو إلى طلب مثله، ويلزم منه ارتكاب ما لا يحل في تحصيله.

وهكذا المباحات كلها إذا لم تؤخذ بقدر الحاجة في وقت الحاجة مع التحرز من غوائلها بالمعرفة أولاً ثم بالحدز ثانياً، فقلماً تخلو عاقبتها عن خطر، وكذا كل ما أخذ بالشهوة فقلماً يخلو عن خطر، حتى كره أحمد بن

(١) البداية والنهاية: (٣٠٨/٩٠).

(٢) الفوائد، ص ٧١.

حنبل تجصيص الحيطان وقال: أما تجصيص الأرض فيمنع التراب، وأما تجصيص الحيطان فزينة لا فائدة فيه، حتى أنكر تجصيص المساجد وتزيينها، واستدل بهما روي عن النبي ﷺ: أنه سُئِلَ أن يكحل المسجد، فقال: «لا، عريشٌ كعريش موسى»؛ وإثما هو شيء مثل الكحل يطلى به، فلم يرخص رسول الله ﷺ فيه، وكره السلف الثوب الرقيق وقالوا: من رق ثوبه رق دينه، وكل ذلك خوفاً من سريان اتباع الشهوات في المباحات إلى غيرها، فإن المحظور والمباح تشتهيها النفس بشهوة واحدة، وإذا تعودت الشهوة المسامحة استرسلت، فاقتضى خوف التقوى الورع عن هذا كله، فكل حلال انفك عن مثل هذه المخافة فهو الحلال الطيب في الدرجة الثالثة، وهو كل ما لا يخاف أداؤه إلى معصية ألبته<sup>(١)</sup>.

قال أنس - رضي الله عنه -: كان بين كتفي عمر - رضي الله عنه - أربع رقاع وإزاره مرقوع بأدم، وخطب عمر على المنبر وعليه إزار فيه اثنتا عشرة رقعة<sup>(٢)</sup>.

وهذا الواقدي - رحمه الله - مات وهو على القضاء وليس له كفن فبعث المأمون بأكفانه<sup>(٣)</sup>.

ومن الورع ما ذكره الشيخ محمد بن صالح العثيمين - رحمه الله - حيث قال: فالورع والاحتياط ألا تطلب شيئاً من ترقية أو انتداب أو غير ذلك، إن أعطيت فخذ، وإن لم تُعطَ فالأحسن والأورع والأتقى ألا

(١) الإحياء: (١٠٩/٢).

(٢) البداية والنهاية: (١٤٨/٧).

(٣) السير، ص (٤٦٧).



تطالب، فكل الدنيا ليست بشيء، وإذا رزقك الله رزقًا كافيًا لا فتنة فيه، فهو خير من مال كثير تفتتن فيه. نسأل الله السلامة<sup>(١)</sup>.

قال الحسن: رأيت في منزل ابن المبارك حمامًا طيارة، فقال ابن المبارك: قد كنّا ننتفع بفراخ هذه الحمام فليس ننتفع بها اليوم. قلت: ولم ذلك؟ قال: اختلط بها حمام غيرها فتزاوجت بها. فنحن نكره أن ننتفع بشيء من فراخها من أجل ذلك<sup>(٢)</sup>.

وجاء أبو بكر بن ميمون فدق على أبي عبدالله محمد الحميدي، وظن أنه قد أذن له، فدخل عليه، فوجده مكشوف الفخذ، فبكى الحميدي وقال: والله لقد نظرت إلى موضع لم ينظره أحد منذ عقلت<sup>(٣)</sup>.

قال حماد بن زيد: كنت مع أبي، فأخذت من حائط تبنّة، فقال لي: لِمَ أخذت؟ قلت: إنما هي تبنّة!! قال: لو أن الناس أخذوا منه تبنّة هل كان يبقى في الحائط تبنّ<sup>(٤)</sup>؟

قال الحسن: إن الرجل ليتعلق بالرجل يوم القيامة فيقول: بيني وبينك الله، فيقول: والله ما أعرفك، فيقول: أنت أخذت طينة من حائطي، وآخر يقول: أنت أخذت خيطًا من ثوبي. فهذا وأمثاله قطع قلوب الخائفين<sup>(٥)</sup>.

كان الحسن يقول: رحم الله عبدًا جعل العيش عيشًا واحدًا، فأكل

(١) شرح رياض الصالحين: (٨/٧).

(٢) صفة الصفوة: (١٣٦/٤).

(٣) تذكرة الحفاظ: (١٢١٩/٤).

(٤) الورع لعبد الله بن حنبل، ص ١٤٠.

(٥) الزهر الفائح، ص ٦٩.

كسرة، ولبس خَلَقًا، ولزق بالأرض، واجتهد في العبادة، وبكى على الخطيئة، وهرب من العقوبة ابتغاء الرحمة حتى يأتيه أجله وهو على ذلك<sup>(١)</sup>.

قال سهل بن عبدالله: من دَقَّ الصراط عليه في الدنيا عُرِضَ عليه في الآخرة، ومن عرض عليه الصراط في الدنيا دق عليه في الآخرة<sup>(٢)</sup>.  
وقد ترك ابن سيرين أربعين ألفًا، فيما لا ترون به اليوم بأسًا<sup>(٣)</sup>.  
**أخي الحبيب.. أين نحن من هؤلاء؟!**

قال العباس بن سَهْم: إن امرأة من الصالحات أتتها نعي زوجها وهي تعجن، فرفعت يديها من العجين وقالت: هذا طعام قد صار لنا فيه شريك<sup>(٤)</sup>.

تعني أنها ذهبت في ذلك إلى أمر الورثة ومن له حق في هذا المال!!  
وعن ميمونة بنت مذعور قالت: نزل مُورِق العجلي على غلام لامرأته يقال له: صغدي، فأثاه ببيض قد طبخه في قدر نحاس، فقال مورق: أئني لك هذه القدر يا صغدي؟ قال: رهن عندي، قال: ارفع عني ببيضك، وأبى أن يأكل، وكره أن يستعمل الرهن<sup>(٥)</sup>.

عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - قال: لأن يمتليء منخراي

(١) الزهد الكبير للبيهقي: (٦٥/٢).

(٢) صفة الصفوة: (٦٤/٤).

(٣) الورع لابن أبي الدنيا، ص ١٢٠.

(٤) الورع لابن أبي الدنيا، ص ٩٩.

(٥) الورع لابن أبي الدنيا، ص ١٢٥.

من ریح جيفة، أحب إلي من أن يمتلئ من ریح امرأة<sup>(١)</sup>.  
ومن ذلك ما روى بعضهم أنه كان عند محتضر، فمات ليلاً فقال:  
أطفئوا السراج؛ قد حدث للورثة حق في الدهن.

وروى سليمان التيمي عن نعيمه العطارة قالت: كان عمر - رضي الله عنه - يدفع إلى امرأته طيباً من طيب المسلمين لتبيعه، فباعته طيباً فجعلت تقوم وتزید وتنقص وتكسر بأسنانها، فتعلق بأصبعها شيء منه، فقالت به هكذا بأصبعها، ثم مسحت به خمارها، فدخل عمر - رضي الله عنه - فقال: ما هذه الرائحة؟ فأخبرته فقال: طيب المسلمين تأخذينه، فانتزع الخمار من رأسها وأخذ جرّة من الماء فجعل يصب على الخمار ثم يدلّكه في التراب ثم يشمه، ثم يصب الماء ثم يدلّكه في التراب ويشمه، حتى لم يبق له ریح، قالت: ثم أتيتها مرة أخرى فلما وزنت علق منه شيء بأصبعها، فأدخلت أصبعها في فيها ثم مسحت به التراب. فهذا من عمر - رضي الله عنه - ورع التقوى، لخوف أداء ذلك إلى غيره، وإلا فغسل الخمار ما كان يعيد الطيب إلى المسلمين، ولكن أتلّفه عليها زجراً وردعاً واتقاء من أن يتعدّى الأمر إلى غيره<sup>(٢)</sup>.

وكان أحمد بن حنبل إذا نظر إلى نصراني غمّض عينيه، فقبيل له في ذلك؟ فقال: لا أقدر أن أنظر إلى من افترى على الله وكذب عليه<sup>(٣)</sup>.  
أَلَا إِنَّمَا التَّقْوَى هُوَ الْعِزُّ وَالْكَرَمُ  
وَحُبُّكَ لِلدُّنْيَا هُوَ الدُّلُّ وَالْعَدَمُ

(١) الورع لابن أبي الدنيا، ص ٧٤.

(٢) الإحياء: (١٠٩/٢).

(٣) طبقات الحنابلة: (١٢/١).

وليس على عبدٍ تقِيٍّ نقيصةٌ

إذا صحَّح التقوى وإن حاك أو حجم<sup>(١)</sup>

قال رجل للإمام أحمد بن حنبل: إني أدعى أغسل الميت في يوم بارد فيفضل من الماء الحار، ترى أن أتوضأ منه؟ قال: لا، ذاك قد أسخن بكلفة (كأنه ذهب إلى أمر الورثة).

وسئل أحمد بن حنبل عمن سقطت منه ورقة فيها أحاديث، فهل لمن وجدها أن يكتب منها ثم يردها؟ فقال: لا، بل يستأذن ثم يكتب. وهذا أيضاً قد يشك في أن صاحبها هل يرضى به أم لا، فما هو في محل الشك والأصل تحريمه فهو حرام، وتركه من الدرجة الأولى<sup>(٢)</sup>.

قال ابن الجوزي: أمكنني تحصيل شيء من الدنيا بنوع من أنواع الرخص. فكنت كلما حصل شيء منه فأتني من قلبي شيء، وكلما استنارت لي طريق فاتني من قلبي شيء، وكلما استنارت لي طريق التحصيل، تجدد في قلبي ظلمة.

فقلت: يا نفس السوء، الإثم حواز القلوب، وقد قال: «استفت قلبك»، فلا خير في الدنيا كلها إذا كان في القلب من تحصيلها شيء أوجب نوع كدر.

وإن الجنة لو حصلت يقدر في الدين أو في المعاملة ما لذت، والنوم على المزابل مع سلامة القلب من الكدر ألد من تكات الملوكة. وما زلت أغلب نفسي تارة وتغلبني أخرى، ثم تدّعي الحاجة إلى

(١) ديوان أبي العتاهية، ص ٣٤٨.

(٢) الإحياء: (١٠٩/٢).

تحصيل ما لا بد لها منه، وتقول: فما أتعدى في الكسب المباح في الظاهر.

فقلت لها: أوليس الورع يمنع من هذا؟ قالت: بلى.

قلت: أليست القسوة في القلب تحصل به؟ قالت: بلى. قلت: فلا خير لك في شيء هذا ثمرته.

فخلوت يوماً بنفسي، فقلت لها: ويحك: اسمعي أحدثك: إن جمعت شيئاً من الدنيا من وجه فيه شبهة أفأنت على يقين من إنفاقه؟ قالت: لا.

قلت: فالمحنة أن يحظى به الغير، ولا تنالين إلا الكدر العاجل، والوزر الذي لا يؤمن.

ويحك! اتركي هذا الذي يمنع من الورع لأجل الله، فعاملية بتركه. وكأنك لا تريد أن لا تتركي إلا ما هو محرم فقط، أو ما لا يصح وجهه. أو ما سمعت أن «من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه» أما لك عبرة في أقوام جمعوا فحازه سواهم، وأملوا فما بلغوا منهاهم؟

كم من عالم جمع كتباً كثيرة ما انتفع بها! وكم من منتفع ما عنده عشرة أجزاء! وكم من طيب العيش لا يملك دينارين! وكم من ذي قناطر منغص!

أما لك فطنة تتلمح أحوال من يترخص من وجه فيسلب منه من أوجه؟ ربما نزل المريض بصاحب الدار، أو بيعض من فيها، فأنفق في سنته أضعاف ما ترخص في كسبه، والمتقي معافى.

فضجت النفس من لومي، وقالت: إذا لم أتعِدَّ واجب الشرع فما الذي تريد مني؟

فقلت لها: أضربْ لك عن الغبن، وأنت أعرف بباطن أمرك.

قالت: فقل لي ما أصنع.

قلت: عليك بالمراقبة لمن يراك، ومثلي نفسك بحضرة معظّم من الخلق، فإنك بين يدي الملك الأعظم، يرى من باطنك ما لا يراه المعظمون من ظاهرك.

فخذي بالأحوط، واحذري من الترخص في بيع اليقين والتقوى بعاجل الهوى.

فإن ضاق الطبع مما تلقين، فقولِي له: مهلاً، فما انقضت مدة الإشارة. والله مرشدك إلى التحقيق، ومعينك بالتوفيق<sup>(١)</sup>.

سأل رجل وكيعاً عن المكاسب فضيّقها عليه فقال: يا أبا سفيان! من أين نأكل؟ قال: كُلْ من رزق الله، وأرجُ عفو الله.

والله - عزّ وجلّ - أحلّ الطيبات وحرّم الخبائث كما قال - تعالى - : ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

والأصل في الأشياء الإباحة حتى يدل الدليل على التحريم وهذا مئة من الله - عز وجل - على عباده.

قال الحسن: إنّ هذه المكاسب قد فسدت، فخذوا منها القوت، أي شبه المضطر<sup>(٢)</sup>.

قال أبو العباس بن عطاء: تولّد ورع المتورعين من ذكر الذرّ والخردلة، وإن ربّاً يحاسب على اللحظة والهمزة واللمزة لمستقصي في

(١) صيد الخاطر، ص ٢١٥.

(٢) الورع لابن أبي الدنيا، ص ١١٨.

المحاسبة، وأشد منه أن يحاسبه على مقادير الذرة وأوزان الخردلة، ومن يكن هكذا حسابه لحري أن يُتقى<sup>(١)</sup>.

وتأمل - أخي المسلم - في واقعة عجيبة وفهم ثاقب ورؤية للآخرة بمنظار التقوى والورع!

خطب رجل إلى الحسن فكأن السفير بينهما قد رضيه، فذهب يومًا السفير يثني عليه بين يدي الحسن، فقال: يا أبا سعيد، وأزيدك أن له خمسين ألف درهم، قال: له خمسون ألفًا!! ما اجتمعت من خلال، قلت: يا أبا سعيد: إنه كما علمت ورع مسلم، قال: إن كان جمعها من خلال فقد ضنَّ بها عن حق، لا والله لا جرى بيننا وبينه صهر أبدًا<sup>(٢)</sup>.

قالت عائشة - رضي الله عنها -: إن الناس قد ضيعوا أعظم دينهم الورع<sup>(٣)</sup>.

قال سعد بن إبراهيم بن سعد حدثنا أبي قال: كنت أنا وسفيان الثوري في المسجد الحرام، قال: فكوِّم كومةً من حصباء، ثم اتكأ عليها، ثم قال: يا أبا إسحاق! هذا خير من أرضيهم.

وعندما أعطى ابن هبيرة محمد بن سيرين ثلاث عطيات، أبي أن يقبل. قال قتادة: كان معيقب - رضي الله عنه - على بيت مال عمر - رضي الله عنه - فكنس بيت المال يومًا فوجد فيه درهمًا، فدفعه إلى ابن لعمر، قال معيقب: ثم انصرف إلى بيتي، فإذا رسول عمر قد جاءني يدعوني،

(١) الزهد الكبير للبيهقي، ص ٣١٥.

(٢) حلية الأولياء: (١٥١/٢).

(٣) الزهد للإمام أحمد، ص ٢٩٧.

فجئت فإذا الدرهم في يده فقال لي: ويحك يا معقيب! أوجدت عليّ في نفسك شيئاً؟! قال: قلت: ماذا يا أمير المؤمنين؟ قال: أردت أن تخاصمني أمة محمد ﷺ في هذا الدرهم<sup>(١)</sup>.

وانظر إلى من ابتلاه الله - عز وجل - بأموال المسلمين كيف هم وإياها. . . والناس في هذا الأمر بين مقلّ ومستكثر وأمامهم الحساب الشديد والإحصاء الدقيق!

\* قال وهيب بن الورد: من لم يكن فيه ثلاث فلا يعتد بعمله شيئاً: ورع يحجزه عما حرم الله، وحلم يكف به السفیه، وخلق يداري به الناس<sup>(٢)</sup>.

وقال أبو سنان إن عمر بن عبدالعزيز كان يُسخّن له الماء في مطبخه، فقال لصاحب المطبخ: أين يسخن هذا الماء؟ قال: في المطبخ، قال: انظر منذ كم تسخنه في المطبخ فأخبرني به، قال: منذ كذا وكذا، قال: انظر ما ثمن ذلك الحطب، قال: كذا وكذا، فأخذه عمر فألقاه في بيت المال<sup>(٣)</sup>.

قال الحكم بن الأعرج إن رجلاً قدم بساج له فساومه به زياد فلم يبيعه منه، فغضبه إياه، فبنى به ظُلَّةً في المسجد، قال: فما رؤي أبو بكره يصلي فيه حتى هُدم<sup>(٤)</sup>.

ودخل ابن محيرز على رجل من البزازين يشتري منه ثوباً، فقال له

(١) الورع لابن أبي الدنيا، ص ١٢٦.

(٢) الزهد الكبير للبيهقي، ص ٣١٠.

(٣) الورع لابن أبي الدنيا، ص ١٢٤.

(٤) الورع لابن أبي الدنيا، ص ١٢٥.



رجل: أتعرف هذا؟ هذا ابن محيرز، فقام وقال: إنما جئنا نشترى بدراهمنا ليس بديننا<sup>(١)</sup>.

وكثير هم الذين اشتروا اليوم بدينهم! حتى أصبح العلم لبوس كل جاهل ومتعالم!

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: كنت مع أبي يومًا من الأيام في المنزل، فدق الباب قال لي: اخرج، فانظر من بالباب، قال: فخرجت فإذا امرأة، قالت لي: استأذن لي علي أبي عبدالله، تعني أباه، قال فاستأذنته، فقال: ادخلها، فدخلت فجلست، فسلمت عليه، وقالت له: يا أبا عبدالله، أنا امرأة أغزل بالليل في السراج فربما طفىء السراج فأغزل في القمر. فعليّ أن أبين غزل القمر من غزل السراج؟ قال: فقال لها: إن كان عندك بينهما فرق فعليك أن تبيني ذلك، قال: قالت له: يا أبا عبدالله، أنين المريض شكوى؟ قال: أرجو أن لا يكون شكوى، ولكنه اشتكاه إلى الله، قال فودعته وخرجت. قال فقال لي: يا بني، ما سمعت قط إنسانًا يسأل عن مثل هذا، اتبع هذه المرأة، فانظر أين تدخل؟ قال: فتبعتها، فإذا هي قد دخلت إلى بيت بشر بن الحارث وإذا هي أخته، قال: فرجعت، فقلت له، فقال: مُحالٌ أن تكون مثل هذه إلا أخت بشر<sup>(٢)</sup>.

والورع الذي نجول في أطرافه ونسمع عجائبه وحكايته... إمام الزهد والورع يقول تورعًا.. لا أعرفه!

(١) حلية الأولياء: (١٣٨/٥).

(٢) طبقات الحنابلة، ص ٤٢٧.

قيل للإمام أحمد بن حنبل: هل للورع حدٌ يعرف؟ فتبسم وقال: ما أعرفه<sup>(١)</sup>.

وإذا أردت أن تعرف الورع من نفسك فعليك بقول الفقيه السمرقندي:  
علامة الورع أن يرى عشرة أشياء فريضة على نفسه:

أولها: حفظ اللسان عن الغيبة؛ لقوله - تعالى -: ﴿وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات: ١٢].

والثاني: الاجتناب عن سوء الظن؛ لقوله - تعالى -: ﴿أَجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

ولقول النبي ﷺ: «إياكم والظن فإنه أكذب الحديث».

والثالث: الاجتناب عن السخرية؛ لقوله - تعالى -: ﴿لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ [الحجرات: ١١].

والرابع: غض البصر عن المحارم؛ لقوله - تعالى -: ﴿قُلِ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّونَ أَبْصَارَهُمْ﴾ [النور: ٣٠].

والخامس: صدق اللسان؛ لقوله - تعالى -: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾ [الأنعام: ١٥٢].

والسادس: أن يعرف نعمة الله على نفسه لكي لا يُعجب بنفسه؛ لقوله - تعالى -: ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَن هَدَيْكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧].

والسابع: أن ينفق ماله في الحق ولا ينفقه في الباطل؛ لقوله - تعالى -: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾ يعني لم ينفقوا في

المعصية ولم يمنعوا من الطاعة، ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [٦٧] الفرقان: ٦٧. أي عدلاً.

والثامن: أن لا يطلب لنفسه العلو والكبر؛ لقوله - تعالى -: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا﴾ [القصص: ٨٣].

والتاسع: المحافظ على الصلوات الخمس في أوقاتها بركوعها وسجودها؛ لقوله - تعالى -: ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

والعاشر: الاستقامة على السنة والجماعة؛ لقوله - تعالى -: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣] (١).

قال أبو الحسين الزنجاني: من كان رأس ماله التقوى كلت الألسن عن وصف ربحه (٢).

قال الحسن: أبى قوم المداومة، والله ما المؤمن بالذي يعمل شهراً أو شهرين أو عاماً أو عامين، لا والله ما جعل لعمل المؤمن أجلاً دون الموت (٣).

**أخي المسلم:**

مررنا على صور عجيبة من صور الورع والبعد عن الحرام فقررت الأنفس وهنأت الصدور بهذا الامتثال العجيب والرغبة فيما عند الله - عز وجل - . . . ويبقى بعد ذلك اقتفاء الأثر والسير على خطى الصالحين

(١) تنبيه الغافلين، ص ٤٥.

(٢) الزهد للبيهقي، ص ٣٣٥.

(٣) الزهد للإمام أحمد، ص ٣٨٥.

مستهددين بالآية والحديث حتى ينصلح الحال ونحطّ الرحال، ويسهل الحساب غدًا أمام الملك المتعال.

جعلني الله وإياكم ممن يتبعون الحق ويهتدون به، وأعاننا على أنفسنا، وثبت أقدامنا حتى نلقاه، اللهم اغفر لنا ولوالدينا وأزواجنا وأحبابنا والمؤمنين أجمعين.

وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

\*\*\*

A decorative border with intricate floral and scrollwork patterns surrounds the central text.

من تواضع لله رفعه

## المقدمة

الحمد لله الذي له الكبرياء في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين .  
وبعد :

فإن من صفات المؤمنين الإنابة والإخبات والتواضع وعدم الكبر .  
ومن استقرأ حياة نبي هذه الأمة يجد فيها القدوة والأسوة، ومن تتبع حياة السلف الصالح رأى ذلك واضحاً جلياً .

وهذا هو الجزء «العشرون» من سلسلة «أين نحن من هؤلاء؟» تحت عنوان : «من تواضع لله رفعه» أدعو الله - عز وجل - أن يزيننا بزيينة الإيمان وأن يجعلنا أذلة للمؤمنين أعزة على الكافرين وأن يقينا شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا . وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

**عبد الملك بن محمد بن عبد الرحمن القاسم**

## مدخل

قال الله - تعالى - : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص : ٨٣] .

قال عكرمة : العلو : التجبر .

وقال سعيد بن جبير : بغير حق .

وقال ابن جريج : ﴿ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ ﴾ تعظماً وتجبراً .

وعن علي - رضي الله عنه - قال : إن الرجل ليعجبه من شراك نعله أن يكون أجود من شراك نعل صاحبه فيدخل في قوله - تعالى - : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [٨٣] ؛ وهذا محمول على ما إذا أراد بذلك الفخر والتناول على غيره <sup>(١)</sup> .

وقال الله - عز وجل - حاثاً على مكارم الأخلاق ومحذراً من الكبر والعجب : ﴿ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء : ٢١٥] .

قال الشيخ عبد الرحمن بن السعدي : بلين جانبك ، ولطف خطابك ، وتوددك إليهم ، وحسن خلقك ، والإحسان التام بهم <sup>(٢)</sup> .

وقال - تعالى - حكاية عن لقمان عليه السلام وهو يعظ ابنه : ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [لقمان : ١٨] .

قال ابن عباس : لا تتكبر ، فتحقر عباد الله ، وتعرض عنهم إذا كلموك <sup>(٣)</sup> .

(١) تفسير ابن كثير : (٤٠٣/٣) .

(٢) تيسير الكريم الرحمن ، ص ٥٤٨ .

(٣) فتح القدير : (٣٠١/٤) .

ونجد في القرآن الكريم آيات تمدح المتواضعين وتوعد المتكبرين وتبين أن لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى، قال الله - تعالى - : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٣]. فالعبرة بالتقوى وليست بالعلم أو المال أو الحسب أو السلطان، فإن اقترن واحد من هذه بالتقوى كان خيراً عظيماً وإن عري عنها كان سبباً لاستحقاق العذاب الأليم، فكم من مال أودى بصحابه في المهالك، وكم من سلطان يكون في النار مع فرعون وهامان، وكم من عالم تُسرّبه النار قبل غيره، فالتقوى هي قطب الرّحى في جميع الأمور، وليس لأي من تلك الأمور السالفة فضيلة إلا باقترانها بالتقوى<sup>(١)</sup>.

ومن منازل ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: ٥]: منزلة «التواضع».

قال الله - تعالى - : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ [الفرقان: ٦٣] أي بسكينة ووقار، متواضعين، غير أشربين، ولا مَرَحِينَ ولا متكبرين.

قال الحسن: علماء حلماء.

وقال محمد بن الحنفية: أصحاب وقار وعفة لا يسفّهون، وإن سفّه عليهم حلموا<sup>(٢)</sup>.

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي: ذكر أن صفاتهم أكمل الصفات ونعوتهم أفضل النعوت، فوصفهم بأنهم يمشون على الأرض هوناً، أي

(١) التواضع والخمول لابن أبي الدنيا، ص ١٢.

(٢) مدارج السالكين، ص ٣٤٠.



ساكنين متواضعين لله وللخلق، فهذا وصف لهم بالوقار والسكينة، والتواضع لله ولعباده<sup>(١)</sup>.

والتواضع علامة حُبِّ الله للعبد كما قال تعالى: ﴿يَتَّخِذُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْرٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [التواضع: ٥٤].

قال ابن كثير - رحمه الله -: هذه صفات المؤمنين الكُمَّل، أن يكون أحدهم متواضعاً لأخيه ووليّه، متعزّزاً على خصمه وعدوه<sup>(٢)</sup>.

وقال ﷺ: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كِبَرٍ» فقال رجل: إن الرجل يحبُّ أن يكون ثوبه حسناً، ونعله حسنة؟ قال: «إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس»<sup>(٣)</sup>.

وبطر الحق: هو دفعه ورده على قائله، أما غمط الناس: فهو احتقارهم وإزدراءهم.

وعن عياض بن حمار - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله أوحى إليّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحدٌ على أحدٍ، ولا يبغي أحدٌ على أحدٍ»<sup>(٤)</sup>.

(١) تفسير السعدي: (٥٩٣/٥).

(٢) تفسير ابن كثير: (٧٣/٢).

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه مسلم.

وقال عليه الصلاة والسلام: «ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتل جواظٍ مستكبر»<sup>(١)</sup>.

\* وفي سيرته ﷺ دروس في التواضع:

فقد كان ﷺ يمر على الصبيان فيسلم عليهم.

وكانت الأمة تأخذ بيده ﷺ فتنتقل به حيث شاءت.

وكان ﷺ إذا أكل لعق أصابعه الثلاث.

وكان ﷺ يكون في بيته في خدمة أهله.

ولم يكن ﷺ ينتقم لنفسه قط.

وكان ﷺ يخفض نعله، ويرقع ثوبه، ويحلب الشاة لأهله، ويعلف البعير ويأكل مع الخادم، ويجالس المساكين، ويمشي مع الأرملة واليتيم في حاجتهما، ويبدأ من لقيه بالسلام، ويجيب دعوة من دعاه، ولو إلى أيسر شيء.

وكان ﷺ هين المؤنة، لين الخلق، كريم الطبع، جميل المعاشرة، طلق الوجه بساماً، متواضعاً من غير ذلة، جواداً من غير سرف، رقيق القلب رحيماً بكل مسلم، خافض الجناح للمؤمنين، لين الجانب لهم.

وكان ﷺ يعود المريض. ويشهد الجنازة، ويركب الحمار، ويجيب دعوة العبد.

وكان يوم قريظة على حمار مخطوم بحبل من ليف على إكاف من ليف<sup>(١)</sup>.

وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: «كان النبي ﷺ يُدعى إلى خبز الشعير والإهالة السِّنْخَةِ فيجيبُ، ولقد كان له دِرْعٌ عندَ يهودي فما وجد ما يَفْكُها حتى مات»<sup>(٢)</sup>.

وكان من تواضعه ﷺ ما رواه أنس بقوله: «كان ﷺ يُؤتى بالتمر فيه دُود فيفشهُ، يخرج السوس منه»<sup>(٣)</sup>.

وكان من دعائه ﷺ: «اللهم أحيني مسكيناً، وأمتني مسكيناً، واحشرنني في زمرة المساكين»<sup>(٤)</sup>.

يقول ابن الأثير: أراد به التواضع والإخبات، وأن لا يكون من الجبارين المتكبرين<sup>(٥)</sup>.

ولهذا قالت عائشة - رضي الله عنها - : إنكم تغفلون عن أفضل العبادات: التواضع<sup>(٦)</sup>.

قال حمدون القصار في تعريف التواضع: التواضع أن لا ترى لأحد إلى نفسك حاجة، لا في الدين ولا في الدنيا<sup>(٧)</sup>.

(١) مدارج السالكين، ص ٣٤١. وانظر: الشمائل المحمدية للترمذي، ص ٢٨٤ وما بعدها.

وفي سيرة الرسول ﷺ مواقف عظيمة في التواضع ولين الجانب وحسن الخلق.

(٢) رواه الترمذي.

(٣) صحيح الجامع: (٢٧١/١).

(٤) حسن انظر الصحيحة برقم ٣٠٨.

(٥) مدارج السالكين، ص ٣٤٤.

(٦) رواه البخاري.

(٧) رواه أبو داود وصححه الألباني.

وعندما سُئل الفضيل بن عياض عن التواضع؟ قال: يخضع للحق، وينقاد له ويقبله ممن قاله.

وقيل: التواضع أن لا ترى لنفسك قيمة. فمن رأى لنفسه قيمة فليس له في التواضع نصيب.

وقيل: التواضع: هو خفض الجناح، ولين الجانب.

وقيل: هو أن لا يرى لنفسه مقاماً ولا حالاً، ولا يرى في الخلق شراً منه.

وقال ابن عطاء: هو قبول الحق ممن كان. والعز في التواضع، فمن طلبه في الكبر فهو كَتَطْلُبِ الماء من النار<sup>(١)</sup>.  
قال صاحب المنازل:

التواضع: أن يتواضع العبد لصولة الحق.

يعني: أن يتلقى سلطان الحق بالخضوع له، والذل، والانقياد، والدخول تحت رقبته بحيث يكون الحق متصرفاً فيه تصرف المالك في مملوكه. فهذا يحصل للعبد خلق التواضع. ولهذا فسر النبي ﷺ الكبر بضده فقال: «الكبر بَطْرُ الحق، وغمط الناس».

«فبطر الحق» رَدُّه وجَحْده، والدفع في صدره؛ كدفع السائل. و«غمط الناس» احتقارهم وازدراؤهم. ومتى احتقرهم وازدراهم - دفع حقوقهم وجحدها، واستهان بها.

ولما كان لصاحب الحق مقال وصولة كانت النفوس المتكبرة لا تُقرُّ له بالصولة على تلك الصولة التي فيها، ولا سيما النفوس المبطلّة فتصول

على صولة الحق بكبرها وباطلها. فكان حقيقة التواضع: خضوع العبد لصولة الحق، وانقياده لها، فلا يقابلها بصولته عليها<sup>(١)</sup>.

ولعظم عقوبة التكبر والخيلاء حتى في أمر يراه الناس يسيراً قال رسول الله ﷺ: «من جرّ ثوبه خُيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة»<sup>(٢)</sup>.

وفي الحديث الآخر قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر»<sup>(٣)</sup>.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: التكبر شرٌّ من الشرك، فإن المتكبر يتكبر عن عبادة الله - تعالى -، والمشرك يعبد الله وغيره<sup>(٤)</sup>.

وقال الفضيل عندما سُئل عن التواضع ما هو؟ قال: أن تخضع للحق وتنقاد له، ولو سمعته من صبي قبلته ولو سمعته من أجهل الناس قبلته<sup>(٥)</sup>.

وعلى هذا القياس قلّ أهل التواضع في زماننا!! وهم أندر من الكبريت الأحمر! فتأمل من يقبل الحق من صبي أو من جاهل أو فقير؟!

ولهذا قيل عن التواضع: من يرى لنفسه قيمة فليس له من التواضع نصيب.

قال يوسف بن أسباط: يجزي قليل الورع من كثير العمل، ويجزي قليل التواضع من كثير الاجتهاد<sup>(٦)</sup>.

(١) مدارج السالكين، ص ٣٤٦.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه مسلم.

(٤) المستدرک علی مجموع فتاوی ابن تیمیة: (١٦/١).

(٥) الإحياء ٣/٣٦٢.

(٦) الإحياء: (٣/٣٦١).

وقال يحيى بن كثير مفصلاً الأمر: رأس التواضع ثلاث: أن ترضى بالدُّون من شرف المجلس، وأن تبدأ من لقيته بالسلام، وأن تكره المدحة والسمعة والرياء بالبر<sup>(١)</sup>.

وتأمل هذه الثلاث في نفسك وانظر أين مكانك الذي تُحب في المجلس؟ أهو صدر المجلس وتحب أن تُعظم ويُفسح لك ويشار إليك بالأيدي أم هو نهاية المجلس... والتواضع وعدم حب الظهور؟ ثم تأمل في حال السلام تجد العجب في عدم إلقائه بحرارة وشوق خاصة على الفقراء والعمال والصغار!!

وثالثة الأثافي حبك للمدح والثناء، بل ربما - والعياذ بالله - بادرت في صدر كل مجلس بذكر تبرعك وصيامك وحجك وجهدك وخدمتك لهذا الدين ثم تُخرج على تعبك ونصبك لإصلاح الناس!

كان علي بن الحسن يقول: عجبت للمتكبر الفخور الذي كان بالأمس نطفة ثم هو غداً جيفة، وعجبت كل العجب لمن شك في الله وهو يرى خلقه، وعجبت كل العجب لمن أنكر النشأة الأولى، وعجبت كل العجب لمن عمل لدار الفناء وترك دار البقاء<sup>(٢)</sup>.

والمصيبة العظمى رضا الإنسان عن نفسه واقتناعه بعلمه، وهذه محنة قد عمّت أكثر الخلق:

فترى اليهودي أو النصراني يرى أنه على الصواب، ولا يبحث ولا

(١) التواضع والخمول، ص ١٥٥.

(٢) صفة الصفوة: (٩٥/٢).

ينظر في دليل نبوة نبينا ﷺ، وإذا سمع ما يُلين قلبه مثل القرآن المعجز هرب لئلا يسمع .

وكذلك كل ذي هوى يثبت عليه، إما لأنه مذهب أبيه وأهله، أو لأنه نظر نظراً أول فراه صواباً، ولم ينظر فيما يناقضه، ولم يباحث العلماء لبيّنوا له خطأ<sup>(١)</sup> .

قال الحسن: هل تدرون ما التواضع؟ التواضع: أن تخرج من منزلك فلا تلقى مسلماً إلا رأيت له عليك فضلاً<sup>(٢)</sup> .

ومن منا الآن يطبق هذا القول على نفسه؟! وينزلها تلك المنزلة؟! بل البعض يأخذه العجب والته على عباد الله لذنياً أو علم أو جاه . . وكلها منح وعطايا من الله - عز وجل - . . ومثلما أعطاه إياه فهو سبحانه قادر على أن يسلبها منه في طرفة عين! .

عندما سُئل عبدالله بن المبارك عن العجب؟ قال: أن ترى أن عندك شيئاً ليس عند غيرك<sup>(٣)</sup> .

وقال أبو علي الجوزجاني: النفس معجونة بالكبر والحرص والحسد، فمن أراد الله - تعالى - هلاكه منع منه التواضع والنصيحة والقناعة، وإذا أراد الله - تعالى - به خيراً لطف به في ذلك، فإذا هاجت في نفسه نار الكبر أدركها التواضع من نصرة الله - تعالى -، وإذا هاجت نار الحسد في نفسه أدركتها النصيحة مع توفيق الله - عز وجل -، وإذا هاجت في نفسه نار

(١) صيد الخاطر، ص ٥٩٢ .

(٢) التواضع والخمول، ص ١٥٤ .

(٣) تذكرة الحفاظ: (١/ ٢٧٨) .

الحرص أدركتها القناعة مع عون الله - عز وجل - (١).

قال ابن الحاج: من أراد الرفعة فليتواضع لله - تعالى -، فإن العزة لا تقع إلا بقدر النزول، ألا ترى أن الماء لما نزل إلى أصل الشجرة صعد إلى أعلاها، فكأن سائلاً سألته: ما صعد بك هنا - أعني في رأس الشجرة وأنت تحت أصلها؟! فكأن لسان حاله يقول: من تواضع لله رفعه (٢).

والفرق بين التواضع والمهانة: أن التواضع يتولد من بين العلم بالله - سبحانه - ومعرفة أسمائه وصفاته ونعوت جلاله وتعظيمه ومحبته وإجلاله، ومن معرفته بنفسه وتفاصيلها وغيوب عمله وآفاتها، فيتولد من بين ذلك كله خلقٌ هو التواضع، وهو انكسار القلب لله وخفض جناح الذل والرحمة بعباده فلا يرى له على أحد فضلاً ولا يرى له عند أحد حقاً، بل يرى الفضل للناس عليه والحقوق لهم قبله، وهذا خلق إنما يعطيه الله - عز وجل - من يحبه ويكرمه ويقربه.

وأما المهانة: فهي الدناءة والخسة وبذل النفس وابتذالها في نيل حظوظها وشهواتها، كتواضع السُّفُل في نيل شهواتهم، وتواضع المفعول به للفاعل، وتواضع طالب كل حظ لمن يرجو نيل حظه منه، فهذا كله ضِعة لا تواضع، والله - سبحانه - يحب التواضع ويبغض الضِعة والمهانة (٣).

قال سفيان بن عيينة: من كانت معصيته في شهوة فارجُ له التوبة، فإن آدم عليه السلام عصى مشتتياً فغفر له، فإذا كانت معصيته من كبر فآخسَ

(١) الإحياء ٣/٣٦٢.

(٢) المدخل لابن الحاج: (١٢٢/٢).

(٣) كتاب الروح، ص ٢٧٣.



عليه اللعنة، فإن إبليس عصى مستكبراً فلُعِن<sup>(١)</sup>.

وآفة حب الشناء والمدح التي يحبها البعض بل ويبحث عنها ويبحث عليها - ما موقعها بين حال السلف؟! وعلى أي حال كانوا يقبلونها؟! وأي منزلة يُنزلونها؟!.

قال مطرف بن عبد الله: ما مدحني أحد قط إلا تصاغرتُ إلى نفسي<sup>(٢)</sup>. وما ذاك إلا لمعرفةهم بحقارة أنفسهم في جنب الله، وتواضعهم لجلاله، ومحاسبة أنفسهم ومعرفةهم بتقصيرهم وزللهم!!

### أخي المسلم:

عجبت لمن يعجب بصورته، ويختال في مشيته، وينسى مبدأ أمره.. إنما أوله لقمة، ضُمَّتْ إليها جرعة ماء، فإن شئت فقل كسيرة خبز، معها تمرات، وقطعة من لحم، ومَذَقَةٌ من لبن، وجرعة من ماء، ونحو ذلك، طبخته الكبد، فأخرجت منه قطرات مَنِيٍّ، فاستقر في الأنثيين، فحركتها الشهوة، فصُبَّتْ في بطن الأم مدة، حتى تكاملت صورتها، فخرجت طفلاً، تتقلب في خرق البول.

وأما آخره: فإنه يُلقى في التراب، فيأكله الدود، ويصير رفاتاً تَسْفِيهِ السَّوَافِي. وكم يخرج تراب بدنه من مكان إلى مكان آخر، ويقلب في أحوال، إلى أن يعود فيُجمع. هذا خبر البدن.

إنما الروح التي عليها العمل، فإن تجوهرت بالأدب، وتقوّمت بالعلم، وعرفت الصانع، وقامت بحقه، فما يضرها نقض المركب. وإن

(١) مختصر منهاج القاصدين، ص ٢٤٧.

(٢) صفة الصفوة: (٢٢٣/٣).

هي بقيت على صفتها من الجهالة شابته الطين، بل صارت إلى أخس حالة منه<sup>(١)</sup>.

### أخي المسلم:

حقيق بالتواضع ممن يموت

وحسب المرء من دنياه فوت<sup>(٢)</sup>

قال أحمد ابن الورد: وليّ الله إذا زاد جاهه زاد تواضعه، وإذا زاد ماله زاد سخاؤه، وإذا زاد عمره زاد اجتهاده<sup>(٣)</sup>.

وقال ابن المبارك: رأس التواضع أن تضع نفسك عند من دونك في نعمة الدنيا حتى تعلم أنه ليس لك بدنياك عليه فضل، وأن ترفع نفسك عن من هو فوقك في الدنيا حتى تعلم أنه ليس له بدنياه عليك فضل.

### أخي الحبيب:

كيف هو قلبك؟ أتع الفقراء والمساكين والمعدمين؟! مخص نفسك بقول يحيى بن معاذ: حبك الفقراء من أخلاق المرسلين، وإيثارك مجالستهم من علامة الصالحين، وفرارك من صحبتهم من علامة المنافقين<sup>(٤)</sup>.

ولا تحقرن أحداً فإن من هؤلاء الضعفاء والمساكين من له منزلة عظيمة

(١) صيد الخاطر، ص ٤٥٧.

(٢) التبصرة: (٢/١).

(٣) صفة الصفوة: (٣٩٥/٢).

(٤) الإحياء: (٢١١/٤).

عند الله - عز وجل - كما قال رسول الله ﷺ: «رُبَّ أَشْعَثَ مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَهُ»<sup>(١)</sup>.

وعنه ﷺ أنه قال: «هَلْ تَنْصُرُونَ وَتَرْزُقُونَ إِلَّا بَضْعَائِكُمْ»<sup>(٢)</sup>.

قال خالد بن معدان: لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يرى الناس في جنب الله أمثال الأباغر ثم يرجع إلى نفسه فيكون لها أحقر حاقر<sup>(٣)</sup>.

### أخبري المسلم:

من اتقى الله - تعالى - تواضع له، ومن تكبر كان فاقداً لتقواه، ركيكاً في دينه، مشغلاً بديناه، فالمتكبر وضع وإن رأى نفسه مرتفعاً على الخلق، والمتواضع وإن رُوي وضعاً فهو رفيع القدر:

تواضع تكن كالنجم لاح لناظرٍ

على صفحات الماء وهو رفيعُ

ولا تَكُ كالِدخان يعلو بنفسه

إلى طبقات الجو وهو وضعُ

ومن استشعر التواضع وعاشه كره الكبر وبواعثه<sup>(٤)</sup>.

وتأمل في حال من تلبَّسه الشيطان في حالة واحدة من حالات الكبر يظنها بعض الناس يسيرة وهي عند الله عظيمة، فقد قال رسول الله ﷺ: «بينما رجل يمشي في حُلَّةٍ تعجبه نفسه، مَرَجَّلَ رأسه»<sup>(٥)</sup>، يخال في

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه البخاري.

(٣) السير: (٥٣٩/٤).

(٤) التواضع والخمول، ص ١٢.

(٥) مَرَجَّلَ رأسه: أي ممشطه.

مشيته، إذ خسف الله به، فهو يتجلجل<sup>(١)</sup> في الأرض إلى يوم القيامة<sup>(٢)</sup>.  
وتأمل في حالات كثيرة من المتكبرين من الرجال والنساء لجدة مركب  
أو شهرة ثوب أو لجاء ومنصب! وتلاحظ بعض الناس تتغير شخصيته وطريقة  
حديثه وخطوات ممشاه إذا لبس جديداً أو اقتنى فانياً من حطام الدنيا!!  
وقد ذم الله - عز وجل - الكبر في آيات كثيرة فقال - تعالى -  
﴿سَاصِرُونَ عَنِ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ  
لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ [الأعراف: ١٤٦].  
وقال - تعالى - : ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارًا﴾<sup>(٣)</sup>  
[غافر: ٣٥]. ومن تدبر القرآن خشي على نفسه من هذه الآفة العظيمة.  
ولنا في حال أبي بكر - رضي الله عنه - وهو الصديق خليفة رسول الله  
ﷺ عبرة وعظة ودرس وتربية: عن ابن أبي مليكة قال: كان ربما سقط  
الخطام من يد أبي بكر الصديق، قال: فيضرب بذراع ناقته فينيخها  
فيأخذه قال: فقالوا له: أفلا أمرتنا نناولك؟ قال: إن جئني ﷺ أمرني أن لا  
أسأل الناس شيئاً<sup>(٣)</sup>.  
ويقال: أرفع ما يكون المؤمن عند الله أوضع ما يكون عند نفسه،  
وأوضع ما يكون عند الله أرفع ما يكون عند نفسه.  
وقال زياد النمري: الزاهد بغير تواضع كالشجرة التي لا تثمر.  
وكان السلف - رحمهم الله - يجاهدون أنفسهم ويحقرونها في جنب  
الله - عز وجل - حتى أن أحدهم يتأهب للمنادي!

(١) يتجلجل: أي يغوص وينزل.

(٢) متفق عليه.

(٣) صفة الصفوة: (١/٢٥٣).

قال مالك بن دينار: لو أن منادياً ينادي بباب المسجد: ليخرج شرُّكم رجلاً، والله ما كان أحد يسبقني إلى الباب إلا رجلاً بفضل قوة أو سعي . قال: فلما بلغ ابن المبارك قوله قال: بهذا صار مالك مالكا . وقال الفضيل: من أحب الرئاسة لم يفلح أبداً<sup>(١)</sup> .

**أخي الحبيب: أين نحن من هؤلاء؟!**

قال علي بن ثابت: ما رأيت سفيان الثوري في صدر المجلس قط، إنما كان يقعد إلى جانب الحائط ويستند إلى الحائط ويجمع بين ركبتيه<sup>(٢)</sup> .

وعندما قيل لأبي عبدالله - إمام أهل السنة أحمد بن حنبل: ما أكثر الداعين لك؟ فتغرغرت عينه، وقال: أخاف أن يكون هذا استدراجاً . ولو قيلت هذه الكلمة لبعض الناس اليوم . . لأطلق ضحكة تجلجل واتبعها ما قام به من أعمال في سبيل هذا الدين وعدَّ كل شاردة وواردة! وكل ذلك رفعة ومباهاة مع جهل وغفلة!

قال يونس بن عبيد: دخلنا على محمد بن واسع نعوذه فقال: وما يغني عني ما يقول الناس، إذا أخذ بيدي ورجلي فألقيت في النار؟! وقال يونس: قلت لأبي عبدالله (يعني أحمد بن حنبل) أن بعض المحدثين قال لي: أبو عبدالله ليزهد في الدراهم وحدها، قد زهد في الناس . فقال أبو عبدالله ومن أنا حتى أزهد في الناس! الناس يريدون يزهدون فيّ .

(١) الإحياء: (٣/٣٦١) .

(٢) صفة الصفوة: (٣/١٤٧) .

\* وقال أبو عبدالله: أسأل الله أن يجعلنا خيراً مما يظنون، ويغفر لنا ما لا يعلمون<sup>(١)</sup>.

ومن تواضع أهل الطاعة والعبادة وعدم تركيتهم أنفسهم ما قاله محمد بن واسع عن نفسه وهو عَلمٌ من الأعلام وعابد من العباد: لو كان للذنوب ريح ما جلس إليّ أحد<sup>(٢)</sup>.

وكان أيوب السخيتاني يقول: إذا ذكر الصالحون كنت عنهم بمعزل<sup>(٣)</sup>.

وقال الشافعي: أرفع الناس قدراً من لا يرى قدره، وأكثرهم فضلاً من لا يرى فضله<sup>(٤)</sup>.

ولهذا التواضع وإنزال النفس منزلتها قال أبو حاتم: الواجب على العاقل لزوم التواضع ومجانبة التكبر، ولو لم يكن في التواضع خصلة تحمله إلا أن المرء كلما كثر تواضعه ازداد بذلك رفعة - لكان الواجب عليه أن لا يتزياً بغيره.

ولأثر الكبر السيئ وسوء فعله في الأنفس والعقول قال محمد بن الحسين بن علي: ما دخل قلب امرئ شيء من الكبر قط إلا نقص من عقله بقدر ما دخل من ذلك قلٌّ أو كثر<sup>(٥)</sup>.

(١) الورع لأحمد بن حنبل، ص ١٥٢.

(٢) السير: (٦/١٢٠)، صفة الصفوة: (٣/٢٦٨).

(٣) تذكرة الحفاظ: (١٠/١٣١).

(٤) السير: (١٠/٩٩).

(٥) الإحياء: (٣/٣٥٨).

**أخي الحبيب:**

التواضع تواضعان: أحدهما محمود، والآخر مذموم.  
فالتواضع المحمود: ترك التطاول على عباد الله، والإزدراء بهم.  
والتواضع المذموم: هو تواضع المرء لذي الدنيا رغبةً في دنياه.  
فالعاقل يلزم مفارقة التواضع المذموم على الأحوال كلها، ولا يفارق  
التواضع المحمود على الجهات كلها<sup>(١)</sup>.

قال ابن القيم - رحمه الله - في كتابه مدارج السالكين في منزلة الخشوع:  
ولقد شاهدت من شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه - من ذلك  
أمراً لم أشاهده من غيره، وكان يقول كثيراً: ما لي شيء ولا مني شيء  
ولا في شيء. وكان كثيراً ما يتمثل بهذا البيت:

**أنا المكدي وابن المكدي**

**وهكذا أباي وجدي**

هذه إجاباتهم وهذا تواضعهم وهم أئمة هذا الدين وعلماء زمانهم،  
ولهم البلاء والجهد المعلوم المعروف. . فما يقول من هو دونهم علماً  
وعبادة؟!

وكان إذا أثنى عليه - رحمه الله - في وجهه يقول: والله إني إلى الآن  
أجدد إسلامي كل وقت وما أسلمت بعد إسلاماً جيداً.

قال محمد بن زهير: أتيت أبا عبد الله (أحمد بن حنبل) في شيء أسأله  
عنه فأتاه رجل فسأله عن شيء، أو كلمه في شيء، فقال له: جزاك الله عن  
الإسلام خيراً فغضب أبو عبد الله وقال له: من أنا حتى يجزييني عن الإسلام

خيراً، بل جرى الله الإسلام عني خيراً<sup>(١)</sup>.  
 إن التواضع من خصال المتقي  
 وبه التقى إلى المعالي يرتقي  
 ومن العجائب عجب من هو جاهل  
 في حاله أهو السعيد أم الشقي  
 وفي كلمات واضحة لأمثالنا من أهل الذنوب والمعاصي، أصحاب  
 الكسل والغفلة قال ابن المبارك: إذا عرف الرجل قدر نفسه يصير عند  
 نفسه أذل من الكلب<sup>(٢)</sup>.  
 وقال سفيان: إذا عرفت نفسك لم يضرك ما قال الناس<sup>(٣)</sup>.

### أخي المسلم:

أول ذنب عصي الله به أبو الثقلين: الكبر والحرص. فكان الكبر ذنب  
 إبليس اللعين، قال أمره إلى ما آل إليه. وذنب آدم على نبينا وعليه  
 السلام: كان من الحرص والشهوة، فكان عاقبته التوبة والهداية، وذنب  
 إبليس حمله على الاحتجاج بالقدر والإصرار، وذنب آدم أوجب له  
 إضافته إلى نفسه، والاعتراف به والاستغفار.

فأهل الكبر والإصرار، والاحتجاج بالأقدار: مع شيخهم وقائدهم إلى  
 النار: إبليس.

وأهل الشهوة: المستغفرون التائبون المعترفون بالذنوب، الذين لا  
 يحتجون عليها بالقدر: مع أبيهم آدم في الجنة.

(١) طبقات الحنابلة: (٢٩٨/١).

(٢) حلية الأولياء: (١٦٨/٨).

(٣) الزهد للإمام أحمد، ص ٥٠٧.



وَنِعَمَ اللَّهُ - عز وجل - التي يغدقها على العباد قد تتحول من نعمة إلى نقمة ومن خير إلى شر إذا صُرفت في غير مصرفها الصحيح وطريقها الشرعي، قال قتادة: من أعطي مالا أو جمالا أو ثيابا أو علما؛ ثم لم يتواضع فيه كان عليه وبالاً يوم القيامة<sup>(١)</sup>.

ولأن مما شاع في هذه الأيام المباهاة بالمآكل والمشارب والملابس والمراكب حتى أصبحت شغل الكثير وأضاعت من الأموال الكثير... وقد قال رسول الله ﷺ: «البذاذة من الإيمان، البذاذة من الإيمان، البذاذة من الإيمان»<sup>(٢)</sup>.

قال عبد الله (ابن أحمد بن حنبل) سألت أبي قلت: ما البذاذة؟ قال: التواضع في اللباس<sup>(٣)</sup>.

وأثر التواضع في الدنيا محسوس ملموس. قال أبو حاتم - رضي الله عنه - : التواضع يرفع المرء قدراً، ويعظم له خطراً، ويزيده ثُبلاً<sup>(٤)</sup>.

وقد حرصوا على طلب مرضاة الله - عز وجل - بالتواضع ونفي الكبر والبعد عنه وأخذ النفس على الحق.

قال بكر بن عبد الله (المزني): إذا رأيت من هو أكبر منك فقل: هذا سبقني بالإيمان والعمل الصالح فهو خير مني، وإذا رأيت من هو أصغر منك فقل: سبقته إلى الذنوب والمعاصي فهو خير مني، وإذا رأيت

(١) التواضع والخمول، ص ١٤٢.

(٢) رواه الحاكم وابن ماجة وأبوداود.

(٣) الزهد للإمام أحمد، ص ٢٠.

(٤) روضة العقلاء، ص ٦٠.

إخوانك يكرمونك ويعظمونك فقل: هذا فضل أخذوا به، وإذا رأيت منهم تقصيراً فقل: هذا ذنب أحدثته.

هذا في أمر الآخرة أما أمر الدنيا وشرفها فكما قال عروة بن الزبير: التواضع أحد مصائد الشرف، وكل ذي نعمة محسود عليها إلا التواضع. لأنها تثمر ثمرة يشرف المرء بها على قومه ومن حوله؛ وذلك طاعة لله - عز وجل -، وامثالاً لأمره، ومعرفة بنعمته وفضله.

قال بعض الحكماء: ثمرة القناعة الراحة، وثمرة التواضع المحبة.

### أخي الحبيب: أين نحن من هؤلاء؟

كان الحسن بن علي - رضي الله عنهما -: يمر بالسؤال وبين أيديهم كسر، فيقولون: هلم إلى الغداء يا ابن رسول الله، فكان يتزل ويجلس على الطريق ويأكل معهم ويركب، ويقول: إن الله لا يحب المستكبرين<sup>(١)</sup>.

وكان عثمان - رضي الله عنه - يلي وضوء الليل بنفسه، فقيل له: لو أمرت بعض الخدم فكفوك، قال: لا. الليل لهم يستريحون فيه<sup>(٢)</sup>.

وعن عمرو بن قيس: أن علياً - رضي الله عنه - رُئي عليه إزار مرقوع فعوتب في لبؤسه، فقال: يقتدي به المؤمن، ويخشع القلب<sup>(٣)</sup>.

قال نوح عليه السلام لابنه سام: يا بني لا تدخلن القبر وفي قلبك مثقال ذرة من الشرك بالله فإنه من يأت الله مشركاً فلا حجة له، ويا بني لا تدخلن القبر وفي قلبك مثقال ذرة من الكبر فإن الكبرياء رداء الله - عز

(١) الإحياء: (٢/٢٦٢).

(٢) تاريخ الخلفاء، ص ١٥٣.

(٣) التواضع والخمول لابن أبي الدنيا ص ١٦٥.

وجل - فمن ينازع الله رداءه يغضب عليه، ويا بني لا تدخلن القبر وفي قلبك مثقال ذرة من القنط فإنه لا يقنط من رحمة الله إلا ضال<sup>(١)</sup>.

وللمسرفين والمسرفات والمبذرين والمبذرات في فستان يلبس ليلة واحدة، أو حلي للمباهاة والمفاخرة؛ إليهم نصح الخليفة الزاهد عمر بن العزيز لأحب وأقرب الناس إليه..

فقد بلغ عمر بن عبدالعزيز أن ابناً له اشترى خاتماً بألف درهم، فكتب إليه عمر: بلغني أنك اشتريت فصاً بألف درهم، فإذا أتاك كتابي، فبع الخاتم وأشبع به ألف بطن، وأتخذ خاتماً بدرهمين، واجعل فصه حديداً حينياً، واكتب عليه: «رحم الله امرءاً عرف قدر نفسه».

ولو فعل البعض مثل ذلك أو قريباً منه لما مات جائع مسلم في آسيا.. ولما تنصرت أم مسلمة في أفريقيا.. ولما أغتصبت فتاة مسلمة في أوربا.. والله المستعان.. البعض يهنأ بالمراكب والفرش والحرير وإخوانه يموتون جوعاً وهو يرى ويسمع.. ووسائل الإعلام تقيم عليه الحجة ليلاً ونهاراً.. فما عذره أمام الله - عز وجل -؟!!

قال الحسن: والله لقد أدركت أقواماً ما طوي لأحدهم في بيته ثوب قط، ولا أمر في أهله بصنعة طعام، وما جعل بينه وبين الأرض شيء قط<sup>(٢)</sup>.

والنفس المؤمنة إذا ما تشبعت بالمعاني الإسلامية والأخلاق الفاضلة، فلن تترك خلق التواضع إلى الكبر، وذلك لأن الكبر ينافي تلك المبادئ

(١) كتاب الزهد للإمام أحمد، ص ٨٨.

(٢) حلية الأولياء: (١٤٦/٢).

التي تربي عليها الإنسان المسلم، فالمسلم يرفض التكبر لأنه إما أن يكون على العباد أو على الله - تبارك وتعالى -، وهو في كليهما مذموم، بل ومتوعد فاعله بصنوف العذاب كما جاء ذلك في الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة، قال - تعالى - : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠].

وقال: ﴿ إِنَّكُمْ لَا تُحِبُّونَ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾ [النحل: ٢٣] وغير ذلك من الآيات<sup>(١)</sup>.

فالتكبر على الخالق إذاً يكون بمنازعته إحدى صفاته من كبرياء وعظمة أو بالتكبر عن عبادته. أما التكبر على الخلق فهو صنوف كثيرة توهم صاحبها بأنه أعلى رتبة من البشر، ويعامل نفسه على تلكم الوتيرة حتى يفضي به ذلك إلى مرض نفسي خطير يدعى بمرض العظمة. فمن تلك الصنوف أن يتكبر العبد بحسبه ونسبه، أو بقوته ووسطوته إن كان ذا سلطان أو بماله، أو بجماله، أو بعلمه، فهذه الأمور تكون من دواعي الكبر عند من لم يخالط الإيمان قلبه ولا اطمأنت بالسكينة نفسه.

والتواضع لله - عز وجل - على ضربين:

أحدهما: تواضع العبد لربه عندما يأتي من الطاعات غير معجب بفعله، ولا راءٍ له عنده حالةٌ يوجب بها أسباب الولاية، إلا أن يكون المولى عز وجل هو الذي يتفضل عليه بذلك، وهذا التواضع هو السبب الدافع لنفس العُجب عن الطاعات.

(١) التواضع والخمول لابن أبي الدنيا، ص ١٠.

قال رسول الله ﷺ: «ما زاد الله عبداً بعفوٍ إلا عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله»<sup>(١)</sup>.

قال النووي: «وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله» فيه وجهان: أحدهما: يرفعه الله في الدنيا، ويثبت له بتواضعه في القلوب منزلة، ويرفعه الله عند الناس، ويحلّ مكانه. والثاني: أن المراد ثوابه في الآخرة، ورفعته فيها بتواضعه في الدنيا<sup>(٢)</sup>.

والتواضع الآخر: هو ازدراء المرء نفسه واستحقاره إياها عند ذكره ما قارف من المآثم حتى لا يرى أحداً من العالم إلا ويرى نفسه دونه في الطاعات وفوقه في الجنايات<sup>(٣)</sup>.

### أخي المسلم:

كل ما تراه من مباهج الدنيا وزينتها وقصّصها وقصّصها إنما هو ظل زائل وراكب مرتحل.

قال الإمام أحمد رحمه الله - تعالى -: إنما هو طعام دون طعام، ولباس دون لباس، وإنها أيام قلائل<sup>(٤)</sup>.

خلقنا لا أرضى طريقهم  
بطر الغني ومذلة الدهر

(١) رواه مسلم.

(٢) شرح مسلم للنووي: (١٦/١٤٣).

(٣) روضة العقلاء، ص ٦٠.

(٤) الآداب الشرعية لابن مفلح: (٢/٢٣٩).

فإذا غنيت فلا تكن بطراً

وإذا افتقرت فته على الدهر<sup>(١)</sup>

كان الربيع بن خيثم إذا قيل له كيف أصبحت يا أبا يزيد؟ قال: أصبحنا ضعفاء مذنبين، نأكل أرزاقنا وننتظر آجالنا.

**أخي الحبيب: أين نحن من هؤلاء؟!**

لما خرج أحمد بن حنبل إلى عبدالرازق انقطعت به النفقة، فأكرى نفسه من بعض الجمالين إلى أن وافى صنعاء، وقد كان أصحابه عرضوا عليه المواساة فلم يقبل من أحد شيئاً<sup>(٢)</sup>.

وهذا الصديق أبو بكر - رضي الله عنه - صاحب رسول الله ﷺ ورفيق جهاده ودعوته والمبشر بالجنة يقول: وددت أني شعرة في جنب عبد مؤمن<sup>(٣)</sup>.

وقال عروة بن الزبير - رضي الله عنهما -: رأيت عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - على عاتقه قربة ماء، فقلت: يا أمير المؤمنين! لا ينبغي لك هذا. فقال: لما أتاني الوفود سامعين مطيعين، دخلت نفسي نخوة، فأردت أن أكسرها<sup>(٤)</sup>.

وعن ميمون بن مهران قال: أخبرني الهمداني أنه رأى عثمان بن عفان - رضي الله عنه - على بغلة وخلفها عليه غلامه نائل وهو خليفة. وقال أيضاً: رأيت عثمان - رضي الله عنه - نائماً في المسجد في

(١) البداية والنهاية: (١٦٤/١١).

(٢) صفة الصفوة: (٣٤١/٢)، السير: (٢٠٦/١١).

(٣) الزهد للإمام أحمد، ص ١٦٢.

(٤) مدارج السالكين: (٣٣٠/٢).

ملحفة، ليس حوله أحد وهو أمير المؤمنين .  
أما ذلك الصحابي صاحب المال الوفير والثروة الطائلة والإنفاق  
الواسع عبدالرحمن بن عوف - رضي الله عنه - فإنه كان لا يُعرف من بين  
عبيده، من التواضع في زيهِ وملبسه .

قد يدرك الشرف الفتى ورداءة

خَلِيقٌ، وجِبُّ قميصه مرقوع<sup>(١)</sup>

فلقد خلق الله الإنسان وكرمه وفضله على كثير ممن خلق تفضيلاً،  
وألَبَسَهُ حِلَةَ الْإِيمَانِ، وَزَيَّنَهُ بِأَنْوَاعِ الْفَضَائِلِ وَذَلِكَ تَمِيمًا لِتَكْرِيمِهِ وَتَفْضِيلِهِ .  
والفضائل تلك هي أخلاق رفيعة تحمل صاحبها على السير بين الناس  
بسيرة حسنة من صدق، وكرم، ومروءة، وحب في الله، وحب الخير،  
وغير ذلك من الآداب .

والتواضع أحد تلك الفضائل، بل وركيزة مهمة من ركائز التربية  
الإيمانية في حياة المسلم، ذلك لأنه يضعه في المكان اللائق به - أعني  
مكان العبودية - فلا يبارح هذا المكان ولا يعتدي عليه .

أفلا ترى أن أكثر من نبذوا هذا الخلق إنما هم في الحقيقة معتدون على  
مقام الألوهية لأن الكبرياء والعظمة لله وحده، ولا يجوز للعبد أن يتصف  
بهما أو ياحداهما فقد قال ﷺ فيما يرويه عن ربه : «الكبرياء ردائي، والعظمة  
إزارِي، فمن نازعني واحداً منهما ألقته في جهنم»<sup>(٢)</sup> فليس بغريب إذاً أن  
نجد التواضع من سيماء الصالحين، ومن أخص خصال المؤمنين

(١) تاريخ الخلفاء، ص ٢٤٩ .

(٢) رواه ابن ماجه وهو صحيح الإسناد، انظر صحيح ابن ماجه بالرقم ٣٣٦٥ .

المتقين، ومن كريم سجايا العلماء<sup>(١)</sup>.

عن المبارك بن فضالة قال: كان بين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - وبين رجل كلام في شيء، فقال له الرجل: اتق الله يا أمير المؤمنين، فقال له رجل من القول: أتقول لأمر المؤمنين اتق الله؟! فقال عمر: دعه فليقلها لي، نعم ما قال.

ثم قال عمر: لا خير فيكم إذا لم تقولوها، ولا خير فينا إذا لم نقبلها<sup>(٢)</sup>.

وقال رجل لأبي حنيفة رحمه الله: اتق الله!!

فانتفض واصفر، وأطرق وقال: جزاك الله خيراً، ما أخوج الناس كل وقت إلى ما يقول هذا<sup>(٣)</sup>.

الله أكبر! الأول خليفة والآخر عالم زمانه وهذا جوابهم، واليوم يخشى البعض وهو يقول ناصحاً لعامة الناس: اتقوا الله أن يصيبه من بداءة ألسنتهم وفحش ألفاظهم.

ولست أرى السعادة جَمْع مَال

ولكن التقى هو السعيد

وتقوى الله خيرُ الزاد ذخراً

وعند الله لأتقى مزيـد

**أخي المسلم:**

اعلم أن الزمان لا يثبت على حال كما قال - عز وجل - : ﴿وَتِلْكَ

(١) تاريخ الخلفاء، ص ٢٤٩.

(٢) تاريخ عمر لابن الجوزي، ص ١٧٦.

(٣) السير: (٤١٥/٦).



الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴿١٤٠﴾ [آل عمران: ١٤٠].

فتارة فقر، وتارة غنى، وتارة عز، وتارة ذل، وتارة يفرح الموالي،  
وتارة يشمت الأعادي.

فالسعيد من لازم أصلاً واحداً على كل حال، وهو تقوى الله - عز  
وجل -، فإنه إن استغنى زانته، وإن افتقر فتحت له أبواب الصبر، وإن  
عوفي تمت النعمة عليه، وإن ابتلي حملته، ولا يضره إن نزل به الزمان أو  
صعد، أو أعراه أو أشبعه أو أجاعه.

لأن جميع تلك الأشياء تزول وتتغير، والتقوى أصل السلامة حارس  
لا ينام، يأخذ باليد عند العثرة، ويوافق على الحدود.  
والمتكبر من غرته لذة حصلت مع عدم التقوى، فإنها ستحول وتخليه  
خاسراً.

ولازم التقوى في كل حال، فإنك لا ترى في الضيق إلا السعة، وفي  
المرض إلا العافية. هذا نقدها العاجل. والآجل معلوم<sup>(١)</sup>.

قال يحيى بن معين: ما رأيت مثل أحمد بن حنبل، صحبناه خمسين  
سنة ما افتخر علينا بشيء مما كان فيه في الصلاح والخير<sup>(٢)</sup>.

وكان - رحمه الله - يقول: نحن قوم مساكين

وقال إسماعيل بن إسحاق الثقفي: قلت لأبي عبد الله (أحمد بن حنبل)  
أول ما رأيته: يا أبا عبد الله، ائذن لي أن أقبل رأسك، فقال: لم أبلغ أنا  
ذاك.

(١) صيد الخاطر، ص ١٨١.

(٢) مناقب الإمام أحمد، ص ٣٣٤.

رحمه الله وأجزل مثوبته.. صبر على المحن وثبت على الفتنة التي أصابته وكان إماماً للمسلمين وهو مع هذا يقول: لم أبلغ أنا ذاك؟! وهذا سبط رسول الله ﷺ وهو يؤدي شعيرة عظيمة خاشعاً متذللاً.. ترك الكبر والبطر والمباهاة والفخر..

فقد حج الحسين بن علي عشر حجج ماشياً وتُجِبُه تقاد إلى جنبه<sup>(١)</sup> وعن عمر بن ثابت قال: لما مات علي بن الحسين بن علي فغسلوه، فجعلوا ينظرون إلى آثار سواد في ظهره، فقالوا: ما هذا؟ فقالوا: كان يحمل جراب الدقيق ليلاً على ظهره يعطيه فقراء أهل المدينة<sup>(٢)</sup>.

### أخي المسلم:

قال عمر - رضي الله عنه -: إن العبد إذا تواضع لله رفع حكمته وقال انتعش رفعك الله، وإذا تكبر وعدا طوره رخصه الله في الأرض وقال احسأ خسأك الله، فهو في نفسه كبير وفي أعين الناس حقير حتى أنه لأحققر عندهم من الخنزير<sup>(٣)</sup>.

وذكر أن العلاء بن زياد قال له رجل: رأيت كأنك في الجنة، فقال له: ويحك، أما وجد الشيطان أن أحداً يسخر به غيري وغيرك<sup>(٤)</sup>.

وعندما مرَّ المهلب على مالك بن دينار متبخترًا، فقال: أما علمت أنه مشية يكرهها الله إلا بين الصفين؟ فقال المهلب: أما تعرفني؟ قال: بلى، أولئك نطفة مذرة، وآخرك جيفة قدرة، وأنت فيما بين ذلك تحمل

(١) روضة العقلاء، ص ٦٢.

(٢) انظر: السير: (١٣٩/٤).

(٣) الإحياء: (٣٦١/٣).

(٤) حلية الأولياء: (٢٤٥/٢).

العذرة، فانكسر، وقال: الآن عرفتني حق المعرفة<sup>(١)</sup>.

قال الفقيه السمرقندي: اعلم أن الكبر من أخلاق الكفار والفراعنة، والتواضع من أخلاق الأنبياء والصالحين؛ لأن الله - تعالى - وصف الكفار بالكبر فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الصافات: ٣٥].

وقال: ﴿وَقَرُّوْكَ وَفِرْعَوْنُ وَهَمْلِكُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُّوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٩].

وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

وقال: ﴿أَدْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَلِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [غافر: ٦٧].

وقال: ﴿إِنَّهُمْ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ [النحل: ٢٣].

وقد مدح الله عباده المؤمنين بالتواضع فقال: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣].  
يعني متواضعين.

ومدحهم بتواضعهم وأمر نبيه بالتواضع فقال: ﴿وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨].

وقال: ﴿وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٥].

ومدح النبي ﷺ بخلقه فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].  
وكان خلقه التواضع لأنه روي في الخبر أنه كان يركب الحمار،

ويجب دعوة المملوك، فثبت أن التواضع من أحسن الأخلاق، وكان الصالحون من قبل أخلاقهم التواضع، فوجب علينا أن نفتدي بهم رضي الله تعالى عنهم<sup>(١)</sup>.

### ومن أنواع الكبر المهلكة:

**أولاً:** الكبر على الله - عز وجل - مثل قول فرعون: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٤] إذ استنكف أن يكون عبداً لله.

**ثانياً:** الكبر على الرسل من حيث تعزز النفس وترفعها على الانقياد لبشر مثل سائر الناس، ولذا لا تطاوعه نفسه للانقياد للحق والتواضع للرسل كما حكى الله قولهم: ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِكَ﴾ [المؤمنون: ٤٧]. وقولهم: ﴿إِن أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ [إبراهيم: ١٩].

**ثالثاً:** التكبر على العباد، وذلك بأن يستعظم نفسه ويستحقر غيره ويزدريهم. ويكون التكبر على العباد بأمور دنيوية منها:

\* العلم: وبعض من آتاه الله علماً دينياً أو دنيوياً يتعظم نفسه ويستحقر الناس وينظر إليهم نظرة البهائم وأنه ينبغي أن يخدموه وأن يكرموه وأن يكونوا أذلاء بين يديه. وهو يفرح بكل ذلك مع كثرة جدله وحبه للمراء والمناظرة والغلبة على الخصوم بحق أو باطل.

\* العبادة: بأن يرى أن الناس هالكين ويرى نفسه ناجياً، ولذا يرى أنه أحق بالزيارة والتوسع له في المجلس وذكر زهده وعلمه وورعه.

\* التكبر بالحسب والنسب: فالذي له نسب شريف يستحقر من ليس له ذلك النسب وإن كان أرفع منه علماً وعملاً، وقد يتكبر بعضهم فيرى أن

(١) تنبيه الغافلين، ص ٩٧.

الناس له أموال وعبيد، وكان من عادات الجاهلية التفاخر بالأحساب والأنساب.

\* التفاخر بالجمال: وذلك أكثر ما يجري بين النساء ويدعو إلى التنقص والغيبة والاستهزاء.

\* الكبر بالمال: وذلك يجري بين الملوك في خزائنهم ومن التجار في بضائعهم. وتأمل في حال قارون وهو في ماله ثم أين انتهى به الكبر والعياذ بالله ﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَلِيتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [القصص: ٧٩].

\* الكبر بالقوة: وذلك في أهل القوة الجسمية والعسكرية وذلك بالبطش بالضعفاء وإهانتهم وتعذيبهم.

\* التكبر بالأتباع والأنصار والتلامذة والعشيرة والأقارب والبنين.

قال أبو سليمان: لا يتواضع العبد حتى يعرف نفسه.

وقال أبو يزيد: ما دام العبد يظن أن في الخلق من هو شر منه فهو متكبر، ف قيل له: فمتى يكون متواضعاً؟ قال: إذا لم ير لنفسه مقاماً ولا حالاً. وتواضع كل إنسان على قدر معرفته بربه - عز وجل - ومعرفته بنفسه.

قال وهب بن منبه: آية المنافق أنه يكره الذم ويحب الحمد<sup>(١)</sup>.

ولقد كثر ذلك في زماننا والله المستعان، فأصبح البعض يحب المدح والثناء ويسرُّ به ويكرم من يقوم له بذلك ويغدق عليه الأموال، وبعض المدراء والرؤساء يقرب المداحين المنافقين ويبعد الناصحين المحبين!!

والمسلم إن مُدح بحق فهو لا يُؤجر على هذا المدح . . فما بالك بمن يُمدح بباطل ويحرص على أن تجمع له الكلمات وتُصَفُّ له الحروف؟! قال أبو سليمان: لو اجتمع الخلق على أن يضعوني كاتضاعني عند نفسي ما قدروا عليه .

وقال عروة بن الورد: التواضع أحد مصائد الشرف . وكل نعمة محسود عليها صاحبها إلا التواضع<sup>(١)</sup> .

ولا شك أن من علامة التواضع أن يكره المرء أن يُذكر بالبر والتقوى والصلاح والتقوى بين الناس .

هذا إمام أهل السنة أحمد بن حنبل - رحمه الله - عندما ذُكر عنده أخلاق الورعين فقال: أسأل الله أن لا يمقتنا، أين نحن من هؤلاء؟<sup>(٢)</sup> . وهذا علَمٌ آخر من أعلام السلف لا يرى لنفسه حقاً على غيره مع علمه وورعه وطاعته وعبادته!!

قال أحمد بن عبدالله العجلي: آجر سفيان نفسه من جمال إلى مكة، فأمره أن يعمل خبزة، فلم تجيء جيدة، فضربه الجمال، فلما قدموا مكة، دخل الجمال فإذا سفيان قد اجتمع حوله الناس، فسأل، فقالوا: هذا سفيان الثوري، فلما انفضَّ عنه الناس تقدم الجمال إليه وقال: لم نعرفك يا أبا عبدالله، قال: من يفسد طعام الناس يصيبه أكثر من ذلك<sup>(٣)</sup> .

(١) الإحياء: (٣/٣٦٢) .

(٢) السير: (١١/٢٢٦) .

(٣) السير: (٧/٢٧٥) .

## أخي المسلم:

تواضع إذا ما نلت في الناس رفعة

فإن رفيع القوم من يتواضع

قال أبو حاتم - رضي الله عنه - أفضل الناس من تواضع عن رفعة، وزهد عن قدرة، وأنصف عن قوة، ولا يترك المرء التواضع إلا عند استحكام التكبر، فلا يتكبر على الناس أحد إلا بإعجابه بنفسه، وعجب المرء بنفسه أحد حماد عقله، وما رأيت أحدًا تكبر على من دونه إلا ابتلاه الله بالزلة لمن فوقه<sup>(١)</sup>.

وتأمل - أخي الحبيب - في صور التواضع العجيبة من خير هذه الأمة بعد رسول الله ﷺ أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - وقد ضربا أروع الأمثلة على جلالة قدرهما وعظم منزلتهما.

قال علماء السير: كان أبو بكر - رضي الله عنه - يحلب للحی أغنامهم، فلما بويع قالت جارية من الحي: الآن لا يحلب لنا منائح دارنا، فسمعها فقال: بل أحلبها لكم وإنني لأرجو أن لا يغيرني ما دخلت فيه، عن خلق كنت فيه، فكان يحلب لهم<sup>(٢)</sup>.

وهذا ثاني الخلفاء الراشدين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يضرب لنا مثلاً في التواضع، قال طلحة بن عبيد الله: خرج عمر ليلة في سواد الليل فدخل بيتاً، فلماً أصبحت ذهبت إلى ذلك البيت، فإذا عجوز عمياء مقعدة، فقلت لها: ما بال هذا الرجل يأتيك؟ فقالت: إنه يتعاهدني مدة

(١) روضة العقلاء، ص ٦٢.

(٢) صفة الصفوة: (١/٢٥٨).

كذا وكذا، يأتيني بما يُصلحني، ويُخرج عني الأذى، فقلت في نفسي:  
ثكلتك أمك يا طلحة، أعرثات عمر تتبع<sup>(١)</sup>.  
**ومن خصال المتكبرين التي نراها ونشاهدها:**

\* جر الثياب بطراً ورياء، والتفاخر بها والتعالي على الناس بكل  
ملبوس غالي الثمن.

\* أن لا يمشي إلا ومعه أحد يمشي خلفه.

\* أن لا يزور أحداً تكبراً على الناس.

\* أن يستنكف من جلوس أحد إلى جانبه أو مشيه معه.

\* أن لا يتعاطى بيده شغلاً في بيته.

\* أن لا يحمل متاعه من سوقه إلى بيته.

\* ذكر ما لديه من الأموال والدور والقصور تكبراً ومباهاة.

وجماع ذلك كله أن يرى أنه فوق الناس وهم دونه سواء في أمر معين  
كالعلم أو المال أو الجمال أو الحسب والنسب أو بها جميعاً.

ومن تأمل في تلك علم أنها ربما تزول في لحظات؛ فالعلم إلى

زوال، والمال إلى نهاية، والجمال إلى شيخوخة أو قبل ذلك بطارق من

طوارق الزمن... ولنا في ما ذكره الله - عز وجل - عن صاحب المال

والغنى عبرة وتذكرة: ﴿وَأَصْرَبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ

وَحَفَفْنَاهُمْ بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ۚ﴾ كِلَا الْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أَكْلَهَا وَلَمْ تَظَاهِرْ مِنْهُ شَيْئًا

وَفَجَّرْنَا خِلْفَهُمَا نَهْرًا ۚ﴾ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا

وَأَعَزُّ نَفَرًا ۚ﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ۚ﴾



وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُودِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٣٧﴾ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ﴿٣٨﴾ لَيْكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٣٩﴾ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٤٠﴾ فَعَسَىٰ رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَيُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤١﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَاءً غَورًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴿٤٢﴾ وَأُحِيط بِشَمْرِهِ فَاصْبِرْ يَقْلَبْ كَفَيْهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤٣﴾ ﴿الكهف: ٣٢ - ٤٢﴾.

### أخي الحبيب:

لا تفخرنَّ بما أُوتيت من نعم  
على سواك وخف من كسر جبار  
فأنت في الأصل بالفخار مشبه  
ما أسرع الكسر في الدنيا لفخار<sup>(١)</sup>

قال علي بن ثابت: لو لقيت سفيان الثوري في طريق مكة ومعك  
فلسان تريد أن تتصدق بهما وأنت لا تعرف سفيان ظننت أنك ستضعها في  
يده. وما رأيت سفيان في صدر المجلس قط، إنما كان يقعد إلى جانب  
الحائط ويستند إلى الحائط ويجمع بين ركبتيه.

إذا شئت أن تزداد قدراً ورفعة  
فلن وتواضع واترك الكبر والعُجبا<sup>(٢)</sup>  
قال سعيد بن عامر: قيل إن يونس بن عبيد قال: إني لأعدُّ مائة

(١) شذرات الذهب: (٢٤٨/٦).

(٢) التواضع والخمول، ص ١٢.

خصلة من خصال البر ما في خصلة واحدة<sup>(١)</sup>.

وتأمل في المجالس إلى من يُزكُّون أنفسهم ويمجدون أفعالهم حباً في الثناء وطمعاً في الشهرة.. وقد كثر هذا في الناس لقلة العلم الشرعي وضعف التقوى ومحبة الدنيا.

قال ابن وهب: سمعت مالكا يقول: إن الرجل إذا أخذ يمدح نفسه ذهب بهأوه<sup>(٢)</sup>.

وقال الفضيل: إن استطعت أن لا تكون محدثاً ولا قارئاً ولا متكلماً. إن كنت بليغاً، قالوا: ما أبلغه، وأحسن حديثه، وأحسن صوته، ليعجبك ذلك فتتفخ، وإن لم تكن بليغاً ولا حسن الصوت، قالوا: ليس يحسن يحدث، وليس صوته بحسن، أحزنك ذلك وشق عليك فتكون مرئياً، وإذا جلست فتكلمت فلم تُبالِ من ذمك ومن مدحك، فتكلم<sup>(٣)</sup>.

قال شعبة: ربما ذهبت مع أيوب (السختياني) لحاجة، فلا يدعني أمشي معه، ويخرج من هاهنا وهاهنا، لكي لا يفطن له.

وتأمل حال الأخيار وأهل العلم الأبرار فإنهم يهربون من كل مادح!

قال أحمد بن حنبل: كان سفيان الثوري إذا قيل له إنه رؤى في المنام، يقول: أنا أعرف بنفسي من أصحاب المنامات<sup>(٤)</sup>.

ولقد يكفيك فيها

أيها الطالب فـتـوت

(١) السير: (٢٩١/٦).

(٢) السير: (١٠٩/٨).

(٣) المصدر السابق.

(٤) السير: (٢٥٢/٧).

ولعمري عمن قليل

كل من فيها يموت<sup>(١)</sup>

سأل رجل الإمام مالكا عن مسألة فقال : لا أحسنها ، فقال الرجل : إني ضربت إليك من كذا وكذا لأسألك عنها !! فقال له مالك : إذا رجعت إلى مكانك وموضعك فأخبرهم أنني قد قلت لك إني لا أحسنها<sup>(٢)</sup> .

وقد كثر المفتون في زماننا وبعضهم يبادر بالجواب قبل أن ينتهي السؤال . . ولمعرفة عظم مصيبته وجهله ليعلم أنه يجب عن الله ورسوله فلينظر بماذا يُجيب؟

خرج عبدالله بن مسعود ذات يوم فاتبعه ناس ، فقال لهم : ألكم حاجة؟ قالوا : لا ولكن أردنا أن نمشي معك . قال : ارجعوا فإنه ذلة للتابع وفتنة للمتبوع<sup>(٣)</sup> .

وقال الحسن : كنت مع ابن المبارك يوماً فأتينا على سقاية والناس يشربون منها ، فدنا منها ليشرب ولم يعرفه الناس فزحموه ودفعوه ، فلما خرج قال لي : ما العيش إلا هكذا . يعني حيث لم نعرف ولم تقرر . وقال صالح بن أحمد (بن حنبل) : كان أبي لا يدع أحداً يستقي له الماء لوضوئه<sup>(٤)</sup> .

ونتيجة الكبر والتعالي على الناس معروفة مردولة في الدنيا والآخرة ، عن عمر بن شيبه قال : كنت بمكة بين الصفاء والمروة فرأيت رجلاً راكباً

(١) ديوان الإمام علي ، ص ٥٤ .

(٢) حلية الأولياء : (٣٢٣/٦) .

(٣) صفة الصفوة : (٤٠٦/١) .

(٤) طبقات الحنابلة : (١٢/١) .

بغلته وبين يديه غلمان وإذا هم يعنفون الناس، قال: ثم عدت بعد حين دخلت بغداد فكنت على الجسر، فإذا أنا برجل حافٍ حاسر طويل الشعر، قال: فجعلت أنظر إليه وأأمله، فقال لي: ما لك تنظر إلي؟ فقلت له: شبّهتكَ برجل رأيته بمكة، ووصفت له الصفة، فقال له: أنا ذلك الرجل، فقلت: ما فعل الله بك؟ فقال: إني ترفعت في موضع يتواضع فيه الناس فوضعني الله حيث يترفع الناس<sup>(١)</sup>.

قال هشام بن حسان: ذكروا التواضع عند الحسن وهو ساكت حتى إذا أكثروا عليه قال لهم: أراكم قد أكثرتم الكلام في التواضع.

قالوا: أي شيء التواضع يا أبا سعيد؟

قال: يخرج من بيته فلا يلقى مسلماً إلا ظن أنه خير منه.

ومن التواضع الذلة لله - عز وجل - وخوف التقصير والذل.

كان بكر بن عبدالله إذا رأى شيخاً قال: هذا خير مني، عبدالله قبلي، وإذا رأى شاباً قال: هذا خير مني، ارتكبت من الذنوب أكثر مما ارتكبت<sup>(٢)</sup>.

قال عبدالله بن مسعود: لو تعلمون ما أعلم من نفسي حثيم على رأسي التراب.

وعندما قيل للإمام أحمد بن حنبل: ما أكثر الداعين لك! فتغرغرت عينه وقال: أخاف أن يكون هذا استدراجاً<sup>(٣)</sup>.

وروي عن ابن مسعود - رضي الله عنه - أنه قال: الهلاك في شيئين:

(١) الإحياء: (٣/٣٦٢).

(٢) حلية الأولياء: (٢/٢٢٦).

(٣) الآداب الشرعية: (٣/٤٣٧).

العجب، والقنوط. وإنما جمع بينهما لأن السعادة لا تُنال إلا بالطلب والتشمير، والقانط لا يطلب، والمعجب يظن أنه قد ظفر بمراده فلا يسعى.

قال مطرف - رحمه الله -: لأن أبيت نائمًا وأصبح نادمًا، أحبُّ إليَّ من أن أبيت قائمًا وأصبح معجبًا.

واعلم أن العجب يدعو إلى الكبر، لأنه أحد أسبابه، فيتولد من العجب الكبر، ومن الكبر الآفات الكثيرة، وهذا مع الخلق.

فأما مع الخالق، فإنَّ العجب بالطاعات نتيجة استعظامها، فكأنه يمتنُّ على الله - تعالى - بفعلها، وينسى نعمته عليه بتوفيقه لها، ويعمى عن آفات المفسدة لها. وإنما يتفقد آفات الأعمال من خاف ردها دون من رضيها وأعجب بها.

والعجب إنما يكون بوصف كمال من علم أو عمل، فإن انضاف إلى ذلك أن يرى حقًا له عند الله إدلالًا، فالعجب يحصل باستعظام ما عُجب به، والإدلال يوجب توقع الجزاء، مثل أن يتوقع إجابة دعائه وينكر رده<sup>(١)</sup>.

وكان حَوْشَب يبيكي ويقول: بلغ اسمي مسجد الجامع.

وعن عطاء بن مسلم أحسبه قال: كنتُ وأبو إسحاق ذات ليلة عند سفيان وهو مُضْطَجِع، فرفع رأسه إلى أبي إسحاق فقال: إياك والشهرة.

(١) مختصر منهاج القاصدين، ص ٢٥٥.

قال: وقال أبو مُسهر: ما بينك وبين أن تكون من الهالكين إلا أن تكون من المعروفين<sup>(١)</sup>.

وقال عبد الله بن المبارك: كن محباً للخمول كراهية الشهرة، ولا تظهر من نفسك أنك تحب الخمول فترفع نفسك<sup>(٢)</sup>.

### أخي المسلم:

قال علي - رضي الله عنه -: تبدل لا تُشهر، ولا ترفع شخصك لتُذكر وتعلم، وأكثر الصمت تسلم، تسرُّ الأبرار وتغيظ الفجار.

وقال أيوب: ما صدق الله عبدًا إلا سرَّه أن لا يُشعر بمكانه<sup>(٣)</sup>.

وقال سعيد بن عبد الغفار: كنت أنا ومحمد بن يوسف الأصبهاني، فجاء كتابُ محمد بن العلاء بن المسيب من البصرة إلى محمد بن يوسف فقرأه، فقال لي محمد بن يوسف: ألا ترى إلى ما كتب به محمد بن العلاء؟ وإذا فيه: يا أخي، من أحبَّ الله أحبَّ أن لا يعرفه الناس<sup>(٤)</sup>.

وأثر الخير على الإنسان واضح جلي خاصة إذا كان من معدن زكي كما قال يحيى بن خالد البرمكي: الشريف إذا تنسَّك تواضع، والسفيه إذا تنسَّك تعاظم.

وقال يحيى بن معاذ موضحًا المعاملة بالمثل لمن استدرجه الشيطان وأطاح بتواضعه: التكبر على ذي التكبر عليك بما له تواضع.

ويقال: التواضع في الخلق كلهم حسن، وفي الأغنياء أحسن، والتكبر

(١) التواضع والخمول، ص ١٣.

(٢) صفة الصفوة: (١٣٧/٤).

(٣) التواضع والخمول، ص ١١٩.

(٤) المصدر السابق.

في الخلق كلهم قبيح ، وفي الفقراء أقبح .

**ويقال:**

لا عز إلا لمن تذلل لله - عز وجل - .

ولا رفعة إلا لمن تواضع لله - عز وجل - .

ولا أمن إلا لمن خاف الله - عز وجل - .

ولا ربح إلا لمن ابتاع نفسه من الله - عز وجل - <sup>(١)</sup> .

**أخي المسلم:**

هاك مواقف جميلة وعبراً ناصعة من سلف هذه الأمة وحرصهم على التواضع والبعد عن الشهرة والثناء .

عن خالد بن معدان قال : كان يحيى بن سعيد إذا كثرت خلقته قام مخافة الشهرة .

قال ليث عن أبي العالية أنه كان إذا جلس إليه أكثر من ثلاثة قام .

وقال أبو بكر بن عياش : سألت الأعمش كم رأيت أكثر ما رأيت عند إبراهيم؟ قال : أربعة ، خمسة .

قال أبو بكر ، ما رأيت عند حبيب بن أبي ثابت غلمة ثلاثة قط <sup>(٢)</sup> .

وقال : قال بشر بن الحارث : لا أعلم رجلاً أحب أن يُعرف إلا ذهب دينه وافتضح .

وقال : لا يجد حلاوة الآخرة رجلٌ يحبُّ أن يعرفه الناس <sup>(٣)</sup> .

(١) الإحياء : (٣/٣٦٢) .

(٢) التواضع والخمول ، ص ١٢٢ .

(٣) التواضع والخمول ، ص ١٣٠ .

حقيقٌ بالتواضع من يموت  
ويكفي المرء من دنياه قُوتٌ  
فما للمرء يصبح ذا هموم  
وحرصٍ ليس تدركه النعوتُ  
صنيع ملكينا حسن جميل  
ومما أرزأقسه عنّا تفوتُ  
فيا هذا سترحل عن قليل

إلى قوم كلامهم السكوت<sup>(١)</sup>

وقال مالك بن دينار: إن القلب إذا لم يكن فيه حزن خرب كما يخرب البيت إذا لم يكن فيه ساكن. وإن قلوب الأبرار تغلي بأعمال البرِّ وإن قلوب الفجار تغلي بأعمال الفجور. والله يرى همومكم، فانظروا ما همومكم رحمكم الله<sup>(٢)</sup>.

وليتبد كل قارئ ويظهر همه ومنتهى أمله؟! أهو لدينا فانية ودار زائلة وكُرسي متحرك؟! أم هو هم الدين ورفعته والدعوة إليه والصبر على ذلك!

مرَّ بالحسن شاب عليه بزةٌ له حسنة فدعاه فقال له: ابن آدم معجب بشبابه محب لشمائله، كأن القبر قد وارى بدنك وكأنك قد لاقيت عملك، ويحك! داو قلبك فإن حاجة الله إلى العباد صلاح قلوبهم<sup>(٣)</sup>. وحال المتكبر تدعوه إلى رد الحق وعدم قبوله وهذه عين فساد القلب

(١) البداية والنهاية: (١٢/٨).

(٢) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، ص ٢٧.

(٣) الإحياء: (٣٥٩/٣).



وخبثه . قال رسول الله ﷺ لرجل : « كل بيمينك » قال : لا أستطيع ، فقال النبي ﷺ : « لا استطعت ما منعه إلا الكبر » . فما رفعها إلى فيه <sup>(١)</sup> .

ورأى محمد بن واسع ولده يختال فدعاه وقال : أتدري من أنت ؟ أما أمك فاشتريتها بمائتي درهم . وأما أبوك فلا أكثر الله في المسلمين مثله ! .  
ورأى ابن عمر رجلاً يجزئ إزاره فقال : إن للشيطان إخواناً - كررها مرتين أو ثلاثاً <sup>(٢)</sup> .

يا مُظهر الكبر إعجاباً بصورته انظر خَلاكَ فإن التَّن تَشْرِيبُ  
لو فكر الناس فيما في بطونهم ما استشعر الكبر شُبَان ولا شَيْبُ  
هل في ابن آدم مثل الرأس مكرمةً وهو بخمس من الأقدار مضروب  
أنفٌ يسيلُ وأذن ريحها سهكٌ والعين مرفضةٌ والثغر ملعوبٌ  
يابن التراب ومأكول التراب غذاً أقصر فإنك مأكولٌ ومشروبٌ <sup>(٣)</sup>

وثوب الشهرة قد يكون ثوباً رديئاً ليظهر الإنسان حاله أنه من الزهاد  
والصالحين !! ومنها ما يلبسه بعض المتصوفة ويسمونه الجبة أو المرقوعة  
خضراء اللون ومرتقة من قطع بالية ومشكلة الألوان .

رأى ابن عمر على ابنه ثوباً قبيحاً دوناً فقال : لا تلبس هذا ، فإن هذا  
ثوب شهرة <sup>(٤)</sup> .

### أخي الحبيب:

كيف حالك مع الفقراء والمساكين والمعدمين؟! هذا سبط رسول الله ﷺ

- 
- (١) رواه مسلم .  
(٢) الإحياء : (٣/٣٥٩) .  
(٣) أدب الدنيا والدين ، ص ٢٣٣ .  
(٤) التواضع والخمول ، ص ١٢٩ .

وقد حاز الشرف الرفيع والنسب العالي ومع هذا يتواضع وهو أهل لذلك .  
عن الحسين بن علي - رضي الله تعالى عنهما - أنه مر بمساكين وهم  
يأكلون كسرًا لهم على كساء فقالوا: يا أبا عبد الله، الغداء قال: فتزول وقال:  
إنه لا يحب المستكبرين، فأكل معهم، ثم قال لهم: قد أجبتكم فأجيبوني،  
فانطلقوا معه فلما أتوا المنزل قال لجاريتته: أخرجني ما كنت تدخرين<sup>(١)</sup>.

وذكر عن عمر بن عبد العزيز - رحمه الله تعالى - أنه أتاه ذات ليلة ضيف  
فلما صلى العشاء وكان يكتب شيئًا والضيف عنده كاد السراج أن  
ينطفئ، فقال الضيف: يا أمير المؤمنين، أقوم إلى المصباح فأصلحه؟  
قال: ليس من مروءة الرجل أن يستعمل ضيفه. قال: أفأنبه الغلام؟ قال:  
لا، هي أول نومة نامها، فقام عمر وأخذ البطة فملأ المصباح، فقال  
الضيف: قمت بنفسك يا أمير المؤمنين؟ قال: ذهبت وأنا عمر، ورجعت  
وأنا عمر وخير الناس عند الله من كان متواضعًا.

وقال قيس بن أبي حازم: لما قدم عمر بن الخطاب إلى الشام تلقاه  
علماءؤها وكبرائها فقبل: اركب هذا البرذون يرك الناس، فقال: إنكم  
ترون الأمر من ههنا، إنما الأمر من ههنا وأشار بيده إلى السماء، خلوا  
سبيلي.

وروي في رواية أخرى أن عمر - رضي الله تعالى عنه - جعل بينه وبين  
غلامه مناوبة، فكان يركب الناقة ويأخذ الغلام بزمام الناقة ويسير مقدار  
فرسخ ثم ينزل ويركب الغلام ويأخذ عمر بزمام الناقة ويسير مقدار  
فرسخ، فلما قربا من الشام كانت نوبة ركوب الغلام، فركب الغلام وأخذ

(١) تنبيه الغافلين، ص ٩٥.

عمر بزمام الناقة، فاستقبله الماء في الطريق، فجعل عمر يخوض في الماء ونعله تحت إبطه اليسرى وهو أخذ بزمام الناقة، فخرج أبو عبيدة بن الجراح وكان أميراً على الشام وقال: يا أمير المؤمنين، إن عظماء الشام يخرجون إليك فلا يحسن أن يروك على هذه الحالة، فقال عمر - رضي الله تعالى عنه -: إنما أعزنا الله - تعالى - بالإسلام فلا نبالي من مقالة الناس<sup>(١)</sup>.

وقال عروة بن الزبير - رضي الله عنهما -: رأيت عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - على عاتقه قربة ماء، فقلت: يا أمير المؤمنين، لا ينبغي لك هذا، فقال: لما أتاني الوفود سامعين مطيعين دخلت نفسي نخوة فأردت أن أكسرهما.

وولي أبو هريرة - رضي الله عنه - إمارة، فكان يحمل حزمة الحطب على ظهره ويقول: طرّقوا للأمير<sup>(٢)</sup>.

وقال أنس: كان بين كتفي عمر أربع رقاع وإزاره مرقوع بأدم. وخطب على المنبر وعليه إزار فيه اثنتا عشرة رقعة<sup>(٣)</sup>.

وقال مجاهد في قوله - تعالى -: ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَمَاطِي﴾ [القيامة: ٣٣] أي يتبختر.

ودخل ابن السماك على هارون فقال: يا أمير المؤمنين، إن تواضعك في شرفك أشرف لك من شرفك، فقال: ما أحسن ما قلت! فقال: يا أمير المؤمنين، إن امرءاً آتاه الله جمالاً في خلقته وموضعاً في

(١) تنبيه الغافلين، ص ٩٧.

(٢) مدارج السالكين، ص ٣٤٣.

(٣) البداية والنهاية: (١٤٨/٧).

حسبه وبسط له في ذات يديه فعفَّ في جماله وواسى من ماله وتواضع في حسبه كتب في ديوان الله من خالص أولياء الله فدعا هارون بدواة وقرطاس وكتبه بيده.

وكان سليمان بن داود - عليهما السلام - إذا أصبح تصفح وجوه الأغنياء والأشراف حتى يجيء إلى المساكين فيقعد معهم ويقول: مسكين مع مساكين.

وقال بعضهم: كما تكره أن يراك الأغنياء في الثياب الدون فكذلك فأكره أن يراك الفقراء في الثياب المرتفعة<sup>(١)</sup>.

وقال سليم بن حنظلة: بينا نحن حول أبي بن كعب نمشي خلفه إذ رآه عمر، فعلاه، فقال: يا أمير المؤمنين ما تصنع؟! فقال: إن هذا ذلةٌ للتابع وفتنةٌ للمتبوع<sup>(٢)</sup>.

وقال جرير بن عبدالله: انتهيت مرة إلى شجرة تحتها رجل نائم قد استظل بنطع له وقد جاوزت النطع فسويته عليه، ثم إن الرجل استيقظ فإذا هو سلمان الفارسي، فذكرت له ما صنعت فقال لي: يا جرير، تواضع لله في الدنيا فإنه من تواضع في الدنيا رفعه الله يوم القيامة. يا جرير أتدري ما ظلمة النار يوم القيامة؟ قلت: لا، قال: إنه ظلم الناس بعضهم في الدنيا<sup>(٣)</sup>.

وقال رجاء بن حيوة: قَوِّمْتُ ثياب عمر بن عبدالعزيز - رضي الله عنه -

(١) الإحياء: (٣/٣٦١).

(٢) التواضع والخمول، ص ١٢٣.

(٣) الإحياء: (٣/٣٦١).

وهو يخطب باثني عشر درهماً . وكانت قباء وعمامة وقميصاً وسراويل ورداء وخفين وقلنسوة<sup>(١)</sup> .

نعم هذا تواضع الخليفة الأموي الذي ملأ الأرض عدلاً وزان حياته بالزهد والورع - رحمه الله - .

قيل : أوحى الله - تعالى - إلى عيسى - عليه السلام - : إذا أنعمت عليك بنعمة فاستقبلها بالاستكانة أتممها عليك .

وتأمل - أخي الحبيب - في قول كعب : ما أنعم الله على عبد من نعمة في الدنيا فشكرها لله وتواضع بها لله إلا أعطاه الله نفعها في الدنيا ورفع بها درجة في الآخرة ، وما أنعم الله على عبد من نعمة في الدنيا فلم يشكرها ولم يتواضع بها لله إلا منعه الله نفعها في الدنيا وفتح له طبقاً من النار يعذبه إن شاء الله أو يتجاوز عنه<sup>(٢)</sup> .

### أخي المسلم :

هذا حديث الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ اجعله على رأسك وأمام عينيك حيث قال : « ما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً ، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله »<sup>(٣)</sup> .

رزقنا الله التواضع ، وألزمنا جادة المؤمنين ، وجعلنا ووالدينا وذرياتنا وأزواجنا من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .  
وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(١) مدارج السالكين ، ص ٣٤٤ .

(٢) الإحياء : (٣/٣٦١) .

(٣) رواه مسلم .



# الرزق أبوابه ومفاتيحه

## مقدمة

الحمد لله الذي أسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة، فهدانا للإسلام، وأتم علينا هذا الدين، وأرسل علينا السماء، وأخرج لنا من كنوز الأرض، فله الحمد والشكر، وأصلي وأسلم على نبينا محمد وعلى آله أجمعين.

وبعد:

فإن الله - عز وجل - قَسَمَ الْأَرْزَاقَ بِعِلْمِهِ، فَأَعْطَى مِنْ شَاءَ بِحِكْمَتِهِ، ومنع من شاء بعدله، وجعل بعض الناس لبعض سخرى، قال الله - تعالى -: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحِمْتَ رَيْكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: ٣٢].

ولأن أمر المال عظيم، والسؤال عنه شديد؛ لقول النبي ﷺ: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع خصال: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن علمه ماذا عمل فيه» فيما أقدم «الجزء الحادي والعشرين» من سلسلة «أين نحن من هؤلاء؟!».

جعل الله سعيينا في هذه الدنيا سعيًا مباركًا، وجعله عونًا على الطاعة.

**عبد الملك بن محمد عبد الرحمن القاسم**

## مدخل

فرض الله - عز وجل - على عباده الاكتساب لطلب المعاش ؛ ليستعينوا به على طاعته ، قال - تعالى - : ﴿ وَأَبْغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الجمعة : ١٠] .

فجعل - سبحانه - الاكتساب سبباً للعبادة .

وقال - تعالى - : عن الإنسان ومحبهه للمال : ﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ [العاديات : ٨] .

وقال - عز وجل - أمراً عباده بعد انقضاء فريضة عظيمة هي صلاة الجمعة : ﴿ فَأَنْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ﴾ [الجمعة : ١٠] .

قال الإمام البغوي : أي إذا فرغ من الصلاة فانتشروا في الأرض للتجارة والتصرف في حوائجكم <sup>(١)</sup> .

وكان عراك بن مالك - رضي الله عنه - إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد فقال : « اللهم إني أجبت دعوتك وصليت فرضك ، وانتشرت كما أمرتني فارزقني من فضلك وأنت خير الرازقين » <sup>(٢)</sup> .

وقد حث الإسلام على العمل والاكتساب ، فهو دين العمل والحركة والسعي في الأرض وعمارتها .

(١) مختصر تفسير البغوي : (٢/ ٩٤٥)

(٢) تفسير ابن كثير : (٤/ ٤٧١) .



قال ﷺ: «لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير من أن يأتي رجلاً أعطاه الله من فضله فيسأله، أعطاه أو منعه»<sup>(١)</sup>.

وأثنى النبي ﷺ على المال الصالح في يد العبد الصالح فقال: «نعم المال الصالح للرجل الصالح»<sup>(٢)</sup>.

ولم تُذم الدنيا لذاتها، إنما لما يقع فيها من المعاصي، والذنوب، وأكل المال الحرام، فالدنيا الحرام: الصارفة عن الدين، المجموعة من الحرام. أي أن تجمعها من الحرام، وتجعلها في الحرام.

ويحتم العمل ويجب الاكتساب على من كان له عيال، أو كانت له مسؤولية. فقد جعل الإسلام التقصير في حق الزوجة، والأطفال، والوالدين من الذنوب العظيمة فعن وهب بن جابر قال: شهدت عبدالله بن عمرو بن العاص في بيت المقدس وأتاه مولى له فقال: إني أريد أن أقيم هذا الشهر هاهنا - يعني رمضان - قال له عبدالله: هل تركت لأهلك ما يقوتهم؟ قال: لا، قال: أما لا فارجع، فدع لهم ما يقوتهم، فإني سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت»<sup>(٣)</sup>.

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: كان رسول الله ﷺ إذا نظر إلى رجل فأعجبه، قال: «هل له من حرفة؟» فإن قالوا: لا، سقط من

(١) متفق عليه.

(٢) أخرجه أحمد، وصححه الألباني صحيح الأدب بالرقم ٢٢٩.

(٣) حسنه الألباني في صحيح أبي داود ١٤٨٤.

عينه، قيل: وكيف ذاك يا رسول الله؟ قال: «لأن المؤمن إذا لم يكن ذا حرفة تعيَّش بدينه»<sup>(١)</sup>.

والمسلم يؤجر على قوت عياله كما قال ﷺ: «دينارٌ أنفقته في سبيل الله، ودينارٌ أنفقته في رقبة، ودينارٌ تصدَّقت به على مسكين، ودينارٌ أنفقته على أهلك، أعظمها أجرًا الذي أنفقته على أهلك»<sup>(٢)</sup>.

وروي عن سفیان الثوري - رحمه الله - أنه قال: عليك بعمل الأبطال .  
الكسب من الحلال، والإنفاق على العيال.

وكان إذا أتاه الرَّجل يطلب العلم سأله هل لك وجه معيشة؟ فإن أخبره أنَّه في كفاية، أمره بطلب العلم، وإن لم يكن في كفاية أمره بطلب المعاش.

وقال: أيوب السخيتاني: قال لي أبو قلابة: يا أيوب، الزم سوقك، فإن فيها غنى عن الناس وصلاًحاً في الدين.

وعن محمد بن سيرين عن أبيه قال: صليت مع عمر بن الخطاب المغرب، وانصرف معه جماعة من قريش، فرأى تحت إبطي رزمة فقال: ما هذا يا ابن سيرين؟ فقلت: يا أمير المؤمنين، آتي إلى السوق فأشتري وأبيع، فالتفت إلى جماعة من قريش فقال: لا يغلبنكم هذا وأشباهه على التجارة؛ فإن التجارة ثلث الإمارة<sup>(٣)</sup>.

وقال أبو سليمان الداراني: ليست العبادة أن تصف قدميك وغيرك

(١) كتاب الجامع: (٣٤/١).

(٢) رواه مسلم.

(٣) تاريخ عمر ص ٢١٤.

يقوت لك، ولكن ابدأ برغيفك فأحرزها، ثم تعبد<sup>(١)</sup>.

والمال في يد الإنسان المسلم طريق إلى الحياة الكريمة في الدنيا، والسعادة في الآخرة؛ لأنه كما قال سعيد بن المسيب: لا خير فيمن لا يريد جمع المال من حله، يعطي منه حقه، ويكف به وجهه عن الناس<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن قدامة في تفصيل دقيق لحال طالب الدنيا: قد بينا أن المال لا يذم لذاته، بل ينبغي أن يمدح؛ لأنه سبب للتوصل إلى مصالح الدين والدنيا، وقد سماه الله - تعالى - خيراً، وهو قوام الآدمي. قال الله - تعالى - في أول سورة النساء: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾ [النساء: ٥].

وقال أبو إسحاق السبيعي: كانوا يرون السعة عوناً على الدين.

وقال سفيان: المال في زماننا هذا سلاح المؤمنين.

**وحاصل الأمر:** أن المال مثل حية فيها سم وترياق، فترياقه فوائده، وغوائله سمه، فمن عرف فوائده، أمكنه أن يتحرز من شره، ويستدر من خيره<sup>(٣)</sup>.

### أخي المسلم:

اعلم أن المال لا يذم لذاته، بل يقع الذم لمعنى من الآدمي، وذلك المعنى إما لشدة حرصه، أو تناوله من غير حله، أو حبسه عن حقه، أو إخراجه في غير وجهه، أو المفاخرة به، ولهذا قال الله - تعالى -: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالَكُمُ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥].

(١) الإحياء: (١٧٢/٢).

(٢) السير: (٢٣٨/٤).

(٣) مختصر منهاج القاصدين ص ٢١٤.

وفي سنن الترمذي عن النبي ﷺ أنه قال: «ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم، بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه»<sup>(١)</sup>.

وقد كان السلف يخافون فتنة المال. وكان عمر - رضي الله عنه - إذا رأى الفتوح يبكي ويقول: ما حبس الله هذا عن نبيه ﷺ وعن أبي بكر لشر أراد الله بهما، وأعطاه عمر إرادة الخير له.

قال يحيى بن معاذ: الدرهم عقرب، فإن لم تحسن رقيته فلا تأخذه؛ فإنه إن لدغك قتلك سمه. قيل: ما رقيته؟ قال: أخذه من حله، ووضعته في حقه.

وقال في صاحب حق المال: مصيبتان للعبد في ماله عند موته لا تسمع الخلائق بمثلهما، قيل: ما هما؟ قال: يؤخذ منه كله، يُسأل عنه كله<sup>(٢)</sup>.

ودين الإسلام دين التوكل لا التواكل، ودين السعي لا الخمول.

قال عمر - رضي الله عنه -: لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق يقول اللهم ارزقني؛ فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة<sup>(٣)</sup>.

وقال محمد بن المنكدر في كلمات جميلة عن المال: نعم العون على تقوى الله - عز وجل - الغنى<sup>(٤)</sup>.

(١) رواه الترمذي صحيح.

(٢) مختصر منهاج القاصدين ص ٢١٣.

(٣) الإحياء: (٧١/٢).

(٤) حلية الأولياء: (١٤٩/٢).

## أخي المسلم:

هي القناعة لا تبع بها بدلاً  
 فيها النعيم وفيها راحة البدن  
 انظر لمن ملك الدنيا بأجمعها  
 هل راح منها بغير القطن والكفن<sup>(١)</sup>

## أخي الحبيب:

اعلم أنه ليس من الزهد ترك المال، وبذله على سبيل السخاء والقوة  
 واستمالة القلوب، إنما الزهد أن يترك الدنيا للعلم بحقارتها بالنسبة إلى  
 نفاسة الآخرة ومن عرف أن الدنيا كالثلج يذوب، والآخرة كالدر يبقى،  
 قويت رغبته في بيع هذه بهذه<sup>(٢)</sup>.

وقد كان زهد السلف في الدنيا خوف الوقوع في الحرام، قال مزمل:  
 دخلت على سفيان وهو يأكل طبهاج (اللحم المشرح) بيض فكلمته في  
 ذلك، فقال: لم آمركم أن لا تأكلوا طيباً، اكتسبوا طيباً وكلوا<sup>(٣)</sup>.

وقال علي بن الفضيل: سمعت أبي وهو يقول لابن المبارك: أنت  
 تأمرنا بالزهد والتقلل والبلغة، ونراك تأتي بالبضائع من بلاد خراسان إلى  
 البلد الحرام، كيف ذا؟ فقال ابن المبارك: يا أبا علي إنما أفعل ذا؛  
 لأصون به وجهي، وأكرم به عرضي، وأستعين به على طاعة ربي<sup>(٤)</sup>.

(١) التذكرة ص ١٠٢.

(٢) منهاج القاصدين ص ٣٥٥.

(٣) السير: (٢٧٧/٧).

(٤) تاريخ بغداد: (١٦٠/١٠).

## أسباب الرزق

أسباب الرزق كثيرة متنوعة من أهمها: لزوم التقوى، قال الله - تعالى - : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٦].  
وقال - تعالى - : ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١١﴾ يُرْسِلَ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِّدْرَارًا ﴿١٢﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٣﴾ ﴾ [نوح: ١٠-١٢].

**ومن أعظم الأسباب الجالبة للرزق: ترك الذنوب والمعاصي:** فإنها تحرم خيري الدنيا والآخرة.  
قال - تعالى - : ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴾ [الشورى: ٣٠] أي بجنايتكم على أنفسكم، فقد سمي جناية المرء على نفسه كسبًا.

وقال ﷺ: «إن الرجل ليُحرم الرزق بالذنب يصيبه»<sup>(١)</sup>.  
وقيل لرجل من الفقهاء: ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ [الطلاق: ٢، ٣]، فقال الفقيه: والله، إنه ليجعل لنا المخرج، وما بلغنا من التقوى ما هو أهله، وإنه ليرزقنا وما اتقينا، وإنا لنرجو الثالثة، ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته، ويعظم له أجرًا<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه أحمد، وحسنه الألباني في شرح الطحاوية برقم (٩٢) كجزء من حديث: «لا يرد القدر إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر وإن الرجل يحرم الرزق بالذنب يصيبه».

(٢) حلية الأولياء: (٢٤٨/٤).

وقال بعض السلف متعجباً ممن يعصي الله - عز وجل - كيف يرزقه الكريم الحليم، فقال: عجبت لمن يصلي الصبح بعد طلوع الشمس كيف يرزق؟!

**أين نحن من هؤلاء؟!**

لم تكن الدنيا أكبر همهم ومبلغ سعيهم، فلم تلههم، كانوا يعرفون نعم الله - عز وجل - الأخرى، وأعظمها وأهمها، وأكملها وأتمها نعمة الإسلام، ثم نعمة الصحة والعافية، والأمن في الأوطان: ﴿وَأِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤].

عن الحسن بن صالح قال: ربّما أصبحت ما معي درهم، وكأن الدنيا كلها قد حيزت لي<sup>(١)</sup>.

ولقد كان ارتباطهم بالله - عز وجل - قوياً، وخوفهم من المعاصي شديداً، ولهذا يرون أثر المعاصي لقلتها في دوابهم وزوجاتهم وأبنائهم! فقد أغلظ رجل لوكيع بن الجراح، ثم دخل وكيع بيتاً فعقر وجهه بالتراب، ثم خرج إلى الرجل فقال: زد وكيعاً بذنبيه، فلواه ما سلّطت عليه<sup>(٢)</sup>.

وكان المال وسيلة عندهم، والمال والمنتهى والمطلب هو جنة عدن، ولهذا تدور إجاباتهم وهمومهم على الآخرة، فهي غاية المطالب، وأسمى المنازل.

قيل لأبي حازم الزاهد ما مالك؟ قال: مالان، لا أخشى معهما الفقر: الثقة بالله، واليأس مما في أيدي الناس<sup>(٣)</sup>.

(١) تذكرة الحفاظ: (١/٢١٧).

(٢) تاريخ بغداد: (١٣/٥٠٣).

(٣) جامع العلوم والحكم ص ٣٥٣.

اضرع إلى الله لا تضرع إلى الناس  
واقنع بئأس فإن العز في اليأس

واستغن عن ذي قـربى وذـي رحم  
إن الغني من استغنى عن الناس<sup>(١)</sup>

ومن يسر الله له المال، وساق إليه الخيرات، فليشكر الله على نعمه، وليستعملها في طاعته، ويفرقها ذات اليمين والشمال في أصحاب الحقوق، وقضاء الحوائج.

قال ابن تيمية: «ثم ينبغي له أن يأخذ المال بسخاوة نفس؛ ليبارك له فيه، من غير أن يكون له في القلب مكانة. والسعي فيه إذا سعى كإصلاح الخلاء».

ثم قال - رحمه الله -: «فيكون المال عنده يُستعمل في حاجته بمنزلة حماره الذي يركبه، وبساطه الذي يجلس عليه، بل بمنزلة الكنيف الذي يقضي فيه حاجته من غير أن يستعبده، فيكون هلوغاً، إذا مسه الشر جزوعاً، وإذا مسه الخير منوعاً».

ورزق الله مكتوب مقدّر، لا يجلبه حرص حريص، ولا يدفعه كسل كسول، فإن الله - عزّ وجلّ - قسم الأرزاق بعلمه وعدله، ولهذا كفر من قال: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [القصص: ٧٨] إنما هي منحة ربانية؛ لبيتلي عباده بها!

قالت مريم البصرية: ما اهتممت بالرزق ولا تعبت في طلبه منذ



سمعت الله - عز وجل - يقول: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢].  
**أخي المسلم:**

إذا سُدَّ بابُ عنك من دون حاجةٍ  
 فدعه لأخرى يفتح لك بابها  
 فإن قراب البطن يكفيك ملؤه  
 وكفيك سواآت الأمور اجتنابها  
 ولا تك مبدلاً لعرضك واجتنب  
 ركوب المعاصي يجتنبك قلبها<sup>(١)</sup>

وحذر النبي ﷺ أن تكون الدنيا وطعامها همّ المسلم وديده في ليله ونهاره، تشغله عن الطاعة، وتصرفه عن العبادة، قال ﷺ: «من أصبح والدنيا أكبر همه، جعل الله فقره بين عينيه، وشئت عليه شمله، ولم يأت من الدنيا إلا ما قُدِّر له، ومن أصبح والآخرة أكبر همه جعل الله غناه في قلبه، وجمع عليه شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة، وكان الله بكل خير إليه أسرع»<sup>(٢)</sup>.

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى -: فهذا هو الفقر الحقيقي والغنى الحقيقي، وإذا كان هذا غنى من كانت الآخرة أكبر همه فكيف من كان الله - سبحانه - أكبر همه؟ فهذا من باب التنبيه والأولى<sup>(٣)</sup>.

وقد وردت آيات كثيرة نصت على الترف والمترفين، وسوء ذلك على

(١) الإحياء: (٢٥٤/٣).

(٢) رواه الترمذي وصححه الألباني.

(٣) طريق الهجرتين ص ٤٥.

نفوس الكثير، قال - تعالى - : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْتَرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٦٤].

وقال - تعالى - في آية أخرى : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴾ [الواقعة: ٤٥].  
وقال - تعالى - : ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾ [الإسراء: ١٦].

وقال - تعالى - في آية أخرى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴾ [سبا: ٣٤].

والأمر في الأموال والدور والقصور، مثلما قال شيخ الإسلام ابن تيمية في تصنيفه لفئات الناس مع المال : « والفقر يصلح عليه خلق كثير، والغنى لا يصلح عليه إلا أقل منهم، ولهذا كان أكثر ما يدخل الجنة المساكين؛ لأن فتنة الفقر أهون، وكلاهما يحتاج إلى الصبر والشكر، لكن لما كان في السراء اللذة وفي الضراء الألم، اشتهر ذكر الشكر في السراء والصبر في الضراء ».

ولهذا مال الإنسان محدود الفائدة في ذاته، إما لقمة يأكلها، أو ثوباً يلبسه أو مركباً يركبه، أما من أراد به الله الخير فهو ينفق منه، ويتصدق ويواسي ويفرج، فهذا نعم المال!

قال ﷺ : « يقول ابن آدم مالي! وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت »<sup>(١)</sup>.

قال يحيى بن معاذ: مسكين ابن آدم لو خاف النار كما يخاف الفقر دخل الجنة<sup>(١)</sup>.

ومن هذا الخوف والوجل كانوا يحتاطون لأنفسهم، ويحاسبونها؛ رغبة في النجاة، وخوفاً من الوقوع في الهلاك.

قال خرمي بن يونس: سمعت أبا يوسف الغولي يقول: أنا أتفقّه في مطعمي من ستين سنة.

وكان أبو حنيفة خزازاً يبيع الخبز، فروي أن رجلاً جاءه فقال: يا أبا حنيفة قد احتجت إلى ثوب خبز، فقال: مالونه؟ قال: كذا وكذا، قال: اصبر حتى يقع، وأخذه لك، فما دارت الجمعة حتى وقع، فجاءه الرجل فقال له أبو حنيفة: قد وقعت حاجتك، ثم أخرج إليه ثوباً فأعجبه، فقال: يا أبا حنيفة كم أزن للغلام؟ فقال: درهماً، فقال: أتتهزأ بي قال: لا والله إني اشتريت ثوبين بعشرين ديناراً ودرهم، فبعت أحدهما بعشرين ديناراً، وبقي هذا بدرهم، وما كنت لأربح على صديق. فأخذه!<sup>(٢)</sup>

قال سفيان الثوري: أنظر درهمك من أين هو، وصل في الصف الأخير<sup>(٣)</sup>.

وقال محمد بن سيرين: كان يقال: المتعلم المسلم عند الدرهم<sup>(٤)</sup> وغالب الناس اليوم ينطبق عليهم قول الشاعر:

(١) تاريخ بغداد: (٢١٢/١٤).

(٢) مناقب أبي حنيفة للموفق: (١٩٦/١).

(٣) حلية الأولياء: (٦٨/٧).

(٤) الزهد للبيهقي ص ٣٦٢.

نُزِق دِينَانَا بتمزيق ديننا  
فلا ديننا يبقى ولا ما نُزِق

ولهذا قلت الدمعة في المآقي، ونذر البكاء من خشية الله.

قال سهل - رحمه الله - لا تجد الخوف حتى تأكل الحلال<sup>(١)</sup>.

وعندما رأى عطاء بن يسار رجلاً في المسجد فدعاه فقال: هذه سوق الآخرة، فإن أردت البيع فاخرج إلى سوق الدنيا<sup>(٢)</sup>.

وروي عن خالد البلوي قال: جاء رجل إلى أبي حنيفة فقال: أرشدت إليك تبيني ثوبين أريدهما لأمي وزوجتي، وأحسن بيعي، فقال له، أي لون تريد؟ فوصف له. فقال: انتظرني جمعيتين، قال: نعم، فذهب، ثم جاء بعد ذلك فدفع إليه ثوبين وديناراً واحداً وقال: إني لم أخسر عليك، إني جعلت لك بضاعة فرزقت من عند الله - عز وجل -، فأحمدته. فقلت له، أو قيل له: يا أبا حنيفة هل ذكرت بينكما معرفة قديمة؟ قال: لا. ألم تسمع إلى قوله: (وأحسن بيعي).

قال سعيد بن جبير: إذا قال الرجل للرجل: أحسن بيعي فقد ائتمنه، فلم أكن أبقي من الإحسان شيئاً إلا أتيته؛ لتسلم لي أماني<sup>(٣)</sup>.

وعن علي بن حفص البزاز قال: كان حفص بن عبد الرحمن شريك أبي حنيفة، وكان أبو حنيفة يجهز عليه، فبعث إليه في رفقة بمتاع، وأعلمه أن في ثوب كذا وكذا عيباً، فإذا بعته فبيّن. فباع حفص المتاع ونسي أن يبيّن

(١) الإحياء: (١٧٠/٤٠).

(٢) الورع لعبد الله بن حنبل ص ٥١.

(٣) مناقب أبي حنيفة للموفق: (٢٤١/١).

ولم يعلم ممن باعه، فلمَّا علم أبو حنيفة تصدق بثمان المتاع كُلِّه<sup>(١)</sup>.

**أخي الحبيب.. أين نحن من هؤلاء؟!**

قال مسلمة بن عبد الملك: دخلتُ على عمر بن عبد العزيز بعد الفجر في بيت كان يخلو فيه بعد الفجر، فلا يدخل عليه أحدٌ، فجاءته جارية بطبق عليه تمرٌ صيحاني، وكان يُعجبه التمر، فرفع بكفه منه، فقال: يا مسلمة، أترى لو أن رجلاً أكل هذا، ثم شرب عليه من الماء - على التمر طيب - أكان مُجزئه إلى الليل؟ قلتُ: لا أدري. قال: فرفع أكثر منه، فقال: هذا؟ قلتُ: نعم يا أمير المؤمنين، كان كافيه دون هذا، حتى ما يُبالي أن لا يذوق طعاماً غيره. قال: فعلام يدخل النار؟ قال مسلمة: فما وقعت مني موعظة ما وقعت هذه<sup>(٢)</sup>.

وعن مزمل قال: سمعت وهيباً (ابن الورد) يقول: لو قمت قيام هذه السارية ما نفعك حتى تنظر ما يدخل بطنك حلال أو حرام. وعندما نظر حذيفة المرعشي إلى الناس يتبادرون إلى الصف الأول، فقال: ينبغي أن يتبادروا إلى أكل خبز الحلال، ولا يتبادر إلى الصف الأول<sup>(٣)</sup>.

والشيطان في صراع وجهاد لإغواء المسلم وصدّه عن سبيل الله. قال يوسف بن أسباط: إذا تعبد الشاب يقول إبليس: انظروا من أين مطعمه؟ فإن كان مطعمه مطعم سوء، قال: دعوه، لا تشتغلوا به، دعوه

(١) تاريخ بغداد: (٣٥٨/١٣).

(٢) الورع لأحمد ص ٦٣.

(٣) الزهد للبيهقي ص ٢٥٣.

يجتهد وينصب ، فقد كفاكم نصيبه<sup>(١)</sup> .

وقد يجعل الله - عز وجل - نعمة المال استدراجاً لمن عصاه وخالف أمره ، كما سمعنا ذلك عن أمم سابقة ، ورأينا ذلك في أمم ودول معاصرة ، قال - تعالى - : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ [النحل : ١١٢] .

قال شعيب بن حرب : لا تحقرن فلساً تطيع الله في كسبه ، ليس الفلاس يراد ، إنما الطاعة تراد ، عسى أن تشتري به بقلأ يستقر في جوفك حتى يغفر لك<sup>(٢)</sup> .

أرى حُللاً تُصان على أناس  
وأخلاقاً تُداس فلا تصانُ  
يقولون الزمان به فساد  
وهم فسدوا ، وما فسد الزمان  
قال بعض السلف : لترك دينار مما يكره الله ، أحب إليّ من خمس مائة حجة<sup>(٣)</sup> .

ولهذا قال الحسن : رأيت سبعين بدرية كانوا فيما أحلّ الله لهم أزهد منكم فيما حرم الله عليكم<sup>(٤)</sup> .

(١) الزهد للبيهقي ص ٣٥٩ .

(٢) صفة الصفوة : (١٠/٣) .

(٣) الورع لابن أبي الدنيا .

(٤) حلية الأولياء : (٢٥٥/٤) .

المال يذهب حلّه وحرامه  
 طرّاً ويبقى في غدٍ آثامه  
 ليس المتقي بمتقٍ لإلهه  
 حتى يطيب شرابه وطعامه  
 ويطيب ما تحوى وتسكب كفه  
 ويكون في حسن الحديث كلامه<sup>(١)</sup>

أما صدق الحديث في البيع والشراء فإنك ترى العجب من حال أولئك!  
 حدثنا زياد بن الربيع عن أبيه: قال رأيت محمداً بن واسع يمر ويعرض  
 حماراً له على البيع فقال له رجل: أترضاه لي؟ قال: لو رضيته لم أبعه<sup>(٢)</sup>.  
 وجاء مجمع التيمي بشاة يبيعها، فقال: إني أحسب أو أظن في لبنها  
 ملوحة.

وجاء يوسف بن عبيد بشاة، فقال: بعها وابراً من أنها تقلب المعلف،  
 وتترع الوتد، ولا تبرأ بعد ما تبيع، بيّن قبل أن تبيع<sup>(٣)</sup>.

**أين نحن من هؤلاء؟!**

عن السري بن يحيى قال: لقد ترك ابن سيرين ربح أربعين ألفاً في  
 شيء دخله<sup>(٤)</sup>.

(١) حلية الأولياء: (٣٤٩/٢).

(٢) الورع لابن أبي الدنيا ص ١٠٤.

(٣) الورع لابن أبي الدنيا ص ١٠٤.

(٤) صفة الصفوة: (٢٤٤/٣).

وعن ميمون بن مهران: لا يكون الرجل تقيًا حتى يكون لنفسه أشد محاسبة من الشريك لشريكه، وحتى يعلم من أين ملبسه، ومطعمه، ومشربه<sup>(١)</sup>.

وكانت الزوجة والابنة الصالحة تعين على الحلال واستطابة المطعم.  
 قالت ابنة العدوية لأبيها: يا أبة، لست أجعلك في حل من حرام تطعمنيه فقال لها: أرأيت إن لم أجد إلا حرامًا.  
 قالت: نصبر في الدنيا على الجوع، خير من أن نصبر في الآخرة على النار.

وقال المعافى بن عمران: كان عشرة فيمن مضى من أهل العلم، ينظرون في الحلال النظر الشديد، لا يدخلون بطونهم، إلا ما يعرفون من الحلال، وإلا استقوا التراب، ثم عد بشر، وإبراهيم بن أدهم، وسليمان الخواص، وعلي بن الفضيل، وأبا معاوية الأسود، ويوسف بن أسباط، وهيب بن الورد، وحزيفة شيخ من أهل حران، وداود الطائي، فعد عشرة كانوا لا يدخلون بطونهم إلا ما يعرفون من الحلال، وإلا استقوا التراب<sup>(٢)</sup>.

وكان بشرٌ يقول: ينبغي للرجل أن ينظر خبزه من أين هو؟ ومسكنه الذي سكنه أصله من أي شيء؟ ثم يتكلم<sup>(٣)</sup>.  
 وقال علي بن شعيب: قال لي أبي: كنت قلت عند فلان قال: فقال

(١) السير: (٧٤/٥).

(٢) الورع للإمام أحمد ص ١٠.

(٣) المرجع السابق.



لي: أكلت عنده؟ قلت: نعم، قال: أحمد ربك، أكلت ما لا تُسأل عنه، يعني عن كسبه<sup>(١)</sup>.

وقال أبو يوسف الغسولي: إنه ليكفيني في السنة اثنا عشر درهماً، في كل شهر درهم، وما يحملني على العمل إلا السنة هؤلاء القراء، يقولون: أبو يوسف من أين يأكل؟ وكان يقول: أنا أتفقه في مطعمي من ستين سنة.

وسأل خلف بن تميم، إبراهيم بن أدهم فقال: منذ كم قدمت الشام؟ قال: منذ أربع وعشرين سنة، ما جئت لرباط ولا لجهاد، جئت لأشبع من خبز حلال.

وقال ابن المبارك: رد درهم من شبهة أحب إلي من أن أتصدق بمائة ألف درهم، ومائة ألف، حتى بلغ إلى ستمائة ألف<sup>(٢)</sup>.

وتأمل في سؤال فقهي: ليس المراد الجواب... بل في السؤال تحرر وبراءة للذمة!

سئل الإمام أحمد عن الرجل يكون معه ثلاثة دراهم منها درهم لا يعرفه. قال - رحمه الله -: لا يأكل منها شيئاً حتى يعرفه.

وكان الحجاج بن دينار قد بعث طعاماً إلى البصرة مع رجل، وأمره أن يبيعه يوم يدخل لسعريومه، فأتاه كتابه أني قدمت البصرة فوجدت الطعام منقصاً فحبسته، فزاد الطعام، فازددت كذا وكذا، فكتب إليه الحجاج: إنك قد خنتنا، وصلت بخلاف ما أمرناك به، فإذا أتاك كتابي فتصدق

(١) المرجع السابق.

(٢) الإحياء: (١٠٣/٢).

بجميع ذلك الثمن - ثمن الطعام - على فقراء البصرة، فليتني أسلم إذا فعلت ذلك<sup>(١)</sup>.

وكانوا يتواصون بالحرص على القليل من الحلال؛ ففيه غنية وبركة.. قال بشر بن الحارث: ما ينبغي للرجل أن يشبع اليوم من الحلال؛ لأنه إذا شبع من الحلال دعت نفسه إلى الحرام، فكيف على هذه الأقدار اليوم<sup>(٢)</sup>؟!

ومن يحمس الدنيا ليعيش يسره  
فسوف لعمري على قليل يلومها  
إذا أدبرت كانت على المرء حسرة  
وأن أقبلت كانت كثيرة همومها<sup>(٣)</sup>

### أخي المسلم:

كان عمرو بن قيس الملائي إذا نظر إلى أهل السوق قال: ما أغفل هؤلاء عما أعد لهم<sup>(٤)</sup>.

وكان يونس بن عبيد يشتري الأبرسيم في البصرة، فيبعث به إلى وكيله بالسوس، وكان وكيله يبعث إليه بالخز، فإن كتب وكيله إليه أن المتاع عندهم زائد لم يشتري منهم أبدًا، حتى يخبرهم أن وكيله كتب إليه أن المتاع عندهم زائد<sup>(٥)</sup>.

(١) جامع العلوم والحكم ص ١٣٢.

(٢) الورع للإمام أحمد ص ٧.

(٣) الإحياء: (٢٢١/٣).

(٤) صفة الصفوة: (١٢٤/٣).

(٥) حلية الأولياء: (١٥/٣).

## أخي الحبيب:

يريد المرء أن يعطى مناه  
ويأبى الله إلا ما أراد  
يقول المرء فسأدتي ومالي  
وتقوى الله أفضل ما استفادا

جاء رجل من أهل الشام من سوق الخزازين، فقال المطرف بأربعمائة، فقال يونس بن عبيد: عندنا بمائتين، فنادى المنادي بالصلاة، فانطلق يونس إلى بني قشير؛ ليصلي بهم، فجاء وقد باع ابن أخته المطرف من الشامي بأربعمائة، فقا يونس: ما هذه الدراهم؟ قال: ذاك المطرف بعناه من ذا الرجل، قال يونس: يا عبدالله هذا المطرف الذي عرضت عليك بمائتي درهم فإن شئت خذه، وخذ مائتين وإن شئت فدعه<sup>(١)</sup>.

حدّث أحمد بن حفص: دخلت على أبي الحسن، يعني إسماعيل. والد إبراهيم عبدالله البخاري عند موته، فقال: لا أعلم من مالي درهماً من حرام. ولا درهماً من شبهة.

قال أحمد: فتصاغرت إلي نفسي عند ذلك، ثم قال أبو عبدالله: أصدق ما يكون الرجل عند الموت<sup>(٢)</sup>.

ورحم الله الصحابي الجليل أبا الدرداء إذ يقول: من فقه الرجل المسلم استصلاحه معيشته.

(١) المرجع السابق.

(٢) السير: (٤٤٧/١٢).

وقال - رضي الله عنه - صلاح المعيشة من صلاح الدين، وصلاح الدين من صلاح العقل.

وقال: ليس من حُبِّكَ الدُّنيا التماسك بما يصلحك منها<sup>(١)</sup>.

وقال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - موجَّهًا القراء: يا معشر القراء، استبقوا الخيرات، وابتغوا من فضل الله، ولا تكونوا عيالاً على الناس<sup>(٢)</sup>.

ويحكى عن مبارك أبي عبدالله: أنَّه كان يعمل في بستان لمولاه، وأقام فيه زماناً، ثمَّ أنَّ مولاه صاحب البستان - وكان أحد تجَّار همذان - جاءه يوماً، وقال له: يا مبارك، أريد رُمَّاناً حُلُواً.

فمضى مبارك إلى بعض الشجر، وأحضر منها رُمَّاناً، فكسره مولاه، فوجده حامضاً، فحرَّدَ عليه، وقال: أطلب الحُلُوفَ فتَحْضِرْ لي الحامِض! هات حُلُواً.

فمضى وقطع من شجرة أخرى، فلمَّا كسره سيِّده وجده أيضاً حامضاً، فاشتدَّ حرَّده عليه، وفعل ذلك مرَّةً ثالثةً، فذاقه، فوجده أيضاً حامضاً، فقال له بعد ذلك: أنت ما تعرف الحُلُوفَ من الحامِض؟ فقال: لا.

فقال: وكيف ذلك؟

فقال: لأنِّي ما أكلت منه شيئاً حتى أعرف.

فقال: وَلِمَ لَمْ تَأْكُل؟

(١) جامع بيان العلم وفضله: (١٥/٢).

(٢) المرجع السابق.

قال: لَأَنْتَ مَا أَذْنْتُ لِي بِالْأَكْلِ مِنْهُ .  
 فعجب صاحبُ البُستان من ذلك، وَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ صِدْقُ عَبْدِهِ؛ عَظُمَ فِي  
 عَيْنِهِ، وَزَادَ قَدْرُهُ عِنْدَهُ . وَكَانَتْ لَهُ بِنْتُ خُطْبَتٍ كَثِيرًا، فَقَالَ لَهُ: يَا مَبَارَكَ،  
 مَنْ تَرَى تُزَوِّجُ هَذِهِ الْبِنْتَ؟

فَقَالَ: أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ كَانُوا يَزَوِّجُونَ لِلْحَسَبِ، وَالْيَهُودَ لِلْمَالِ،  
 وَالنَّصَارَى لِلْجَمَالِ، وَهَذِهِ الْأُمَّةُ لِلدِّينِ .

فَأَعْجَبَهُ عَقْلُهُ، وَذَهَبَ فَأَخْبَرَ بِهِ زَوْجَتَهُ، وَقَالَ لَهَا: مَا أَرَى لِهَذِهِ الْبِنْتَ  
 زَوْجًا غَيْرَ مَبَارَكَ .

فَتَزَوَّجَهَا، وَأَعْطَاهُمَا أَبُوهَا مَالًا كَثِيرًا، فَجَاءَتْ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمَبَارَكَ،  
 الْعَالِمِ، الْمُحَدِّثِ، الزَّاهِدِ، الْمُجَاهِدِ، الَّذِي كَانَ أَكْرَمَ ثَمَرَةِ زَوَاجِ عَلِيِّ  
 أَبِيهِ فِي آفَاقِ زَمَانِهِ، حَتَّى قَالَ فِيهِ الْفَضِيلُ بْنُ عِيَاضٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى -  
 وَيَقْسَمُ عَلَى قَوْلِهِ: «وَرَبُّ هَذَا الْبَيْتِ، مَا رَأَتْ عَيْنَايَ مِثْلَ ابْنِ الْمَبَارَكَ»<sup>(١)</sup> .

وَالْيَوْمَ وَقَدْ كَثُرَ الْغُشُّ، وَالْخُدَاعُ، فِي وَاقِعِ حَيَاةِ بَعْضِ النَّاسِ، نَذَرُ أَنْ  
 تَجِدَ الصَّادِقَ الصَّدُوقَ فِي أَدَاءِ الْأَمَانَةِ، الْمُبْتَعِدَ عَنِ الْغُشِّ وَالْخُدَيْعَةِ!  
 وَإِنْ كَانَتْ نَتِيجَةُ الْمَعْصِيَةِ وَاضِحَةً مَعْلُومَةً فِي الْآخِرَةِ فَإِنْ مَالَهَا فِي  
 الدُّنْيَا أَقْرَبَ!

ذَكَرَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - نَهَى فِي خِلَافَتِهِ عَنِ  
 مَذْقِ اللَّبَنِ بِالمَاءِ (أَيِ مَزْجِهِ بِهِ)، فَخَرَجَ ذَاتَ لَيْلَةٍ فِي حَوَاشِي الْمَدِينَةِ،  
 فَإِذَا بِامْرَأَةٍ تَقُولُ لِابْنَتِهَا: أَلَا تَمْدُقِينَ لَبَنَكَ فَقَدْ أَصْبَحَتْ؟  
 فَقَالَتِ الْجَارِيَةُ: كَيْفَ أَمْدُقُ وَقَدْ نَهَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ الْمَذْقِ؟

(١) وفيات الأعيان: (٢/٢٣٧) والتبر المسبوك ص ٨٥.

فقالت : قد مذاق الناس فامذقي ، فما يدري أمير المؤمنين ؟  
 فقالت : إن كان عمر لا يعلم ، فإنه عمر يعلم ، ما كنتُ لأفعله وقد نهى عنه .

فوقعت مقالتها من عمر ، فدعا عاصمًا ابنه ، فقال : يا بُني ، اذهب إلى موضع كذا وكذا ، فاسأل عن الجارية - ووصفها له - .

فذهب عاصم ، فإذا هي جارية من بني هلال ، فقال له عمر : اذهب يا بُني ، فتزوجها ، فما أحرأها أن تأتي بفارس يسود العرب . فتزوجها عاصم بن عمر ، فولدت له أمَّ عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ، فتزوجها عبد العزيز بن مروان بن الحكم ، فأتت بعمر بن عبد العزيز<sup>(١)</sup> .

وأما أثر المال الحرام فواضح ، حتى وإن كان المال والرجل مجاهدًا . .  
 عن عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - قال : لما كان يوم خيبر أقبل نفر من أصحاب النبي ﷺ فقالوا : فلان شهيد ، وفلان شهيد حتى مروا على رجل فقالوا : فلان شهيد ، فقال النبي ﷺ : « كلا إني رأيته في النار في بُردٍ غلها - أو عباءة - »<sup>(٢)</sup> .

**أين نحن من هؤلاء؟!!**

قال بشر بن المفضل : جاءت امرأة بمطرف خز إلى يونس بن عبيد تعرضه عليه ، فقال لها : بكم؟ قالت : بستين درهمًا ، فألقاه إلى جاره ، فقال : كيف تراه؟ قال بعشرين ومائة ، قال : أرى ذلك ثمنه ، أو نحوًا من

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم ص ٢٢ .

(٢) رواه مسلم .

ثمنه، فقال لها: اذهبي فاستأمري أهلك في بيعه بخمسة وعشرين ومائة. قالت: قد أمروني أن أبيعته بستين، قال: ارجعي فاستأمريهم<sup>(١)</sup>. وحُمِلَ إلى الإمام البخاري بضاعة أنفذها إليه أبو حفص أحد أخص تلامذة أبيه، فاجتمع بعض التجار إليه بالمعيشة وطلبوها منه بربح خمسة آلاف درهم.

فقال لهم: انصرفوا الليلة. فجاءه الغد تجار آخرون فطلبوا منه البضاعة بربح عشرة آلاف درهم، فردهم، وقال إني نويت البارحة أن أدفعها إلى الأولين، فدفعها إليهم وقال: لا أحب أن أنقض نيتي<sup>(٢)</sup>. فكان - رحمه الله - يريد أن يعود نفسه على الإيثار، والبعد عن حب المال الذي يعد من الصفات القبيحة.

كم رأينا من جمع المال ولم يتمتع به فأبقاه لغيره وأفنى نفسه كما قال الشاعر:

كدودة القز ما تبنيه يهدمها

وغيرها بالذي تبنيه ينتفع

لما رأى المتيقظون سطوة الدنيا بأهلها، وخداع الأمل لأريابها، وتملَّك الشيطان، وقياد النفوس ورأوا الدولة للنفس الأمارة، لجأوا إلى حصن التضرع والالتجاء كما يأوي العبد المذعور إلى حرم سيده<sup>(٣)</sup>.

**أخي المسلم:**

ما أخذ العبد ما حرم عليه إلا من جهتين:

(١) السير: (٦/٢٩٠) وحلية الأولياء: (١٦/٣).

(٢) مقدمة الفتوح ص ٧٤٩.

(٣) الفوائد ص ٦٢.

إحدهما: سوء ظنه بربه، وأنه لو أطاعه وآثره لم يعطه خيراً منه حلاًلاً.

والثانية: أن يكون عالماً بذلك، وأن من ترك شيئاً أعضاه خيراً منه، ولكن تغلب شهوته صبره، وهواه عقله.

فالأول من ضعف علمه، والثاني من ضعف عقله وبصيرته.

قال يحيى بن معاذ: من جمع الله عليه قلبه في الدعاء لم يردّه.

قلت: إذا اجتمع عليه قلبه، وصدقت ضرورته وفاقته، وقوي رجاءه، فلا يكاد يُردُّ دعاؤه<sup>(١)</sup>.

قال الحسن: إن هذه المكاسب قد فسدت، فخذوا منها القوت، أي شبه المضطر<sup>(٢)</sup>.

\* \* \*

(١) المرجع السابق.

(٢) الورع لابن أبي الدنيا ص ١١١.



## كثرة المال ونتاجه

قال - عز وجل -: ﴿وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَعٌ﴾ [الرعد: ٢٦].

فالأموال والدور والقصور متاع قليل . . سنوات تمضي، وأيام تنتهي، وأنفاس لا تعود! ثم الحساب والجزاء . .

قال خالد بن صفوان: بت ليلتي، أتمنى، فكسبت البحر الأخضر، والذهب الأحمر، فإذا يكفيني من ذلك رغيفان، وكوزان، وطمران<sup>(١)</sup>.

وقال إسحاق بن جبلة: دخل الحسن بن صالح يوماً السوق، وأنا معه، فرأى هذا يخطط، وهذا يصبغ، فبكى وقال: انظر إليهم يتعلمون حتى يأتيهم الموت<sup>(٢)</sup>.

قال الحسن: والله، ما أحد من الناس بسط الله له في الدنيا فلم يخف أن يكون قد مكر له فيها، إلا كان قد نقص عمله، وعجز رأيه، وما أمسكها الله عن عبد، فلم يظن أنه خير له فيها، إلا كان قد نقص عمله، وعجز رأيه<sup>(٣)</sup>.

وكان همهم الآخرة وعيونهم تجاه يوم عظيم . .

قال موسى بن المغيرة: رأيت محمداً بن سيرين يدخل السوق نصف النهار، يكبر ويسبح ويذكر الله - عز وجل - فقال له رجل: يا أبا بكر في

(١) أدب الدنيا والدين ص ١٢١.

(٢) السير: (٢٧٠/٧).

(٣) الجامع لأحكام القرآن: (٢٧٤/٦).

هذه الساعة؟ قال: إنها ساعة غفلة<sup>(١)</sup>.

وقال مالك بن دينار: اتخذ طاعة الله تجارة، تأتلك الأرباح من غير بضاعة<sup>(٢)</sup>.

### أخي المسلم:

فَرِّغْ خَاطِرَكَ لِلْهِمِّ بِمَا أُمِرْتَ بِهِ، وَلَا تَشْغَلْهُ بِمَا ضَمِنَ لَكَ، فَإِنَّ الرِّزْقَ وَالْأَجَلَ قَرِيبَانِ مَضْمُونَانِ. فَمَا دَامَ الْأَجَلُ بَاقِيًا، كَانَ الرِّزْقُ آتِيًا. وَإِذَا سَدَّ عَلَيْكَ بِحِكْمَتِهِ طَرِيقًا مِنْ طَرَفِهِ، فَتَحْ لَكَ بِرَحْمَتِهِ طَرِيقًا أَنْفَعَ لَكَ مِنْهُ.

فَتَأَمَّلْ حَالِ الْجَنِينِ يَأْتِيهِ غِذَاؤُهُ، وَهُوَ الدَّمُ، مِنْ طَرِيقٍ وَاحِدَةٍ وَهُوَ السَّرَّةُ، فَلَمَّا خَرَجَ مِنْ بَطْنِ الْأُمِّ وَانْقَطَعَتْ تِلْكَ الطَّرِيقُ فَتَحَ لَهُ طَرِيقَيْنِ اثْنَيْنِ، وَأَجْرَى لَهُ فِيهِمَا رِزْقًا أَطْيَبَ وَأَلَذَّ مِنَ الْأَوَّلِ، لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا. فَإِذَا تَمَّتْ مَدَةُ الرِّضَاعِ، وَانْقَطَعَتْ الطَّرِيقَانِ بِالْفِطَامِ، فَتَحَ طَرِيقًا أَرْبَعَةً أَكْمَلَ مِنْهَا: طَعَامَانِ وَشَرَابَانِ، فَالطَّعَامَانِ مِنَ الْحَيَوَانِ وَالنَّبَاتِ، وَالشَّرَابَانِ مِنَ الْمِيَاهِ وَالْأَلْبَانِ، وَمَا يُضَافُ إِلَيْهِمَا مِنَ الْمَنَافِعِ وَالْمَلَاذِ. فَإِذَا مَاتَ انْقَطَعَتْ عَنْهُ هَذِهِ الطَّرِيقُ الْأَرْبَعَةُ. لَكِنَّهُ سَبْحَانَهُ فَتَحَ لَهُ - إِنْ كَانَ سَعِيدًا - طَرِيقًا ثَمَانِيَةً، وَهِيَ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ، يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ.

فَهَكَذَا الرَّبُّ - سَبْحَانَهُ - لَا يَمْنَعُ عَبْدَهُ الْمُؤْمِنَ شَيْئًا مِنَ الدُّنْيَا، إِلَّا وَيُؤْتِيهِ أَفْضَلَ مِنْهُ وَأَنْفَعَ لَهُ. وَلَيْسَ ذَلِكَ لَغَيْرِ الْمُؤْمِنِ. فَإِنَّهُ يَمْنَعُهُ الْحِظَّ الْأَدْنَى الْخَسِيسَ، وَلَا يَرْضَى لَهُ بِهِ؛ لِيُعْطِيَهُ الْحِظَّ الْأَعْلَى النَّفِيسَ. وَالْعَبْدُ

(١) صفة الصفوة: (٣/٢٤٥).

(٢) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ص ٢٧.

لجهله بمصالح نفسه، وجهله بكرم ربه وحكمته ولطفه، لا يعرف التفاوت بين ما مُنع منه، وبين ما ذُخر له. بل هو مولع بحب العاجل وإن كان دنيئاً، وبقلة الرغبة في الآجل وإن كان علياً. ولو أنصف العبدُ ربّه، وأتّى له ذلك؟ لَعَلِمَ أن فضله عليه فيما منعه من الدنيا ولذاتها ونعيمها، أعظم من فضله عليه فيما آتاه من ذلك، فما منعه إلا ليعطيه، ولا ابتلاه إلا ليعافيه، ولا امتحنه إلا ليصافيه، ولا أماته إلا ليحييه، ولا أخرجه إلى هذه الدار إلا ليتأهب منها للقدوم عليه، وليسلك الطريق الموصلة إليه. قال - تعالى -: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنۢ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ۝٦٢﴾ [الفرقان: ٦٢] ﴿ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ۝٩٩﴾ [الاسراء: ٩٩] والله المستعان<sup>(١)</sup>.

قد نادت الدنيا على نفسها  
لو كان في العالم من يسمع  
كم واثق بالعمى وارتيه  
وجامع بددت ما يجمع<sup>(٢)</sup>  
قال سعيد بن مسعود: إذا رأيت الرجل تزداد دنياه على آخرته وهو به راضٍ، فذلك المغبون الذي يلعب بوجهه وهو لا يشعر<sup>(٣)</sup>.  
وكان ابن السماك: يقول: يابن آدم إنما تغدو في كسب الأرباح،

(١) الفوائد ص ٧٥.

(٢) تاريخ بغداد: (٤/٦٦).

(٣) الإحياء: (٣/٢٢٣).

فاجعل نفسك فيما تكسبه أنك لم تكسب مثلها<sup>(١)</sup>.  
 ومن ينفق الساعات في جمع ماله  
 مخافة فقرٍ فالذي فعل الفقر<sup>(٢)</sup>

\*\*\*

(١) صفة الصفوة: (١٧٤/٣).

(٢) مفتاح دار السعادة: (١٠٠/١).

## فوائد المال

فوائد المال تنقسم إلى دنيوية ودينية :

أما الدنيوية : فالخلق يعرفونها، ولذلك تهالكوا في طلبها.

وأما الدينية : فتنحصر في ثلاثة أنواع :

**أحدها:** أن ينفقه على نفسه، إما في عبادة، كالحج والجهاد، وإما في الاستعانة على العبادة، كالمطعم، والملبس، والمسكن، وغيرها من ضرورات المعيشة، فإن هذه الحاجات إذا لم تيسر، لم يتفرغ القلب للدين والعبادة، وما لا يتوصل إلى العبادة إلا به، فهو عبادة، فأخذ الكفاية من الدنيا للاستعانة على الدين من الفوائد الدينية، لا يدخل في هذا التوشع والزيادة على الحاجة، فإن ذلك من حظوظ الدنيا.

**النوع الثاني:** ما يصرفه إلى الناس، وهو أربعة أقسام:

**أحدها:** الصدقة وفضائلها كثيرة مشهورة.

**القسم الثاني:** المروءة، نعني بها صرف المال إلى الأغنياء والأشراف في ضيافة وهدية، وإعانة ونحو ذلك، وهذا من الفوائد الدينية؛ إذ به يكتسب العبد الإخوان والأصدقاء.

**القسم الثالث:** وقاية العرض نحو بذل المال لدفع هجو الشعراء، وثلب السفهاء، وقطع ألسنتهم، وكف شرهم، فهو من الفوائد الدينية، فإن النبي ﷺ قال: «ما وقى الرجل به عرضه فهو صدقة» وهذا لأنه يمنع العتاب من معصية الغيبة، ويحرز مما يثير كلامه من العداوة التي تحمل في الانتقام على مجاوزة حدود الشريعة.

القسم الرابع: ما يعطيه أجرًا على الاستخدام، فإن الأعمال التي يحتاج إليها الإنسان لمهنة أسبابها كثيرة، ولو تولاهما بنفسه ضاعت أوقاته، وتعدّر عليه سلوك الآخرة بالفكر، والذكر، اللذين هما أعلى مقامات السالك، ومن لا مال له يفتقر إلى أن يتولى خدمة نفسه بنفسه، فكل ما يتصور أن يقوم به غيرك، ويحصل بذلك غرضك، فإن تشاغلك به غبن؛ لأن احتياجك إلى التشاغل بما لا يقوم به غيرك من العلم والعمل والذكر الفكر أشد.

**النوع الثالث:** ما لا يصرفه الإنسان إلى معين، لكن يحصل به خيرًا عامًا، كبناء المساجد والقناطر، والوقوف المؤبدة. فهذه جملة فوائد المال في الدين، سوى ما يتعلق بالحفظ العاجلة، من الخلاص من ذلك السؤال، وحقارة الفقر، والعز بين الخلق والكرامة في القلوب، والوقار<sup>(١)</sup>.

### أخي المسلم:

كان السلف يخشون النعم أن تكون استدراجًا لهم، ولهذا قال بعضهم: من سأل الله الدنيا فإنما يسأل طول الوقوف للحساب<sup>(٢)</sup>.

وكان أبو الدرداء يقول: اللهم إني أعوذ بك من تفرقة القلب قيل: وما تفرقة القلب؟ قال: أن يوضع لي في كل نفر قوماً لا<sup>(٣)</sup>.

والكنز ورأس المال في هذه الدنيا، ما قاله علي بن الحسين: من قنع

(١) منهاج القاصدين ص ٢١٤ وما بعدها.

(٢) الإحياء: (٢٢٤/٢).

(٣) صفة الصفوة: (٦٣٩/١).

بما قسم الله له فهو من أغنى الناس<sup>(١)</sup>.

نصيبك مما تجمع الدهر كله

ردان تلووى فيهما وحنوط

### أخي المسلم:

الدراهم أربعة: درهم اكتسب بطاعة الله وأخرج في حق الله، فذاك خير الدرهم، ودرهم اكتسب بمعصية الله، وأخرج في معصية الله، فذاك شرُّ الدراهم، ودرهم اكتسب بأذى مسلم وأخرج في أذى مسلم، فهو كذلك، ودرهم اكتسب بمباح وأنفق في شهوة مباحة، فذاك لا له ولا عليه.

هذا أصول الدراهم، ويتفرغ آخر: منها درهم اكتسب بحق وأنفق في باطل، ودرهم اكتسب بباطل وأنفق في حق، فإنفاقه كفارته، ودرهم اكتسب من شبهة فكفارته أن ينفق في طاعة. وكما يتعلق الثواب والعقاب، والمدح والذم بإخراج الدرهم، فكذلك يتعلق باكتسابه. وكذلك يسأل عن مستخرجه ومصروفه من أين اكتسبه، وفيما أنفق؟<sup>(٢)</sup>.

قال ميمون بن مهران: لا يسلم للرجل الحلال حتى يجعل بينه وبين الحرام جزءاً من الحلال<sup>(٣)</sup>.

قال زبير بن الحارث: ألف بكرة أحب إليّ من ألف دينار<sup>(٤)</sup>.

قال أبو الدرداء: أهل الأموال يأكلون ونأكل، ويشربون ونشرب،

(١) حلية الأولياء: (٣/١٣٥).

(٢) الفوائد ص ٢٢٢.

(٣) الورع لعبد الله بن حنبل ص ٤٤.

(٤) السير: (٥/٢٩٦).

ويلبسون ولبس، ويركبون ونركب، ولهم فضول أموال ينظرون إليها وننظر إليها معهم، وحسابهم عليها ونجن براء<sup>(١)</sup>.

لقد ورث الإمام البخاري تركة عظيمة من أبيه العلامة إسماعيل، ولم يكن إسماعيل في تجارته كسائر الناس من التجار الذين قد لا يتورعون عن بعض الأمور، أو يقع من عمالهم ومساعدتهم شيء من التساهل والخطأ، فيقعون في أمور يلزم اجتنابها والحذر منها، وهكذا تصبح الأموال المكتسبة منها موضع شك وارتباب، ولكن إسماعيل كان حذراً في تجارته، محتاطاً في اكتسابه، فقد كان مجتنباً بعيداً كل البعد عن جميع مواضع الشبهات، وقد قال ذلك لأحيد بن حفص، وكان من أخص تلاميذه، عند وفاته:

لا أعلم من مالي درهمًا من حرام، ولا درهمًا من شبهة<sup>(٢)</sup>.

وتعجب أبو حفص لهذا القول الذي يدل على أن إسماعيل كان مبالغاً في الإحتياط، واتقاء الشبهات، وفي الوقت نفسه كان يريد أن يوضح لوارثه الذي كانت الأقدار تهيئه ليكون إمام الدنيا، ويلقب بإمام المحدثين، أن لا يقع في قلبه أدنى شك فيجتنبه، أو يتنازل عنه، بل يستفيد منه في مشاكله؛ لأنه طاهر وطيب من كل وجه.

وقال محمد بن أبي حاتم عن الإمام البخاري: إنه كان يعطي هذا المال مضاربة، وهي نوع من أنواع التجارة؛ لكي يتفرغ لخدمة العلم النبوي، وكان الله - سبحانه وتعالى - قد أغناه من كل جهة.

(١) السير: (٣٥٠/٢).

(٢) مقدمة الفتح: (٤٧٩).



وكان سمحًا، رحيمًا، قد أُعطي حظًا وافرًا منهما، فذات مرة قطع له أحد الغرماء خمسة وعشرين ألفًا، فقيل له بأن الغريم قد وصل إلى أمل، وبإمكانك أن تأخذ منه الدراهم، فقال لهم: لا ينبغي لي أن أتعبه.

قال محمد بن أبي حاتم: فلما عرف الغريم جهودنا انتقل إلى خوارزم، فقلنا له: استعن بكتاب الوالي إلى حاكم خوارزم (لأن الغريم ليس بعيدًا، وبإمكانهم أن يلحقوه بكل سهولة) فقال لهم: إن أخذت منهم كتابًا طمعوا، ولن أبيع ديني بدنياي.

قال محمد بن حاتم:

وكان لأبي عبدالله غريم قطع عليه مالا كثيرًا، فبلغه أنه قدم أمل ونحن بفربر، فقلنا له: ينبغي أن تعبر وتأخذه بمالك، فقال: ليس لنا أن نروعه. ثم بلغ غريمه، فخرج إلى خوارزم فقلنا: ينبغي أن تقول لأبي سلمة الكشاني، عامل أمل؛ ليكتب إلى خوارزم في أخذه، فقال: إن أخذت منهم كتابًا طمعوا مني في كتاب، ولست أبيع ديني بدنياي.

فجهدنا فلم نأخذه حتى كلمنا السلطان عن أمره، فكتب إلى والي خوارزم، فلما بلغ أبا عبدالله ذلك وجد وجدًا شديدًا، وقال: لا تكونوا أشفق عليّ من نفسي، وكتب كتابًا، وأردف تلك الكتب بكتب وكتب إلى بعض، فرجع غريمه، وقصد ناحية مرو فاجتمع التجار وأخبروا السلطان، فأراد التشديد على الغريم، فكره ذلك أبو عبدالله، وصالح غريمه على أن يعطيه كل سنة عشرة دراهم شيئًا يسيرًا، وكان المال خمس وعشرين ألفًا، ولم يصل من ذلك إلى درهم ولا إلى أكثر منه<sup>(١)</sup>.

(١) الطبقات الكبرى للسبكي: (٢/٢٢٦).

وكان يهدف الإمام البخاري من تجارته هذه (أي المضاربة) أن ينفع خلق الله، فكان يساعد أهل العلم، وطلبة العلم، والشيوخ المحدثين، وكان ينفق من دخله خمسمائة درهم على الفقراء والمساكين، وطلبة العلم، وأصحاب الحديث كل شهر، فكان يعين طلبة العلم، ويشجعهم على الانهماك في طلب العلوم النبوية، ويحسن إلى أهل العلم كثيرًا، ولم يكن يعرف الترف والبذخ في حياته في المأكل والمشرب، فكان الصبر والاحتمال قد أصبحا طبيعة له.

هـب أنك قد ملكت الأرض طُرًّا

ودان لك البلاد فكان ماذا؟

أليس غنًا مصيـرك تُـرب

ويحثو التراب هذا ثم هذا

قال الحسن: إذا أراد الله بعبد خيرًا أعطاه من الدنيا عطية، ثم يمسك فإذا نفذ أعاد عليه، وإذا هان عليه عبد بسط له الدنيا بسطًا.

وقال أبو حازم سملة بن دينار: إن وقينا شر ما أعطينا لم نزل ما فاتنا<sup>(١)</sup>.

وعن حميد الطويل قال: خطب رجل إلى الحسن، وكنت أنا السفير بينهما، قال: فكأن قد رضيته يومًا أثني عليه بين يديه، فقلت: يا أبا سعيد وأزيدك أن له خمسين ألف درهم، قال: له خمسون ألف ما اجتمعت حلال، قلت: يا أبا سعيد إنه كما علمت ورع مسلم، قال: إن كان

جمعها من حلال فقد ضنَّ بها عن حق، لا والله، لا أجري بيننا صهرًا أبدًا<sup>(١)</sup>.

وحال الناس مع الأموال، وزيادتها ونقصانها عجيب، ومن أعجب العجيب أنه يهتم بالنقص من ماله، ولا يهتم بالنقص مما هو أعظم من أموال الدنيا!

قال يحيى بن معاذ: عجبت ممن يحزن على نقصان ماله. كيف لا يحزن على نقصان عمره؟!<sup>(٢)</sup>.

وعندما مرض قيس بن سعد بن عبادة، استبطأ إخوانه، فقليل له: إنهم يستحون مما لك عليهم من الدين، فقال: أخزى الله مالا يمنع الإخوان من الزيارة، ثم أمر مناديًا: من كان عليه لقيس حقٌّ فهو منه في حل، قال: فانكسرت درجته بالعش؛ لكثرة من عاده<sup>(٣)</sup>.

وكتب غلامٌ لحسان بن أبي سنان إليه من الأهواز: أنَّ قصب السكر أصابته آفة، فاشتر السكر فيما قبلك.

قال: فاشتراه من رجل فلم يأت عليه إلا قليل، فإذا فيما اشترى ربح ثلاثين ألفًا، فأتى صاحب السكر، فقال: يا هذا إن غلامي كان كتب إليَّ ولم أعلمك، فأقلني فيما اشتريت منك، فقال الآخر: فقد أعلمتني الآن وطيبته لك. قال: فرجع فلم يحتمل قلبه، قال فأتاه فقال: يا هذا، إنني لم

(١) حلية الأولياء: (١٥٦/٢).

(٢) صفة الصفوة: (٩٥/٤).

(٣) منهاج القاصدين ص ٢٢١.

أت هذا الأمر من قبل وجهه، فأحب أن يسترد هذا البيع، قال فما زال به حتى ردَّ عليه<sup>(١)</sup>.

قال سلمة الفراء: كان رأس مال عتبة الغلام فلسًا يتشري به خصوصًا - الخوص: ورق المقل والنخل والنارجيل وما شاكلها، واحدته خوصة - يعمله ويبيع بثلاثة فلوس، فيتصدق بفلس، ويتعشى بفلس، وفلس رأس ماله.

### أخي المسلم:

دع التهافت في الدنيا وزينتها  
ولا يغررَنَّك الاكثار والجشع  
واقنع بما قسم الرحمن، وارض به  
إن القناعة مال ليس يقطع  
وخل عنك فضول العيش أجمعها  
فليس فيها إذا حققت منفعة<sup>(٢)</sup>

ولو تأمل الناس اليوم في كلمات يسيرة لهانت الدنيا .  
قال سميط بن عجلان: إنما بطنك يا بن آدم شبر في شبر فلم يدخلك النار<sup>(٣)</sup>.

لا يــــومــــك ينســــاك  
ولا رزقــــك يعــــدوك

(١) الورع لابن أبي الدنيا ص ١٠٥.

(٢) مكاشفة القلوب ص ٢٨٥.

(٣) الإحياء: (٢٥٤/٣).

وَمَنْ يَطْعَ فِي النَّاسِ  
يَكُنْ لِلنَّاسِ مَمْلُوكًا  
فَلْيَكُنْ سَعِيكَ اللَّهُ  
فَإِنَّ اللَّهَ يَكْفِيكَ<sup>(١)</sup>

كان داود الطائي قد ورث عن أمّه أربعمائة درهم، فمكث يتقوتها ثلاثين عامًا، فلما نفذت جعل ينقض شقوف الدويزة (تصغير الدار) فيبيعها حتى باع الخشب، والبواري (مفردها البورية): وهي الحصير المنسوج من القصب واللبن حتى بقى في نصف سقفة، وجاءه صديق له فقال: يا أبا سليمان لو أعطيتني هذه فأبضعها لك؛ لعلنا نستفضل لك فيها شيئاً ينتفع به. فما زال به حتى دفعها إليه، ثم فكر فيها فلقيه بعد العشاء الآخرة فقال: أرددها عليّ فقال: ولم ذاك يا أخي؟ قال: أخاف أن يدخل فيها شيء غير طيب فأخذها<sup>(٢)</sup>.

تَفْنَعُ بِمَا يَكْفِيكَ وَاسْتَعْمَلِ الرِّضَى  
فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَتَصْبِحُ أَمْ تَمْسِي<sup>(٣)</sup>  
قال الحسن: بئس الرفيقان، الدينار والدرهم لا ينفعانك حتى يفارقاك<sup>(٤)</sup>.

وقال مالك بن دينار: وددت أن الله - عز وجل - جعل رزقي في حصة

(١) طبقات الحنابلة ص ٤١٩.

(٢) صفة الصفوة: (٣/١٣٩).

(٣) التذكرة ص ٥٥.

(٤) السير: (٤/٥٧٦).

أمصها، لا ألتمس غيرها حتى أموت<sup>(١)</sup>.

وقال محمد بن سودة: أمران لو لم نعذب إلا بهما لكنا مستحقين بهما لعذاب الله؛ أحدنا يزداد الشيء من الدنيا فيفرح فرحًا ما علم أنه فرحه بشيء زاده قط في دينه، وينقص الشيء من الدنيا فيحزن عليه حزنًا ما علم أنه حزنه على شيء نقصه قط في دينه<sup>(٢)</sup>.

قال الشافعي: ما فزعت من الفقر قط، طلب فضول الدنيا عقوبة، عاقب بها الله أهل التوحيد<sup>(٣)</sup>.

عجبت لمن يخاف حُلُول فقر  
ويأمن ما يكون من المنون  
أتأمن ما يكون بغير شك  
وتخشى ما ترجحه الظنون<sup>(٤)</sup>

قال أبو صالح حمدون بن أحمد: كفايتك تساق إليك من غير تعب ولا نصب، وإنما التعب في الفضول<sup>(٥)</sup>.

وما يدري الفقير متى غناه  
ولا يدري الغني متى يعيل

(١) حلية الأولياء: (٣٧٠/٢).

(٢) صفة الصفوة: (١١٧/٣).

(٣) السير: (٩٧/١٠).

(٤) جنة الرضا: (٦٣/١).

(٥) صفة الصفوة: (١٢٢/٤).

قال عطاء بن مسلم: عاش داود الطائي عشرين سنة بثلاث مائة درهم<sup>(١)</sup>.

خذ القناعة من دنيائك، وارض بها  
لو لم يكن لك إلا راحة البدن<sup>(٢)</sup>

أخي المسلم:

أموالنا لذوي الميراث نجمعها  
ودورنا لخراب الدهر نبنيها  
والنفس تكلف بالدنيا وقد علمت  
أن السلامة ترك ما فيها  
فلا الإقامة تنجي النفس من تلف  
ولا الفرار من الأحداث ينجيها  
وكل نفس لها زور يصبّحها  
من المنيّة يومًا أو يمسيها

قال عمرو بن دينار: ما رأيت الدينار والدرهم عند أحد أهون منه عند  
الزهري، كأنها بمنزلة البعر<sup>(٣)</sup>.

وعن النعمان بن حميد قال: دخلت مع خالي على سلمان الفارسي  
بالمدائن، وهو يعمل الخوص، فسمعتة يقول: أشتري خوصًا بدرهم،

(١) السير: (٤٢٤/٧).

(٢) موارد الظمآن: (٤٩٣/٣).

(٣) تذكرة الحفاظ: (١٠٩/١).

فأعمله فأبيعه بثلاثة دراهم، فأعيد درهمًا فيه، وأنفق درهمًا على عيالي،  
وأصدق بدرهم<sup>(١)</sup>.

العِيش سَاعَات تَمُر  
وخطوب أيام تَكُر  
اقتنع بعيشك تَرْضَه  
واترك هواك تعيش حُر  
فلرب حترف ساقه  
ذهب ويساقوت ودر<sup>(٢)</sup>

قال سفيان الثوري: العالم طبيب الدين، والدرهم داء الدين، فإذا  
اجترَّ الطبيب الداء إلى متى يداوي غيره؟<sup>(٣)</sup>

وفي الحكم المنشورة: بشر مال البخيل بحادث، أو وارث<sup>(٤)</sup>.  
كان المسور بن مخرمة قد احتكر طعامًا كثيرًا، فرأى سحابة في  
الخریف فكرهه، فقال: ألا أراني كرهت ما ينفع المسلمين؟ فإلى، أن لا  
يربح فيه شيئًا، فأخبر بذلك عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فقال  
عمر: جزاك الله خيرًا<sup>(٥)</sup>.

المَرء يجمع، والزمان يفرق  
وظل يرقع والخطوب تمزق

(١) صفوة الصفوة: (١/٥٤١).

(٢) الإحياء: (٣/٢٥).

(٣) تذكرة الحفاظ: (١/٢٠٤).

(٤) مكاشفة القلوب ص ١٢٤.

(٥) جامع العلوم والحكم ص ١٣٢.



كان حماد بن سلمة في سوقه، فإذا ربح في ثوب حبة أو حبتين شد جيوبه وقام<sup>(١)</sup>.

سهرت أعين ونامت عيون  
لأمور تـكـون أو لا تـكـون  
فاطرد الهم ما استطعت عن الـ  
نفس فحملانك الهموم جنون  
إن ربّاً كفّاك بالأمس ما كا  
ن سيكفيك في غدٍ ما يكون

عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: لما ضرب الدينار، والدرهم، أخذه إبليس ووضع على عينيه وقال أنت ثمرة قلبي وقرة عيني، بك أطغى، وبك أكفر، وبك أدخل الناس النار، رضيت من ابن آدم بحب الدنيا أن يعبدني<sup>(٢)</sup>.

وقال بعض البلغاء: خير الأموال، ما أخذته من الحلال، وصرفته في النوال، وشر الأموال، ما أخذته من الحرام وصرفته في الآثام<sup>(٣)</sup>.

كان الليث بن سعد يستغل عشرين ألف درهماً في كل سنة وقال: ما وجبت عليّ زكاة قط.

وقال حسان بن أبي سنان: لولا المساكين ما اتّجرت<sup>(٤)</sup>.

(١) شذرات الذهب: (١/٢٦٢).

(٢) صفة الصفوة: (١/٧٥٧).

(٣) أدب الدنيا والدين ص ٢١٤.

(٤) حلية الأولياء: (٣/١١٦).

وقال يونس بن عبيد: إنما درهمان، درهم أمسكت عنه حتى طلب لك فأخذته، ودرهم وجب لله - تعالى - عليك فيه حق فأديته<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

(١) حلية الأولياء: (١٧/٣).

## ترك التجارة للعبادة

قال - عز وجل - محذرًا من الانشغال عن الطاعة والعبادة بأمرور الدنيا: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ ءُمُورُكُمْ وَلَا ءَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩].

قيل لبشر بن الحارث: بالله يا أبا نصر أيهما أحلى، الدنانير أو الدراهم؟ قال: الطاعة والله أحلى منهما جميعاً<sup>(١)</sup>.

وقال خلف بن حوشب: كنت مع الربيع بن أبي راشد في الجبانة فقرأ رجل: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ﴾ [الحج: ٥].

فقال الربيع: حال ذكر الموت بيني وبين كثير من التجارة، فلو فارق ذكر الموت قلبي ساعة، لخشيت أن يفسد عليّ قلبي. ولولا أن أخالف من كان قلبي لكانت الجبانة مسكني إلى أن أموت<sup>(٢)</sup>.

قال أبو الدرداء: بُعث النبي ﷺ وأنا تاجر، فأردت أن تجتمع لي العبادة والتجارة، فلم يجتمعا، فرفضت التجارة وأقبلت على العبادة، والذي نفس أبي الدرداء بيده، ما أحب أن أملك حانوتاً على باب المسجد لا يخطئني فيه صلاة، وأربح فيه كل يوم أربعين ديناراً، وأتصدق بهما كلها في سبيل الله، قيل له: يا أبا الدرداء وماتكره من ذلك؟ قال: شدة الحساب<sup>(٣)</sup>.

(١) تاريخ بغداد: (٤٢١/١٤).

(٢) صفة الصفوة: (١٠٩/٣).

(٣) حلية الأولياء: (٢٠٩/١).

قال أبو الدرداء عبدوا الله كأنكم ترونه، وعدوا أنفسكم في الموتى، واعلموا أنَّ قليلاً يغنيكم، خير من كثير يلهيكم، واعلموا أن البر لا يبلى، وأن الإثم لا ينسى.

وكان الفضيل بن عياض يقول: أصلح ما أكون أفقر ما أكون، وأني لأعصي الله أعرف ذلك في خلق حماري وخادمي<sup>(١)</sup>.

وقال أبو علي الثقفى: يا من باع كل شيء بلا شيء، واشترى لا شيء بكل شيء.

وقال: أف من أشغال الدنيا إذا أقبلت، وأف من حسرتها إذا أدبرت<sup>(٢)</sup>.

فلو كانت الدنيا تنال بفطنة  
وفضلٍ ونقلٍ نلت أعلى المراتب  
ولكنما الأرزاق حِظٌّ وقسمة  
بفضلٍ مليك لا بحيلة طالب

قال أبو حازم سلمة بن دينار: يسير الدنيا يشغل عن كثرة الآخرة<sup>(٣)</sup>.

يقولون لي فيك انقباض وإنما  
رأوا رجلاً عن موقف الذل أحجماً  
أرى الناس من دناهم هان عندهم  
ومن أكرمه عزه النفس إكراماً<sup>(٤)</sup>

(١) صفة الصفوة: (٢/٢٣٨).

(٢) السير: (١٥/٢٨٢).

(٣) صفة الصفوة: (٢/١٦٦).

(٤) السير: (١٧/٢٠).

وقال مالك بن دينار: السوق مكثرة للمال، مذهبة للدين<sup>(١)</sup>.

### أخي المسلم:

قال ابن مسعود: إن العبد ليهم بالأمر في التجارة والإمارة. حتى يسر له، فينظر الله إليه فيقول للملائكة، اصرفوه عنه؛ فإنه إن يسرته له أدخلته النار، فيصرفه الله عنه، فظل يتطير بقوله: سبني فلان وأهانني فلان. وما هو إلا فضل الله - عز وجل -<sup>(٢)</sup>.

قال أبو حازم - سلمة بن دينار -: إن بضاعة الآخرة كاسدة، فاستكثروا منها في أوان كسادها، فإنه لو جاء يوم نفاقها لم تصل منها إلى قليل ولا كثير<sup>(٣)</sup>.

وقال عبدالرحمن بن مهدي: والله لا تجد فقد شيء تركته ابتغاء وجه الله، كنت أنا وأخي شريكين فأصبنا عللاً كثيرة، فدخل قلبي من ذلك شيء، فتركته لله، وخرجت منه، فما خرجت من الدنيا حتى رد الله عليّ ذاك المال، عامته إليّ وإلى ولدي. زوّج أخي ثلاث بنات من بني، وزوجت ابنتي من ابنه، ومات أخي فورثه أبي، ومات أبي فورثته أنا فرجع إليّ وإلى ولدي في الدنيا<sup>(٤)</sup>.

تجرد من الدنيا فإنك إنما

خرجت إلى الدنيا وأنت مجرد<sup>(٥)</sup>.

(١) حلية الأولياء: (٢/٣٨٥).

(٢) جامع العلوم والحكم ص ٢٢٨.

(٣) صفة الصفوة: (٢/١٦٣).

(٤) صفة الصفوة: (٤/٦).

(٥) وفيات الأعيان: (٥/٥٤).

**أخي المسلم:**

قال الحسن: مسكين ابن آدم رضي بدار حلالها حساب، وحرامها عذاب، إن أخذه من حله حوسب به، وإن أخذه من حرام عُدَّ به، ابن آدم يستقل ماله، ولا يستقل عمله، يفرح بمصيبته في دينه، ويحزن من مصيبته في دنياه<sup>(١)</sup>.

وقيل: لعبد الله بن عمر: توفي فلان الأنصاري. قال: رحمه الله. فقيل: ترك مائة ألف، قال: لكن هي لم تتركه<sup>(٢)</sup>.

أموالنا لذي الميراث نجمها

ودورنا لخراب الدهر نبيها

تلك المنازل في الأفاق خاوية

أضحت خراباً وضاق الموت بآتيها

قال أبو الدرداء: الحمد لله الذي جعل الأغنياء يتمنون أنهم مثلنا عند الموت، ولا نتمنى أننا مثلهم حينئذ، ما أنصفنا إخواننا الأغنياء، يحنوننا على الدين، ويعاودوننا على الدنيا<sup>(٣)</sup>.

**أخي المسلم:**

غوائل المال وآفاته، تنقسم إلى دينية ودنيوية:

**أما الدينية فثلاث:**

الأولى: أنه يجر إلى المعاصي غالباً؛ لأن من استشعر القدرة على المعصية، انبعثت داعيته إليها.

(١) الإحياء: (٢٢٤/٣).

(٢) الزهد لابن السري: (٣٣٥/١٠).

(٣) السير: (٣٥٠/٢).

والمال نوع من القدرة يحرك داعيته إلى المعاصي، ومتى يئس الإنسان من المعصية، لم تتحرك داعيته إليها.  
ومن العصمة أن لا تجد، فصاحب القدرة إن اقتحم ما يشتهي هلك، وإن صبر لقي شدة في معاناة الصبر مع القدرة، وفتنة السراء أعظم من فتنة الضراء.

الثانية: أنه يحرك إلى التمتع في المباحات، حتى تصير له عادة وإلفاً، فلا يصبر عنها، وربما لم يقدر على استدامتها إلا بكسب فيه شبهة، فيقتحم الشبهات، ويترقى إلى آفات من المداهنة والنفاق؛ لأن من كثر ماله خالط الناس، وإذا خالطهم لم يسلم من نفاق وعداوة وحسد وغيبة، وكل ذلك من الحاجة إلى إصلاح المال.

الثالثة: وهي التي لا ينفك عنها أحد، وهو أن يلهيه ماله عن ذكر الله، وهذا هو الداء العضال، فإن أصل العبادات ذكر الله - تعالى - والتفكر في جلاله وعظمته، وذلك يستدعي قلباً فارغاً.

وصاحب الضيعة يمسي ويصبح متفكراً في خصومة الفلاحين، ومحاسبتهم وخيانتهم، ويتفكر في منازعة شركائه في الحدود والماء، وأعوان السلطان في الخراج، والأجراء على التقصير في العمارة، ونحو ذلك.

وصاحب التجارة يمسي ويصبح متفكراً في خيانة شريكه، وتقصيره في العمل، وتضييعه المال.

وكذا سائر أنواع المال، حتى صاحب المجموع المكنوز يفكر في كيفية حفظه، وفي الخوف عليه.

ومن له قوت يوم بيوم فهو سلامة من جميع ذلك، وهذا سوى ما

يقاسيه أرباب الأموال في الدنيا، من الخوف، والحزن، والهم، والغم، والتعب.

فإذا تریاق المال أخذ القوت منه، وصرف الباقي إلى الخيرات، وما عدا ذلك سموم وآفات<sup>(١)</sup>.

قال يحيى بن معاذ: مصيبتان لم يسمع الأولون والآخرون بمثلهما في ماله (أي في مال الإنسان) عند موته، قيل: ما هما؟ قال: يؤخذ منه كله ويسأل عنه كله.

يريد المرء أن يُعطى مناه  
ويأبى الله إلا ما أراد  
يقول المرء فائدتي ومالي  
وتقوى الله أكرم ما استفادا<sup>(٢)</sup>

قال أبو الدرداء - رضي الله عنه -: أبو درهمين أشد حبسًا، أو قال أشد حسابًا من ذي درهم<sup>(٣)</sup>.

\*\*\*

(١) مختصر منهاج القاصدين: (٢/٤) وما بعدها.

(٢) طبقات الشافعية: (١٨٤/٢).

(٣) الإحياء: (٢١٠/٤).



## بيان علاج الحرص والطمع والدواء الذي تكتسب به صفة القناعة

اعلم أن هذا الدواء مركب من ثلاثة أركان: الصبر، والعلم والعمل، ومجموع ذلك خمسة أمور:

**الأول:** الاقتصاد في المعيشة، والرفق في الإنفاق، فمن أراد القناعة، فينبغي أن يسد عن نفسه أبواب الخرج ما أمكنه، ويرد نفسه إلى ما لا بد له منه، فيقنع بأي طعام كان، وقليل من الإدام، وثوب واحد، ويوطن نفسه على ذلك، وإن كان له عيال، فيرد كل واحد إلى هذا القدر.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩].

وقد جاء في الحديث: «ثلاث منجيات: خشية الله - تعالى - في السر والعلانية، والقصد في الغنى والفقر، والعدل في الرضا والغضب»<sup>(١)</sup>.

**الثاني:** إذا تيسر له في الحال ما يكفيه، فلا يكون شديد الاضطراب لأجل المستقبل، ويعينه على ذلك قصر الأمل، واليقين بأن رزقه لا بد أن يأتيه، وليعلم أن الشيطان يعده الفقر.

وعن ابن مسعود - رضي الله عنه - عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن روح القدس نفث في روعي، أن نفسا لن تموت حتى تستكمل أجلها وتستوعب رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا يحملنكم استبطاء الرزق أن

(١) حسنه الألباني في صحيح الجامع برقم (٣٠٣٩).

يطلبه بمعصية الله - عز وجل -، فإن الله - تعالى - لا يُنال ما عنده إلا بطاعته»<sup>(١)</sup>.

وإذا انسَدَّ عنه باب كان ينتظر الرزق منه، فلا ينبغي أن يضطرب قلبه، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٣، ٢].

**الثالث:** أن يعرف ما في القناعة من عز الاستغناء، وما في الطمع والحرص من الذل.

وليس في القناعة إلا الصبر عن المشتريات والفضول، مع ما يحصل له من ثواب الآخرة، ومن لم يؤثر عز نفسه عن شهوته، فهو ركيك العقل، ناقص الإيمان.

**الرابع:** أن يكثر تفكره في تنعم اليهود والنصارى وأرذال الناس، والحمقى منهم، ثم ينظر إلى أحوال الأنبياء والصالحين، ويسمع أحاديثهم ويطالع أحوالهم، ويخير عقله بين مشابهة أرذال العالمين، أو صفوة الخلق عند الله - تعالى - حتى يهون عليه الصبر على القليل، والقناعة باليسير، وأنه إن تنعم بالأكل فالبهيمة أكثر أكلًا منه، وإن تنعم بالوطء فالعصفور أكثر سقاءً منه ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾ [آل عمران: ١٩٦].

**الخامس:** أن يفهم ما في المال من الخطر، كما ذكرنا في آفات المال، وينظر إلى ثواب الفقر، ويتم ذلك بأن ينظر أبدًا إلى من دونه في الدنيا، وإلى من فوقه في الدين، كما جاء في الحديث أن رسول الله ﷺ قال:

(١) صحيح الجامع برقم (٢٠٨٥).

«انظروا إلى من هو أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم؛ فإنه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم»<sup>(١)</sup>.

**وعمد الأمر:** الصبر وقصر الأمل، وأن يعلم أن غاية صبره في الدنيا أيام قلائل لتمتع دائم، فيكون كالمرضى الذي يصبر على مرارة الدواء لما يرجو من الشفاء.

كان الأوزاعي الفقيه كثيرًا ما يتمثل بهذه الآيات:

المال ينفذ حِلَّه وحرامه  
يَوْمًا ويبقى بعده آثامه  
ليس التقى بمتقٍ لإلهه  
حتى يطيب شرابه وطعامه  
ويطيب ما يجنى ويكسب أجله  
ويطيب من لفظ الحديث كلامه  
نطق النبي لنا به عن ربه  
فعلى النبي صلاته وسلامه<sup>(٢)</sup>

رزقنا الله جميعًا الرزق الحلال الطيب المبارك، وجعل ما في أيدينا عونًا على الطاعة، وغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين. وصلى الله وسلم على نبينا، محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

\*\*\*

(١) رواه مسلم.

(٢) طبقات الحنابلة (١/٤٠٥)، أدب الدنيا ص ٢١٤.

أنهلك وفينا الصالحون؟!

## المقدمة

الحمد لله الذي خصَّ هذه الأمة بالخيرية، والصلاة والسلام على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

فإن من تأمل في حياة المسلمين اليوم وجد أن البعض منهم قد أهمل القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وقد لبس الشيطان في ترك هذه الشعيرة العظيمة بأعذار واهية.

وللرغبة في نفع نفسي وإخواني المسلمين، أقدم الجزء «الثاني والعشرين» من سلسلة «أين نحن من هؤلاء؟» وهو مختص بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

جعل الله أعمالنا صواباً خالصة لوجهه الكريم.

**عبد الملك بن محمد بن عبد الرحمن القاسم**

## مدخل

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: «هو القطب الأعظم في الدين، وهو المهم الذي ابتعث الله له النبيين أجمعين، ولو طوي بساطه، وأهمل علمه وعمله، لتعطلت النبوة، واضمحلت الديانة، وعمت الفترة، وفشت الضلالة وشاعت الجهالة، واستشرى الفساد، واتسع الخرق، وخربت البلاد، وهلك العباد ولم يشعروا بالهلاك إلا يوم التناد»<sup>(١)</sup>.

ولقد جعل الله - تعالى - حماية العقيدة، وصيانة الفضيلة، وعز الأمة والفلاح للمؤمنين منوطاً بالقيام بهذا الواجب العظيم، قال تعالى: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر منزله في الإسلام رفيعة، وقد عده بعض العلماء الركن السادس من أركان الإسلام.

وقدمه الله - عز وجل - على الإيمان لفظاً، كما في قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وقدمه الله - عز وجل - في سورة التوبة على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، فقال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١].

وفي هذا التقديم إيضاح لعظم شأن هذا الواجب وبيان لأهميته في حياة الأفراد والمجتمعات والشعوب، وبتحقيقه والقيام به تصلح الأمة ويكثر فيها الخير ويضمحل الشر ويقل المنكر، وبإضاعته تكون العواقب الوخيمة والكوارث العظيمة والشرور الكثيرة، وتنفرد الأمة وتفسد القلوب أو تموت، وتظهر الرذائل وتنتشر، ويظهر صوت الباطل ويفشو المنكر.

وقد ذكر النبي ﷺ درجات تغيير المنكر بقوله ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»<sup>(١)</sup>.

قال ابن تيمية - رحمه الله -: «ومن لم يكن في قلبه بغض ما يبغض الله ورسوله من المنكر الذي حرّمه من الكفر والفسوق والعصيان، لم يكن في قلبه الإيمان الذي أوجبه الله عليه، فإن لم يكن مبغضاً لشيء من المحرمات أصلاً لم يكن معه إيمان أصلاً».

جاء رجل إلى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: فقال له: إني أعمل أعمال الخير كلها إلا خصلتين: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقال عمر - رضي الله عنه -: «لقد طمست سهمين من سهام الإسلام إن شاء الله غفر لك وإن شاء عذبك».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: «والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على الكفاية باتفاق المسلمين، وكل واحد من الأمة مخاطب بقدر قدرته، وهو من أعظم العبادات».

(١) رواه مسلم.

ثم قال - رحمه الله - في ضابط هذا العمل : وليس لأحد أن يزيل المنكر بما هو أنكر منه : مثل أن يقوم واحد من الناس يريد أن يقطع يد السارق ، ويجلد الشارب ، ويقيم الحدود ؛ لأنه لو فعل ذلك لأفضى إلى الهرج والفساد ؛ لأن كل واحد يضرب غيره ويدعي أنه استحق ذلك ؛ فهذا مما ينبغي أن يقتصر فيه على ولي الأمر المطاع كالسلطان ونوابه .

وكذلك دقيق العلم الذي لا يفهمه إلا خواص الناس .

وجماع الأمر في ذلك بحسب قدرته .

وإنما الخلاف فيما إذا غلب على ظن الرجل أن أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر لا يطاع فيه هل يجب عليه حينئذٍ على قولين . أصحهما أنه يجب وإن لم يقبل منه إذا لم يكن مفسدة الأمر راجحة على مفسدة الترك ، كما بقي نوح عليه السلام ألف سنة إلا خمسين عاماً ينذر قومه . ولما قالت الأمة من أهل القرية الحاضرة البحر لواعظي الذين يعدون في السبت : ﴿ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إلی رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْقُوتُونَ ﴾ [الأعراف: ١٦٤] أي نقيم عذرنا عند ربنا ، وليس هداهم علينا ؛ بل الهداية إلى الله <sup>(١)</sup> .

قال ابن القيم - رحمه الله - : وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه ونور ضريحه يقول : مررت أنا وبعض أصحابي في زمن التتار بقوم منهم يشربون الخمر فأنكر عليهم من كان معي ، فأنكرت عليه ، وقلت له : إنما حرم الله الخمر لأنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة ، وهؤلاء

(١) المستدرك على مجموع الفتاوى ٢٠٣/٣ .



يصدّهم الخمر عن قتل النفوس وسبي الذرية وأخذ الأموال فدعهم<sup>(١)</sup>

### أخي المسلم:

قال ابن تيمية - رحمه الله -: وفي الجملة فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية؛ فإذا غلب على ظنه أن غيره لا يقوم به تعيّن عليه ووجب عليه ما يقدر عليه من ذلك؛ فإن تركه كان عاصياً لله ولرسوله. وقد يكون فاسقاً وقد يكون كافراً.

وينبغي لمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر أن يكون فقيهاً قبل الأمر، رفيقاً عند الأمر، ليسلك أقرب الطرق في تحصيله، حليماً بعد الأمر؛ لأن الغالب أن لا بد أن يصيبه أذى كما قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

قال الشيخ تقي الدين - رحمه الله -: في قوله ﷺ: «وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل» أنه لم يبق بعد هذا الإنكار ما يدخل في الإيمان حتى يفعل المؤمن؛ بل الإنكار بالقلب آخر حدود الإيمان؛ ليس مراده أن من لم ينكر لم يكن معه من الإيمان حبة خردل؛ ولهذا قال: «وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَٰلِكَ» فجعل المؤمنين ثلاث طبقات، فكل منهم فعل الإيمان الذي يجب عليه.

قال: وعلم بذلك أن الناس يتفاضلون في الإيمان الواجب عليهم بحسب استطاعتهم مع بلوغ الخطاب إليهم كلهم<sup>(٢)</sup>.

ومن لم يحب ما أحبه الله - وهو المعروف - ويبغض ما أبغضه الله

(١) اعلام الموقعين (١٦/٣).

(٢) المستدرک علی مجموع فتاوی ابن تیمیة ٢٠٤/٣.

تعالى - وهو المنكر - لم يكن مؤمناً؛ فلماذا لم يكن وراء إنكار المنكر بالقلب حبة خردل من إيمان. ولا يمكن أن يحب جميع المنكرات بالقلب إلا إن كان كافراً، وهو الذي مات قلبه، كما سُئل بعض السلف عن ميت الأحياء في قولهم:

ليس من مات فاستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء

فقال: هو الذي لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً؛ لكن من الناس من ينكر بعض الأمور دون بعض، فيكون في قلبه إيمان ونفاق، كما ذكر ذلك من ذكره من السلف حيث قالوا: القلوب أربعة: قلب أجرد فيه سراج يزهر، فذلك قلب المؤمن. وقلب أغلف فهو، قلب الكافر. وقلب منكوس، فذلك قلب المنافق. وقلب فيه مادتان: مادة تمدّه بالإيمان، ومادة تمدّه بالنفاق. فذلك خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً<sup>(١)</sup>.

وقد قال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز - رحمه الله -: «فعد قلة الدعاة وعند كثرة المنكرات وعند غلبة الجهل كحالنا اليوم، تكون الدعوة فرض عين على كل واحدٍ بحسب طاقته»<sup>(٢)</sup>.

أما من يتأخرون عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحجج واهية، وأعذار متتالية، فقد قال عنهم ابن تيمية - رحمه الله -: «وأقوام ينكلون عن الأمر والنهي والقتال، الذي يكون به الدين كله لله، وتكون كلمة الله هي العليا، لئلا يفتنوا، وهم قد سقطوا في الفتنة.. وهذه حال كثير من المتدينين، يتركون ما يجب عليهم من أمر ونهي وجهاد يكون به الدين

(١) المستدرک على مجموع فتاوى ابن تيمية ٣/ ٢٠٤.

(٢) الدعوة وأخلاق الدعاة ص ١٦.

كله لله، لئلا يفتنوا بجنس الشهوات، وهم قد وقعوا في الفتنة التي هي أعظم مما زعموا أنهم فروا منه»<sup>(١)</sup>

ومن رأى المنكر ولم ينكر ورضيه فهو شريك في الإثم مع فاعل المنكر لقوله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَفْعَلُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠] في الإثم.

قال القرطبي - رحمه الله -: «فكل من جلس في مجلس معصية ولم ينكر عليهم يكون معهم في الوزر سواء، وينبغي أن ينكر عليهم إذا تكلموا بالمعصية أو عملوا بها. فإن لم يقدر النكير عليهم، فينبغي أن يقوم عنهم حتى لا يكون من أهل هذه الآية...».

وقال - عز وجل - في الآية الأخرى: ﴿وَرَأَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَسْرِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (٧) لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَجْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (١٣)﴾ [المائدة: ٦٢-٦٣]. فالآية الأولى توبيخ للمسارعين في الإثم، والآية الثانية: توبيخ للعلماء لتركهم النهي.

وقال بعض العلماء: «ما في القرآن آية أشد توبيخاً للعلماء من هذه الآية ولا أخوف عليهم».

وقال الضحاك: «ما في القرآن آية أخوف عندي منها... لا نهى». وبين بعض المفسرين أن ذم تاركي النهي؛ أبلغ وأقوى وأشد لتفريقهم بين معنى العمل والصنيع فإن العمل يكون صناعة إذا صار مستقراً أو

متمكناً وراسخاً، فجعل ذنب المسارعين ذنباً غير راسخ، والعلماء التاركين للنهي ذنبهم راسخ.

قال الحسن: لقد أدركت أقواماً كانوا أأمر الناس بالمعروف، وأأخذهم به، وأنهى الناس عن منكر وأتركهم له، ولقد بقينا في أقوام أأمر الناس بالمعروف وأبعدهم منه، وأنهى الناس عن المنكر وأوقعهم فيه، فكيف الحياة مع هؤلاء<sup>(١)</sup>، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(١) حلية الأولياء (٢/١٥٥).

## بواعث الأمر بالمعروف

اعلم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تارة يحمل عليه رجاء ثوابه، وتارة خوف العقاب في تركه، وتارة الغضب لله على انتهاك محارمه، وتارة النصيحة للمؤمنين والرحمة لهم، ورجاء إنقاذهم مما أوقعوا أنفسهم فيه من التعرض لغضب الله وعقوبته في الدنيا والآخرة، وتارة يحمل عليه إجلال الله وإعظامه ومحبته، وأنه أهل أن يُطاع فلا يُعصى، ويُذكر فلا ينسى، ويُشكر فلا يكفر، وأن يُفتدى من انتهاك محارمه بالنفوس والأموال - كما قال بعض السلف: وددت أن الخلق كلهم أطاعوا الله، وأن لحيي قرض بالمقاريض.

وكان عبدالملك بن عمر بن عبدالعزيز يقول لأبيه: وددت أني غلت بي وبك القدور في الله عز وجل.

ومن لحظ هذا المقام والذي قبله هان عليه كل ما يلقي من الأذى في الله تعالى، وربما دعا لمن آذاه - كما قال ذلك النبي ﷺ لما ضربه قومه، فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول: «رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون»<sup>(١)</sup>.

وبكل حال يتعين الرفق في الإنكار. قال سفيان الثوري: «لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلا من كان فيه خصال ثلاث: رفيق بما

(١) رواه أحمد.

يأمر، رفيق بما ينهى، عدل بما يأمر، عدل بما ينهى، عالم بما يأمر عالم بما ينهى».

وقال الإمام أحمد: «الناس محتاجون إلى مداراة ورفق الأمر بالمعروف بلا غلظة إلا رجل معلن بالفسق فلا حرمة له، قال: وكان أصحاب ابن مسعود إذا مروا بقوم يرون منهم ما يكرهون يقولون: مهلاً رحمكم الله مهلاً رحمكم الله».

وقال - رحمه الله -: يأمر بالرفق والخضوع؛ فإن أسمعوه ما يكره لا يغضب فيكون يريد ينتصر لنفسه<sup>(١)</sup>.

قال النووي - رحمه الله - إنما يأمر وينهى من كان عالماً بما يأمر به وينهى عنه، وذلك يختلف باختلاف الشيء، فإن كان من الواجبات الظاهرة: والمحرمات المشهورة كالصلاة والصيام والزنا والخمر ونحوها فكل المسلمين علماء بها، وإن كان من دقائق الأفعال والأقوال ومما يتعلق بالاجتهاد ولم يكن للعوام مدخل فيه، ولا لهم إنكاره بل ذلك للعلماء<sup>(٢)</sup>.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: علينا أن نعرف المنكر معرفة تميز بينه وبين المباح والمكروه والمستحب والواجب حتى نتمكن بهذه المعرفة من اتقائه واجتنابه، كما نعرف سائر المحرمات، إذ الفرض علينا تركها، ومن لم يعرف المنكر لا جملة ولا تفصيلاً لم يتمكن من قصد اجتنابه، والمعرفة الجمالية كافية بخلاف الواجبات، فإن الغرض لما

(١) جامع العلوم والحكم ٢/٢٥٥.

(٢) شرح مسلم (٢/٢٣).

كان فعلها، والفعل لا يتأتى إلا مفصلاً وجبت معرفتها على سبيل التفصيل<sup>(١)</sup>، وكما قال القائل:

عرفت الشرَّ لا لشرٍّ ولكن لتوقيه      ومن لا يعرف الخير من الشرِّ يقع فيه

أخي المسلم:

ضرب محمد بن المنكدر وأصحاب له في أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وأنكر الإمام عماد الدين الجماعيلي المقدسي - رحمه الله - على فساقٍ وكسروا معهم، حتى غشي عليه<sup>(٢)</sup>.

ولمن أصابه الوهن والضعف والخور وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يقول ابن القيم - رحمه الله -: «وأي دين وأي خير في من يرى محارم الله تنتهك وحدوده تضاع ودينه يترك وسنة رسوله يرغب عنها، وهو بارد القلب ساكت اللسان شيطان، أخرس كما أن المتكلم بالباطل شيطان ناطق. وهل بليه الدين إلا من هؤلاء الذين إذا سلمت لهم مآكلهم ورياساتهم فلا مبالاة بما جرى على الدين، ولو نوزع في بعض ما فيه غضاضة عليه في جاهه أو ماله بذل وتبذل، وجد واجتهد واستعمل مراتب الإنكار الثلاث حسب وسعه، وهؤلاء مع سقوطهم من عين الله ومقت الله لهم قد بلوا في الدنيا بأعظم بلية تكون وهم لا يشعرون وهو موت القلب، فإن القلب كلما كانت حياته أتم كان غضبه لله ورسوله أقوى وانتصاره للدين أكمل».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: «ومن لم يكن في قلبه بغض

(١) المجموعة السعدية ١٢٤/٢.

(٢) نزهة الفضلاء (١٥٣٣/٣).

ما يبغضه الله ورسوله من المنكر الذي حرّمه، من الكفر والفسوق والعصيان، لم يكن في قلبه الإيمان الذي أوجبه الله عليه، فإن لم يكن مبغضاً لشيء من المحرمات أصلاً لم يكن معه إيمان أصلاً<sup>(١)</sup>.

أما مجالس المنكر والتي تظهر فيها المعاصي فقد قال ابن تيمية - رحمه الله -: «لا يَحِلُّ لأحد أن يحضر مجالس المنكرات باختياره لغير ضرورة، وعليه أن ينكر ولو بقلبه»<sup>(٢)</sup>.

قال الخلال: أخبرني عبدالله بن صالح بطروس، قال: قال لي أبو عبدالله: «يعني الإمام أحمد بن حنبل» يا أبا حفص: يأتي على الناس زمان يكون المؤمن فيه بينهم مثل الجيفة، ويكون المنافق يشار إليه بالأصابع. فقلت: يا أبا عبدالله، وكيف يشار إلى المنافق بالأصابع؟ فقال: يا أبا حفص صيروا أمر الله فضولاً. وقال: المؤمن إذا رأى أمراً بالمعروف أو نهياً عن المنكر لم يصبر حتى يأمر وينهى، يعني قالوا: هذا فضول. قال: والمنافق كل شيء يراه قال بيده على فمه. فقالوا: نعم الرجل، وليس بينه وبين الفضول عمل»<sup>(٣)</sup>.

### أخي المسلم:

التجافي عن صفات المنافقين، وظهور الفرقان بين صفاتهم وصفات المؤمنين. . . ذلك أن من أخص صفات المؤمنين القيام بهذا العمل الطيب قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ

(١) المجموعة السعدية ١٣/٢.

(٢) المجموعة السعدية ١٦٩/٢.

(٣) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للخلال رقم ٦٥.



أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ [التوبة: ٧١].

كما أن ترك القيام بهذا العمل يُعد من صفات المنافقين البارزة، كما أخبر الله - عز وجل - عن ذلك بقوله: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [التوبة: ٦٧].

قال الإمام أحمد - رحمه الله - «يأتي على الناس زمان يكون المؤمن فيه بينهم مثل الهيفة ويكون المنافق يشار إليه بالأصابع - إلى أن قال - المؤمن إذا رأى أمراً بالمعروف أو نهياً عن المنكر لم يصبر حتى يأمر وينهى . . . والمنافق كل شيء يراه قال بيده على فمه، . . .».

وعند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تكتب الدرجات وترفع الحسنات، مع سافي ذلك من مصالح أخرى، كما قال ابن القيم - رحمه الله -: فإنكار المنكر له أربع درجات .

الأولى: أن يزول ويخلفه ضده .

الثانية: أن يقل وإن لم يزل من جملته .

الثالثة: أن يخلفه ما هو مثله .

الرابعة: أن يخلفه ما هو شر منه .

فالدرجتان الأولىان مشروعتان والثالثة موضع اجتهاد والرابعة محرمة<sup>(١)</sup> .

(١) مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية للشيخ سلمان ص ١٣١ .

## بعض الثمرات

العبادة والطاعة والتقرب إلى الله - عز وجل - سعادة في الدنيا والآخرة، ومن أعظم تلك القربات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ومن ثمراتها مايلي:

أولاً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من مهام الرسل عليهم الصلاة والسلام: فلقد بعث الله الرسل ليأمروا الناس بعبادة الله وحده لا شريك له والتحذير من الطاغوت واجتنابه ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أخص صفات الأنبياء العملية، حيث قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

ثانياً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من صفات المؤمنين كما قال تعالى: ﴿التَّائِبُونَ الْعَمِيدُونَ الْحَمِيدُونَ الْمُخْسِرُونَ الرَّكَعُونَ السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١١٢].

قال الغزالي: فقد نعت المؤمنين بأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فالذي هجر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خارج عن هؤلاء المؤمنين المنعوتين في هذه الآية<sup>(١)</sup>.

(١) الإحياء ٢/ ٣٩٧.

ثالثاً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مناط خيرية هذه الأمة: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

قال قتادة: «بلغنا أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - في حجة حجها رأى من الناس رعة فقرأ هذه الآية: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ ثم قال: «من سره أن يكون من هذه الأمة فليؤد شرط الله فيها»<sup>(١)</sup>.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فبين الله سبحانه أن هذه الأمة خير الأمم للناس، فهم أنفعهم لهم، وأعظمهم إحساناً إليهم، لأنهمكملوا كل خير ونفع للناس بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وأقاموا ذلك بالجهاد في سبيل الله بأنفسهم وأموالهم، وهذا كمال النفع للخلق».

رابعاً: من أسباب التمكين: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [الحج: ٤١] ومن أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن الله عز وجل قرنهما بالصلاة والزكاة اللذين هما ركنان من أركان الإسلام.

خامساً: من أسباب النصر على الأعداء: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَبْغِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤٠، ٤١] وهذه الآية نراها ماثلة أمامنا في واقع الصدر الأول حيث الفتوحات العظيمة والانتصارات الباهرة بفضل الله عز وجل ثم بتمسكهم بأصول هذا الدين العظيم.

(١) تفسير ابن جرير ١٠٢/٥.

سادساً: في الأمر بالمعروف رفع لراية الدين ودحر للمنافقين والكافرين.

قال الثوري - رحمه الله - : «إذا أمرت بالمعروف شددت ظهر المؤمن، وإذا نهيت عن المنكر أرغمت أنف المنافق»<sup>(١)</sup>.

سابعاً: ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من صفات المنافقين قال تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [التوبة: ٦٧].

ثامناً: دفع البلاء والعذاب، فعن أبي بكر - رضي الله عنه - قال: يا أيها الناس، إنكم لتقرؤون هذه الآية: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مِّنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه» [رواه أبو داود].

وعن أبي بكر - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مامن قوم يعمل فيهم بالمعاصي ثم يقدر أن يغيروا ولا يغيرون إلا يوشك أن يعمهم الله بعقاب».

قال ابن العربي في شرق: وهذا الفقه عظيم، وهو أن الذنوب منها ما يعجل الله عقوبته، ومنها ما يمهل بها إلى الآخرة، والسكوت عن المنكر تتعجل عقوبته في الدنيا بنقص الأموال والأنفس والثمرات، وركوب الذل من الظلمة للخلق...».

(١) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للخلال ص ٦٧.

تاسعاً: في القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مظنة قبول الدعاء قال ﷺ: «لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعوا خياركم فلا يستجاب لكم» [رواه أحمد].

قال بلال بن مسعود - رحمه الله -: إن المعصية إذا خفيت لم تضر إلا صاحبها، وإذا أُعلنت فلم تغير ضرت العامة.

## خطوات الإنكار

ذكر بعض العلماء خطوات الإنكار والتدرج فيه، وعاملوا بذلك صاحب المنكر كأنه طفل. والطفل قبل أن يطلب منه القراءة. لا بد أن يعلم الحروف بأساليب تحبب إليه القراءة والكتابة، حتى لا ينفر من العلم، وكذلك صاحب المنكر لا بد من معاملته على أنه مريض وجاهل فلا بد من مداراته وأخذ الخطوات المتأنية المدروسة في الإنكار معه، قبل استخدام الإنكار المباشر باليد أو باللسان.

ومن بين هؤلاء العلماء الذين ذكروا هذه الخطوات الإمام ابن قدامة المقدسي. وجعل الخطوة الأولى هي التعريف على افتراض جهل صاحب المنكر.

### الخطوة الأولى: التعريف:

«فإن الجاهل يقدم على الشيء لا يظنه منكراً، فإذا عرف أقلع عنه. فيجب تعريفه باللطف. فيقال له: إن الإنسان لا يولد عالماً، ولقد كنا جاهلين بأمور الشرع حتى علمنا العلماء، فلعل قريتك خالية من أهل العلم فهكذا يتلطف به ليحصل التعريف من غير إيذاء.

### الخطوة الثانية: الوعظ:

النهى بالوعظ والنصح والتخوف بالله، ويورد عليه الأخبار الواردة بالوعيد، ويحكي له سيرة السلف ويكون ذلك بشفقة ولطف من غير عنف وغضب.

### الخطوة الثالثة: التعنيف:

والتعنيف بالقول الغليظ الخشن وإنما يعدل إلى هذا عند العجز عن المنع باللطف وظهور مبادئ الإصرار والاستهزاء بالوعظ والنصح، ولسنا نعني بالسب: الفحش والكذب، قال الله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: ﴿أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٧].

### الخطوة الرابعة: اليد:

التغيير باليد.

### الخطوة الخامسة: التهديد:

التهديد والتخويف - كقوله: دع عنك هذا وإلا فعلت بك كذا وكذا، وينبغي أن يقدم هذا على تحقيق الضرب إن أمكن تقديمه.

### الخطوة السادسة: الضرب:

مباشرة الضرب باليد والرجل وغير ذلك مما ليس فيه إشهار سلاح، وذلك جائز للأحاد بشرط الضرورة والإقتصار على قدر الحاجة، فإذا اندفع المنكر فينبغي أن يكف<sup>(١)</sup>»<sup>(٢)</sup>.

(١) عارضه الأحوزي (١٥/٩).

(٢) انظر كتاب الأمر بالمعروف للشيخ خالد السبت.

## حالات الإعفاء من الإنكار

ويتعرض الإمام ابن قدامة لحالات عدم نفع الإنكار من حيث الوجوب فيقول: إذا علم أن إنكاره لا ينفع، فينقسم إلى أربعة أحوال:

\* أحدها: أن يعلم أن المنكر يزول بقوله أو فعله، من غير مكروه يلحق، فيجب عليه الإنكار.

\* الحالة الثانية: أن يعلم أن كلامه لا ينفع وأنه إن تكلم ضرب، فيرتفع الوجوب عنه.

\* الحالة الثالثة: أن يعلم أن إنكاره لا يفيد، لكنه لا يخاف مكروهاً، فلا يجب عليه الأمر لعدم الفائدة، لكن يستحب لإظهار شعائر الإسلام والتذكير بالدين.

\* الحالة الرابعة: أن يعلم أنه يصاب بمكروه، ولكن يبطل المنكر بفعله، مثل أن يكسر العود، ويريق الخمر، ويعلم أنه يضرب عقيب ذلك، فيرتفع الوجوب عنه، ويبقى مستحباً لقوله في الحديث: «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر».

ولا خلاف أنه يجوز للمسلم الواحد أن يهجم على صفوف الكفار ويقاتل، وإن علم أنه يقتل، لكن إن علم أنه لا نكاية له في الكفار، كالأعمى يطرح نفسه على الصف، حرم ذلك، وكذلك لو رأى فاسقاً وحده وعنده قدح خمر وبيده سيف، وعلم أنه لو أنكر عليه لشرب الخمر لضرب عنقه، لم يجز له الإقدام على ذلك؛ لأن هذا لا يؤثر في الدين أثراً يفديه بنفسه، وإنما يستحب له الإنكار إذا قدر على إبطال المنكر، وظهر



لفعله فائدة، كمن يحمل في صف الكفار ونحوه.

وإن علم المنكر أنه يضرب معه غيره من أصحابه، لم تجز له الحسبة؛ لأنه عجز عن دفع المنكر إلا بإفضائه إلى منكر آخر، وليس ذلك من القدرة في شيء. ولسنا نعني بالعلم في هذه المواضع إلا غلبة الظن، فمن غلب على ظنه أنه يصيبه مكروه، لم يجب عليه الإنكار، وإن غلب على ظنه أنه لا يصيبه وجب، ولا اعتبار بحالة الجبان، ولا بالشجاع المتهور، بل الاعتبار بالمعتدل الطبع، السليم المزاج. ونعني بالمكروه: الضرب أو القتل، وكذلك نهب المال، والإشهار في البلد مع تسويد الوجه، فأما السب والشتم، فليس بعذر في السكوت؛ لأمر بالمعروف يلقى ذلك في الغالب.

هذا وقد يظن من لا علم له بحقيقة ما بعث الله به نبيه ﷺ أنه يكفيه أن يؤمن بالله وحده ويتقرب إليه ببعض الطاعات دون أن يشتغل بأمر غيره بالمعروف أو نهيه عن المنكر! وهذا غلط بين، لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يُعد من أعظم شرائع الإيمان كما أنه يعد من الأسس والدعائم الهامة لتحقيق الهداية وتحصيلها.

قال العلامة الشيخ حمد بن عتيق - رحمه الله -: فلو قُدر أن رجلاً يصوم النهار، ويقوم الليل، ويزهد في الدنيا كلها، وهو مع ذلك لا يغضب لله، ولا يتمعر وجهه، ولا يحمر، فلا يأمر بالمعروف، ولا ينهي عن المنكر، فهذا الرجل من أبغض الناس عند الله، وأقلهم ديناً، وأصحاب الكبائر أحسن عند الله منه، وقد حدثني من لا أتهم عن شيخ الإسلام إمام المسلمين، ومجدد القرن الثاني عشر، محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - أنه يقال مرة: أرى ناساً يجلسون في

المساجد على مصاحفهم يقرؤون ويكون، فإذا رأوا المعروف لم يأمرؤا به، وإذا رأوا المنكر لم ينهوا عنه، وأشوف أناساً يعكفون عندهم يقولون هؤلاء لحي غوانم. وأنا أقول: إنهم لحي فواين<sup>(١)</sup>.

فقال السامع: أنا ما أقدر أقول: إنهم لحي فواين. فقال الشيخ: إنهم من الصم البكم.

ويشهد لهذا ما جاء عن بعض السلف أن الساكت عن الحق شيطان أخرس، والمتملكم بالباطل شيطان ناطق، فلو علم المداهن الساكت أنه أبغض الناس عند الله - وإن كان يرى أنه طيب - لتكلم وصدع، ولو علم طالب رضا الخلق بترك الإنكار عليهم أن صاحب الكبائر أحسن حالاً عند الله منه، وإن كان عند نفسه صاحب دين، لتاب من المداهنة ونزع، ولو تحقق من بخل بلسانه عن الصدع بأمر الله أنه شيطان أخرس وإن كان صائماً قائماً زاهداً لمأ ابتاع مشابهة الشيطان بأدنى الطمع<sup>(٢)</sup> أ. هـ.

ورحم الله الثوري حينما قال: إني لأرى الشيء يجب عليّ أن آمر فيه وأنهى فأبول دماً<sup>(٣)</sup>.

فهكذا ينبغي أن يكون حال المؤمن عندما يرى شيئاً من المنكرات. . . أما ذاك الذي لا يتحرك له ساكن، ولا يتغير، فلا أظنه محققاً للإيمان المطلوب، ذلك أنه ليس بعد الإنكار بالقلب شيء من أعمال الإيمان فهو أضعفها، كما دل على ذلك قوله ﷺ عند ذكره لمراتب تغيير المنكر:

(١) جمع «فاين» وهي تطلق عندهم على المرأة البغي والسيئة.

(٢) مختصر منهاج القاصدين ص (١٣٦).

(٣) مجموعة رسائل الشيخ حمد بن عتيق (٤٠-٤١).

«... وذلك أضعف الإيمان»<sup>(١)</sup>. يعني بالقلب.

وليس من شروط القائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن يكون عدلاً عند أهل السنة، لأن العدالة محصورة في قليل من الخلق والنهي عن المنكر عام في جميع الناس.

قال الجصاص: لما ثبت وجوب فرض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبيّن أنه فرض على الكفاية... وجب أن لا يختلف في لزوم فرضه البر والفاجر لأن ترك الإنسان لبعض الفروض لا يسقط عنه فروضاً أخرى... ألا ترى أن تركه للصلاة لا يسقط عنه فرض الصوم وسائر العبادات، فكذلك من لم يفعل سائر المعروف، ولم ينته عن سائر المنكرات، فإن فرض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر غير ساقط عنه»<sup>(٢)</sup>.

وقد نُقل عن الحسن أنه قال لمطرف بن عبد الله: عظ أصحابك، فقال: إني أخاف أن أقول ما لا أفعل. قال: يرحمك الله وأينا يفعل ما يقول! ويود الشيطان أنه قد ظفر بهذا فلم يأمر أحد بمعروف ولم ينه عن منكر»<sup>(٣)</sup>.

وكذا قوله في الحديث الآخر والذي فيه حال الخلوفا الذين يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون: «وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»<sup>(٤)</sup>. أي بعد أن ينكر عليهم بقلبه.

(١) الجرح والتعديل (١/١٢٤).

(٢) أحكام القرآن (٢/٣٢٠).

(٣) تفسير القرطبي (١/٣٦٨).

(٤) رواه أحمد.

وبهذا يتبين لك أن الأمر بالعروف والنهي عن المنكر هو سمة المؤمن الصادق، كما وصفه الله تعالى في كتابه بقوله: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١].

وهو أيضاً سمة المجتمع الفاضل الخير: قال صاحب الظلال: «إن سمة المجتمع الخير الفاضل الحي القوي المتماسك أن يسود فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. . أن يوجد فيه من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وأن يوجد فيه من يستمع إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن يكون عُرف المجتمع من القوة بحيث لا يجروء المنحرفون فيه على التنكر لهذا الأمر والنهي، ولا على إيذاء الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر»<sup>(١)</sup>.

ولقد ضيّع أكثر هذا الباب من أزمان متطاولة، ولا زال ينقص مع مرور الأيام والليالي، فلم يبق منه إلا النزر اليسير جداً، مع أنه باب عظيم واسع، إذ به قوام الأمر وملاكه. . وبه تبقى السلامة والعافية، ومن حرص النبي ﷺ على القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر القيام به بأحوال عدة منها الإشارة والتنبيه دون التخصيص. فإذا وجد خطأ في بعض أفعال أو أقوال صحابته، يصعد المنبر فيحمد الله ويثني عليه ثم يقول: «ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا»، فلا يصرح بالأسماء لعلمه أن التصريح بأسماء المخطئين فيه خطورة على قلوبهم ونفوسهم.

(١) الظلال (٦/٢٢٢).

أنه يجمل بالمرء إذا وجد خطأ عند شخص ما أن ينبهه لذلك الخطأ ولكن بأسلوب حسن يغلب عليه التلميح لا التصريح .  
والأمثلة على استخدام الرسول ﷺ لأسلوب التلميح كثيرة جداً، فمنها، أن رسول الله ﷺ قال: «ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في الصلاة»<sup>(١)</sup>.

وروى الإمام مسلم عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما بال أقوام قالوا كذا وكذا، لكنني أصلي وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني».

وروى البخاري ومسلم، أن النبي ﷺ صنع شيئاً فرخص فيه، فتنزه عنه قوم، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فخطب فحمد الله ثم قال: «ما بال أقوام يتنزهون عن شيء أصنعه، فوالله أني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية» .  
ويروي البخاري ومسلم، أن رسول الله ﷺ بلغه شرط أهل بريدة - رضي الله عنها - (أن الولاء لهم بعد بيعها)، فخطب الناس، فقال: «ما بال الناس يشترطون شروطاً ليست في كتاب الله، من اشترط شرطاً ليس في كتاب الله فليس له، وإن شرط مائة مرة، شرط الله أحق وأوثق» .  
وكان ﷺ يحث على الرفق واللين، قال ﷺ: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه»<sup>(٢)</sup>.

وهذه الصفة محببة إلى الخلق لأن الإنسان يحب الإحسان ويكره الإساءة، وهو يقبل عن طريق الرفق واللين ما لا يقبل من طريق العنف

(١) رواه البخاري .

(٢) رواه مسلم .

والغلظة ولهذا قال - عز وجل - عن النبي ﷺ: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

قيل للإمام مالك - رحمه الله -: «الرجل يعمل أعمالاً سيئة، يأمره الرجل بالمعروف وهو يظن أنه لا يطيعه، وهو ممن لا يخافه كالجار والأخ؟! فقال: ما بذلك بأس. ومن الناس من يرفق به فيطيع؛ قال الله - عز وجل - ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه: ٤٤] هـ.

وقال الثوري: «أؤمر بالمعروف في رفق، فإن قبل منك حمدت الله - عز وجل - وإلا أقبلت على نفسك».

وقال الإمام أحمد: ما أغضبت رجلاً فقبل منك».

كما سئل - رحمه الله - عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كيف ينبغي أن يأمر؟ قال: يأمر بالرفق والخضوع. ثم قال: إن أسمعوه ما يكره لا يغضب فيكون يريد ينتصر لنفسه».

وكان السلف إذا أرادوا نصيحة أحد وعظوه مرة حتى قال بعضهم: من وعظ أخاه فيما بينه وبينه فهي نصيحة، ومن وعظه على رؤوس الناس فإنما وبخه<sup>(١)</sup>. كما قال الإمام الشافعي: جنبني النصيحة في الجماعة فإن النصيح بين الناس نوع من التوبيخ لا أرضى استماعه.

قال الشيخ تقي الدين: الصبر على أذى الخلق عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إن لم يستعمل لزم أحد أمرين: إما تعطيل الأمر والنهي، وإما حصول فتنة ومفسدة أعظم من مفسدة ترك الأمر والنهي أو مثلها أو قريب منها، وكلاهما معصية وفساد، قال - تعالى -: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ

(١) جامع العلوم والحكم ص ٥٠.

عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾ [الأعراف: ١٧].

فمن أمر ولم يصبر، أو صبر ولم يأمر، أو لم يأمر ولم يصبر حصل من هذه الأقسام الثلاثة مفسدة. وإنما الصلاح في أن يأمر ويصبر<sup>(١)</sup>.

**أخي المسلم:**

تأمل في حال قصة نراها مثلها الكثير ولكن لا نقوم بالواجب! حكي عن أخوين من السلف انقلب أحدهما عن الاستقامة فقبل لأخيه: ألا تقطعه وتهجره فقال: أحق ما كان إليّ في هذا الوقت لما وقع في عثرته أن أخذ بيده واتطلف له في المعاينة وأدعوله بالعودة إلى ما كان عليه<sup>(٢)</sup>.

قال حماد بن سلمة: إن صلة بن أشيم مرّ عليه رجل قد أسبل إزاره فهم أصحابه أن يأخذوه بشدة فقال: دعوني أكفيكم، فقال: يا ابن أخي إن لي إليك حاجة قال: وما حاجتك يا عم؟ قال: أحب أن ترفع من إزارك فقال لأصحابه: لو أخذتموه بشدة لقال: لا ولا كرامة وشتمكم<sup>(٣)</sup>.

قال محمد بن زكريا القلابي: شهدت عبدالله بن محمد ابن عائشة ليلة وقد خرج من المسجد بعد المغرب يريد منزله، وإذا في طريقه غلام من قریش سكران. وقد قبض على امرأة فجذبها، فاستغاثت فاجتمع الناس عليه يضربونه، فنظر إليه ابن عائشة فعرفه فقال للناس: تنحو عن ابن أخي، ثم قال: إليّ يا ابن أخي، فاستحى الغلام فجاء إليه فضمه إلى نفسه ثم قال له: أمضي معي، فمضى معه حتى صار إلى منزله فأدخله الدار، وقال لبعض غلمانه بيته عندك فإذا أفاق من سكره فأعلمه بما كان منه،

(١) المستدرك على الفتاوى ٢٠٦/٣.

(٢) الإحياء ٢٠٠/٢.

(٣) الإحياء ٣٦٣/٢.

ولا تدعه ينصرف حتى تأتيني به ، فلما أفاق من ذكر ما جرى فاستحيا منه وبكى وهم بالانصراف ، فقال الغلام : قد أمر أن تأتية ، فأدخله عليه ، فقال له : أما استحييت لنفسك أما استحييت لشرفك ؟

أما ترى من ولدك فاتق الله وانزع عما أنت فيه فبكى الغلام منكساً رأسه ثم رفع رأسه وقال : عاهدت الله تعالى عهداً يسألني عنه يوم القيامة أني لا أعود لشرب النبيذ ولا لشيء مما كنت فيه وأنا تائب . فقال : أدن مني ، فقبل رأسه وقال : أحسنت يا بني ، فكان الغلام بعد ذلك يلزمه ويكتب عنه الحديث<sup>(١)</sup> .

وفي حديث عمر - رضي الله عنه - وقد سأل عن أخ كان آخاه ، فخرج إلى الشام فسأل عنه بعض من قدم عليه وقال : ما فعل أخي ؟ قال : ذلك أخو الشيطان قال : مه ، قال : إنه قارب الكبائر حتى وقع في الخمر ، قال : إذا أردت الخروج فأذني فكتب عند خروجه إليه « بسم الله الرحمن الرحيم » ﴿ حَمْدُ ٱللَّهِ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَآبَ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ ٢ غَافِرِ ٱلذَّنْبِ وَقَآبِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ﴾ ثم عاتبه تحت ذلك وعذله فلما قرأ الكتاب بكى وقال : صدق الله ونصح أي فتاب ورجع<sup>(٢)</sup> .

قال الفضيل بن عياض - رحمه الله : - المؤمن يستر وينصح ، والفاجر يهتك ويعير<sup>(٣)</sup> .

(١) الإحياء ٣٦٣/٢ .

(٢) الإحياء ١٩٩/٢ .

(٣) جامع العلوم والحكم .



وسئل حذيفة عن ميت الأحياء فقال: الذي لا ينكر المنكر بيده ولا بلسانه ولا بقلبه<sup>(١)</sup>.

قال قتادة: كان عمر يلبس وهو خليفة جبة من صوف مرقوعة بعضها بأدم ويطوف في الأسواق على عاتقه الدرة يؤدب بها الناس، ويمر بالنكت والنوى فيلتقطه ويلقيه في منازل الناس ينتفعون به<sup>(٢)</sup>.

وحالهم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما قال الوليد بن شجاع بن الوليد: كنت أخرج مع سفيان الثوري فما يكاد لسانه يفتر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ذاهباً واجعاً<sup>(٣)</sup>.

ولما حضر الموت الحسن، دخل عليه رجل من أصحابه، فقالوا: يا أبا سعيد: زودنا منك كلمات تنفعنا بهن، قال: إني مزودكم ثلاث كلمات ثم قوموا عني ودعوني ولما توجهت له، ما نهيتم عنه من أمر فكونوا من أترك الناس له، وما أمرتم به من معروف فكونوا من أعمل الناس به، واعلموا أن خطاكم خطوتان: خطوة لكم وخطوة عليكم، فانظروا أين تغدون وأين تروحون<sup>(٤)</sup>.

قيل لعبد الواحد صاحب الحسن: بأي شيء بلغ الحسن فيكم إلى ما بلغ وكان فيكم علماء وفقهاء؟ فقال: إن شئت عرفتك بواحدة أو اثنتين، فقلت عرفني بالاثنتين، فقال: كان إذا أمر بشيء كان أعمل الناس له، وإذا نهى عن شيء كان أترك الناس له. قلت: فما الواحدة؟ قال: لم أر

(١) الإحياء ٣٣٨/٢.

(٢) تاريخ الخلفاء ١٢٠.

(٣) حلية الأولياء ١٣/٧.

(٤) حلية الأولياء ١٥٤/٢.

أحداً قط، سريرته أشبه بعلايته منه<sup>(١)</sup>.

ولابد من الصبر على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتحمل الأذى والصبر على الجهل وأهله.

كان كرز بن دبرة إذا خرج أمر بالمعروف، فيضربونه حتى يغشى عليه<sup>(٢)</sup>.

وخرج أبو إسحق إبراهيم القدسي مرّ إلى قوم من الفساق فكسر ما معهم فضربوه ونالوا منه حتى غشي عليه، فأراد الوالي ضرب الذين نالوا منه فقال: إن تابوا ولزموا الصلاة فلا تؤذيهم وهم في حل من قبلي، فتابوا ورجعوا عما كانوا عليه<sup>(٣)</sup>.

### أخي المسلم:

قال عبدالله بن عبدالعزيز العمري: من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من مخافة المخلوقين نزعت منه هبة الله تعالى، فلو أمر بعض ولده أو بعض مواليه لاستخف به<sup>(٤)</sup>.

قال علي بن الحسين: التارك للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كالنابذ كتاب الله وراء ظهره، إلا أن يتقي منهم تقاة، قالوا: وما تقاه؟ قال: يخاف جباراً عنيداً أن يسطو عليه وأن يطغي<sup>(٥)</sup>.

(١) الحسن البصري ص ١٦.

(٢) حلية الأولياء ٨٠/٥.

(٣) شذرات الذهب ٥٨/٥.

(٤) صفة الصفوة ١٨١/٢.

(٥) البداية والنهاية ١٢٨/٩.

لأن في ظهور المنكرات وفشو الفساد ضرر عظيم على الخاصة والعامة.

قال بلال بن سعد: إن المعصية إذا أخفيت لم تضر إلا صاحبها فإذا أعلنت ولم تغير أضرت العامة<sup>(١)</sup>.

وقد كانوا يحرصون على تجميل أنفسهم بالطاعة والبعد عن المعصية واستدراك هفواتهم وإصلاح زلاتهم هذا الخليفة الثاني عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يقول: أحب الناس إليّ من رفع إليّ عيوبي<sup>(٢)</sup> وفي مجتمع اليوم، والدور متجاوزة والمنازل متقابلة ومع ذلك ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في أوساط الحي وساكنيه، وقلّ من تجده ينكر على من لا يصلي مع جماعة المسلمين أو ينكر على منكرات المنازل الظاهرة أو غيرها! ولهذا تجد من ينصح ويأمر بالخير يرمى بأنه متشدد ويتدخل فيما لا يعنيه! أما ذلك الرجل الآخر فإنه حسن الخلق طيب المعشر!

قال سفيان: إذا أثنى على الرجل جيرانه أجمعون فهو رجل سوء، لأنه ربما رآهم يعصون، فلا ينكر ويلقاهم ببشر.

قال الحسن: إذا كنت أمراً بالمعروف فكن من آخذ الناس به وإلا هلك وإذا كنت ممن ينهى عن المنكر فكن من أنكر الناس له وإلا هلك<sup>(٣)</sup>.

ولقد تعجبت أم المؤمنين زينب - رضي الله عنها - وسألت النبي ﷺ:

(١) الإحياء ٢/ ٣٣٨.

(٢) تاريخ الخلفاء ١٢١.

(٣) الزهد لأحمد ص ٢٢٧.

«أنهلك وفينا الصالحون» سؤال عجيب! كيف نهلك وفينا الصوام والقوام.. . أنهلك وفينا من يصوم أيام البيض والأثنين والخميس! أنهلك وفينا من يقوم الليل ويقرأ القرآن آناء الليل وأطراف النهار! قال لها ﷺ في جواب حكيم: «نعم، إذا كثر الخبث»<sup>(١)</sup>.

ومما شاع وانتشر في هذه الأزمنة ومع التوسع في وسائل الإعلام وكثرة المرجفين في الأرض ممن يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا، كثرة الفخر واللمز بالأمريين بالمعروف والناهين عن المنكر وتصويرهم بصور شتى والحق المصائب بهم وهم براء! والأمر في هذا الجانب خطير جداً.

#### \* فضولي:

في «حاشية ابن عابدين» أن من قال هذا اللفظ لمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر: فهو مرتد<sup>(٢)</sup>.

أنت فضولي:

في «الدر المختار» قال في فصل في الفضولي: (هو: من يشتغل بما لا يعنيه، فالقائل لمن يأمر بالمعروف: أنت فضولي، يخشى عليه الكفر) اهـ<sup>(٣)</sup>.

وإن مما يؤسف له أشد الأسف ما نراه ونسمعه في زماننا اليوم ممن يرفع في وجه كل مصلح يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويحذر أمته من

(١) رواه البخاري.

(٢) حاشية ابن عابدين ١٣٥/٤.

(٣) حاشية ابن عابدين ١٠٦/٥.

مغبة الفساد في الدنيا والآخرة بأنه داعية فتنة وخروج على الأمة. فبالله أين الفتنة في من يشفق على أمته من عذاب الله عز وجل في الدنيا والآخرة ويحذرهما من أسباب عقوبته سبحانه. إن الفتنة بحق تكمن في هذا الخلط والتليس والذي نتيجته استمرار الفساد وتثييط الآمرين بالخير والناهين عن الشر. وهذا شيخ الإسلام رحمه الله تعالى بعد أن ذكر المفاسد التي تنجم عن الخروج على الأمة بالسيف وما في ذلك من الشرور والفتن العظيمة عقب بقوله: (ومع ذلك فيجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحسب إظهار السُّنة والشرعية، والنهي عن البدعة والضلالة بحسب...).

قال مجدد الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله -:

فالله الله إخواني تمسكوا بأصل دينكم، أوله وآخره، أسه ورأسه، وهو «شهادة أن لا إله إلا الله» واعرفوا معناها وأحبوا أهلها، واجعلوهم إخوانكم ولو كانوا بعيدين، واكفروا بالطواغيت، وعادوهم، وابغضوا من أحبهم، أو جادل عنهم، أو لم يكفرهم، أو قال ما علي منهم، أو قال ما كلفني الله بهم، فقد كذب هذا على الله وافترى؛ بل كلفه الله بهم، وفرض عليه الكفر بهم؛ والبراءة منهم ولو كانوا إخوانه أو أولاده فالله الله تمسكوا بأصل دينكم لعلكم تلقون ربكم لا تشركون به شيئاً. اللهم توفنا مسلمين والحقنا بالصالحين<sup>(١)</sup>.

وكثير من الناس قد يرى تعارض الشريعة في ذلك؛ فيرى أن الأمر والنهي لا يقوم إلا بفتنة، فإما أن يؤمر بهما جميعاً أو يُنهى عنهما جميعاً.

وليس كذلك، بل يؤمر وينهى ويصبر عن الفتنة؛ كما قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ﴾ [لقمان: ١٧]، وقال عبادة رضي الله عنه: (بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في عُسْرنا ويُسْرنا ومنشطنا ومكرهنا وأثره علينا، وألاً ننازع الأمر أهله، وأن نقوم - أو نقول - بالحق حيث ما كنا، لا نخافُ في الله لومة لائم)<sup>(١)</sup>، فأمرهم بالطاعة ونهاهم عن منازعة الأمر أهله وأمرهم بالقيام بالحق. ولأجل ما يُظن من تعارض هذين تعرض الحيرة في ذلك لطوائف من الناس. والحائر الذي لا يدري - لعدم ظهور الحق، وتميز المفعول من المتروك - ما يفعل؛ إما لخداع الحق عليه، أو لخداع ما يناسب هواه عليه<sup>(٢)</sup>.

كما أن القول بالصبر والصفح وكف اليد لا يعني أبداً الركون إلى البدعة والإحباط والاستسلام للأمر الواقع، بل يجب إعداد النفوس والأمة بأسرها للجهاد في سبيل الله عز وجل وتقوية العزائم وشحذ الهمم، والأخذ بجميع الأسباب المشروعة ولاستكمال جانب القدرة الإيمانية والمادية حتى يأذن الله عز وجل بنصره في الوقت الذي يعلم فيه سبحانه أن عباده المؤمنين قد بذلوا ما في وسعهم من البناء والإعداد والأخذ بالأسباب.

بعض المرجئة وأهل الفجور يرون أن إنكار المنكر من الفتن: وآخرون من المرجئة وأهل الفجور قد يرون ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ظناً أن ذلك من باب ترك الفتنة. وهؤلاء يقابلون

(١) رواه البخاري ومسلم (١٧٠٩) كتاب الإمارة بنحوه.

(٢) الاستقامة ١/ ٤١، ٤٢.

لأولئك. ولهذا ذكر الأستاذ أبو منصور الماتريدي المصنف في الكلام وأصول الدين من الحنفية الذين وراء النهر ما قابل به المعتزلة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فذكر أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سقط في هذا الزمان<sup>(١)</sup>.

### أخي المسلم:

لعل مما يعين على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أموراً عدة أذكرها بإيجاز:

أولاً: معرفة فضل الله - عز وجل - علينا ونعمه التي لا تعد ولا تحصى، فإن هذا من شكر النعم والقيام ببعض حق الله - عز وجل -.

ثانياً: إخلاص النية لله - عز وجل - في هذا العمل العظيم والقيام بها طاعة وقربة لله - عز وجل - لا انتصاراً للنفس أو لإظهار حظوظ النفس.

ثالثاً: تثبيت النية للقيام بهذه الشعيرة العظيمة، فإن أراد الذهاب للعمل تفكر في منكرات الزملاء والأصدقاء وجعل لكل منكرٍ حلاً لازالته وردة.

رابعاً: تعاهد من حوله للقيام بهذه الشعيرة العظيمة، فالطالب يكسب معه زملاء ويسعون لإزالة المنكر الذي يعرفون حتى يكون ذلك أقوى وأوقع.

خامساً: الرفق بالناس والبحث عن مداخل شرعية لازالة المنكر.

سادساً: الصبر وتوطين النفس على ما تلاقيه حين، وبعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

سابعاً: استشعار الأجر العظيم حين القيام بهذا الأمر العظيم فإن ذلك يهون الأذى ويزيل الوحشة.

ثامناً: الإحسان إلى الناس بالكلمة الطيبة والابتسامة المعبرة حتى تصل إلى قلوب الناس آمرين بالمعروف وناهين عن المنكر.

تاسعاً: تعريف الناس بأحكام الشريعة وإيصالها إليهم، فإن الملاحظ مع كثرة الفتن أن البعض يجهل بعض الأحكام الشرعية في ذلك.

عاشراً: الاستعانة بالله - عز وجل - والتوكل عليه وطلب العون والتوفيق منه وحده لا شريك له.

الحادي عشر: كثرة الدعاء والإلحاح على الله - عز وجل - بأن يسدد المساعي ويوفق إلى الخير.

الثاني عشر: الاستفادة من الوسائل الحديثة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن ذلك استخدام الرسائل الشخصية والهاتف والجوال والإنترنت والصحف والمجلات وغيرها والله الحمد كثير.

### أخي المسلم:

«لقد كتبت ما تقدم من الكلام وما أعلم عند أحد من الذنوب أكثر مما أعلم عندي، وإنني لكثير الإسراف على نفسي غير محكم لكثير من أمري ولو أن المرء لا يعظ حتى يحكم نفسه إذن لتواكل الخير ولرفع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإذن لاستحلت المحارم وقلّ الواعظون والساعون لله بالنصيحة في الأرض والشيطان وأعوانه يودون أن لا يأمر



أحد بمعروف ولا ينهى عن منكر، وإذا أمرهم أو نهاهم عابوه بما فيه وبما ليس فيه<sup>(١)</sup>».

أسأل الله الكريم أن يجعلنا من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وأن يغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

\*\*\*

(١) لطائف المعارف ص ٢٢.

انفروا خفافاً وثقالاً

## المقدمة

الحمد لله الذي وعد عباده المجاهدين بجنة عرضها السموات والأرض، والصلاة والسلام على من قام بهذا الدين خير قيام، وبعد:

فإن الجهاد في سبيل الله - عز وجل - من أعظم الطاعات وأجل القربات، وما دبّ الوهن والضعف والذلة في أرجاء بلاد المسلمين إلا بتركه وهجره.

ورغبة في إتحاف نفسي وإخواني المسلمين بأجر هذا العمل العظيم وذكر مواقف السلف في تلك المواطن؛ هذا هو الجزء الثالث العشرون من سلسلة: «أين نحن من هؤلاء؟!» .

أسأل الله - عز وجل - أن يجعلنا من الشهداء في سبيله وأن يأخذ من دمائنا حتى يرضى، كما أسأله بمنه وكرمه أن يقيم راية الجهاد والعزة والتمكين للمسلمين.

**عبد الملك بن محمد بن عبد الرحمن القاسم**

## مدخل

الجهاد حصن الإسلام وسياجه، وقوام الدين وعماده، ومعدل الدولة الأشب، وركن الأمة الركين، فيه حماية الذمار وصيانة الديار، وخضد شوكة العدو، وفلّ حدهم، وإرهابهم وإذهاب ريحهم، وكبح جماح مطامعهم.

وفيه قوة الإسلام وعزته، ورهبة جانبه، وأمنه وطمأنينته، وشجو حساده، وغيظ عدوه، واتساع رقعة بلاده، وبسطة نفوذه، وقوة سلطانه، ونفاذ كلمته، ما تركه قوم إلا ذلوا وذهبت ريحهم، وسيموا الخسف، وديثوا بالذلة والصغار وطمع فيهم عدوهم، وأمسوا على جناح خوف، وبمدرجة حتف، وباتوا غرباء في أوطانهم، لقمة كل جائع ونهبة كل طامع، يجوعون ليشبع أعداؤهم، ويعرون ليكتسي غاصبهم، ويشقون ليسعد الطامعون فيهم<sup>(١)</sup>.

ولنشر الدين ورفع رايته والدعوة إلى الله - عز وجل - ورد كيد الكفار والمتربضين قال الله - تعالى - : ﴿ أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [التوبة: ٤١].

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَرِّلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبِشِرُوا بِبَيْعِكُمْ

(١) كتاب الوسيلة للشيخ محمد أبي الوفاء ص (٨٤).

الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ [التوبة: ١١١].

قال ابن كثير - رحمه الله - : «يخبر الله - تعالى - أنه عاوض عباده المؤمنين عن أنفسهم وأموالهم إذا بذلوها في سبيله بالجنة ، وهذا من فضله وكرمه وإحسانه ، فإنه قبل العوض عما يملكه بما تفضل به على عباده المطيعين له ؛ ولهذا قال الحسن البصري وقتادة : بايعهم والله فأغلى ثمنهم .

وقال شمر بن عطية : ما من مسلم إلا والله - عزَّ وجلَّ - في عنقه بيعةٌ ، وفى بها أو مات عليها ، ثم تلا هذه الآية . ولهذا يقال : من حمل في سبيل الله بايع الله . أي : قبل هذا العقد ووفى به .

وقال محمد بن كعب القرظي وغيره : قال عبد الله بن رواحة - رضي الله عنه - لرسول الله ﷺ يعني ليلة العقبة : اشترط لربك ولنفسك ما شئت ! فقال : «أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً . وأشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم» ، قالوا : فما لنا إذا فعلنا ذلك ؟ قال : «الجنة» قالوا : ربح البيع لا نُقِيل ولا نستقيل ، فنزلت : ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ...﴾ الآية .

وقوله : ﴿يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾ أي : سواء قتلوا أو قتلوا ، أو اجتمع لهم هذا وهذا ، فقد وجبت لهم الجنة . ولهذا جاء في الصحيحين : «وتكفل الله لمن خرج في سبيله ، لا يخرجه إلا جهاد في سبيلي وتصديق برسلي ، إن توفاه أن يدخله الجنة ، أو يرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه ، نائلاً ما نال من أجر أو غنيمة» .

وقوله : ﴿وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْآنِ﴾ تأكيد لهذا الوعد ، وإخبار بأنه قد كتبه على نفسه الكريمة ، وأنزله على رسله في كتبه

الكبار، وهي التوراة المنزلة على موسى، والإنجيل المنزل على عيسى، والقرآن المنزل على محمد - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين - .

وقوله: ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾ فإنه لا يخلف الميعاد، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢]، ولهذا قال: ﴿فَاسْتَبْشِرُوا بِلِقَائِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ﴾ وذلك هو الفوز العظيم ﴿١١﴾، أي فليستبشر من قام بمقتضى هذا العقد ووفى بهذا العهد، بالفوز العظيم، والنعيم المقيم<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَجْرَىٰ نَجْمِكُمْ مِنَ الْعَذَابِ أَلَيْسَ تَتُومِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ١١] يغفر لكم ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصف: ١٠ - ١٣].

قال ﷺ: «إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف» [رواه مسلم].

وقال ﷺ: «ما اغبرت قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار» [رواه البخاري].

وقال ﷺ: «مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صيام ولا صلاة حتى يرجع المجاهد في سبيل الله» [متفق عليه].

وقال ﷺ حاثًا على الجهاد، وما أعدّه الله للمجاهدين: «لغدوة في سبيل الله، أو روحة، خير من الدنيا وما فيها» [متفق عليه].

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: سئل رسول الله ﷺ: أي الأعمال أفضل؟ قال: «إيمان بالله ورسوله» قيل: ثم ماذا؟ قال: «الجهاد في سبيل الله» قيل: ثم ماذا؟ قال: «حج مبرور» [متفق عليه].

(١) تفسير ابن كثير (٤/٤٨٣).

قال ابن تيمية - رحمه الله - : «والجهاد - بإتفاق العلماء - أفضل من الحج والعمرة، ومن صلاة التطوع، وصوم التطوع... ونفع الجهاد لفاعله ولغيره في الدين والدنيا، وهو مشتمل على جميع العبادات الظاهرة والباطنة: محبة الله، والإخلاص له، والتوكل عليه، وتسليم النفس والمال له، والصبر والزهد، وذكر الله»<sup>(١)</sup>.

وسُئل أيضًا عن رجل قدم يريد الغزو ولم يحج فنزل على قوم ثبطوه عن الغزو وقالوا: إنا لم تحج تريد الغزو؟ قال أبو عبد الله (أي الإمام أحمد): «يغزو ولا عليه، فإن أعانه الله حج، ولا نرى بالغزو قبل الحج بأسًا». قال أبو العباس: «هذا مع أنَّ الحجَّ واجب على الفور عنده، لكن تأخيره لمصلحة الجهاد كتأخير الزكاة الواجبة على الفور لانتظار قوم أصلح من غيرهم أو لضرر أهل الزكاة...»<sup>(٢)</sup>.

قال ﷺ: من طلب الشهادة صادقًا أعطيها ولو لم نصبه» [رواه مسلم]. قال الحسن: إن لكل طريق مختصرًا، ومختصر طريق الجنة الجهاد<sup>(٣)</sup>. ولهذا كان السلف يتسابقون إلى ساحات الوغى ومواطن الجهاد وأطراف الثغور رغبة فيما عند الله - عز وجل - رغم ما يصيبهم. قال معاوية بن قرة: «أدركت ثلاثين رجلًا من أصحاب النبي ﷺ ما منهم إلا من طعن أو طعن، أو ضرب أو ضرب مع رسول الله ﷺ»<sup>(٤)</sup>.

(١) مجموع الفتاوى (٣٥٣/٢٨).

(٢) المستدرک علی مجموع فتاوی شیخ الإسلام (٢١٦/٣).

(٣) حلیۃ الأولیاء (١٥٧/٦).

(٤) حلیۃ الأولیاء (٢٩٩/٢).

كان أبو أيوب الأنصاري يقول: «قال الحمد لله ﴿أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ لا أجدني إلا خفيفًا أو ثقیلاً»<sup>(١)</sup>.

### أين نحن من هؤلاء؟!

عن مروان بن الحكم، أنَّ زيد بن ثابت أخبره أنَّ رسول الله ﷺ أُملي عليه «لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدين في سبيل الله...»، فجاءه ابن أم مكتوم، وهو يملها عليّ، قال: يا رسول الله، لو أستطيع الجهاد لجاهدتُ، وكان أعمى، فأنزل الله على رسوله ﷺ، وفخذه على فخذي، فثقلت عليّ، حتى خفتُ أن تُرَضَّ فخذي، ثم سُري عنه، فأنزل الله: ﴿غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾ [النساء: ٩٥].

وكان رضي الله عنه - بعد - يغزو ويقول: ادفَعُوا إِلَيَّ اللِّوَاءَ؛ فَإِنِّي أَعْمَى لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَفِرَّ وَأَقِيمُونِي بَيْنَ الصَّفَّيْنِ.

وعن أنس أن عبد الله بن زائدة - وهو ابن أم مكتوم - كان يقاتل يوم القادسية وعليه درعٌ له، حصينة سابغة<sup>(٢)</sup>.

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم

بهنَّ فلول من قراع الكتائب<sup>(٣)</sup>

نظر يونس بن عبيد الله إلى قدميه عند موته فبكى، فقليل له: ما يبكيك يا أبا عبد الله قال: «قدماي لم تغبرا في سبيل الله - عز وجل -»<sup>(٤)</sup>.

(١) السير (٢/٤٠٥).

(٢) طبقات ابن سعد (١/١٥٤).

(٣) وفيات الأعيان (٧/١١).

(٤) حلية الأولياء (٣/٣٠٤)، وصفة الصفوة (٣/١٠١).



قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : «والجهاد، منه ما يكون باليد ومنه ما هو بالقلب والحجة والدعوة واللسان والرأي والتدبير والصناعة، فيجب بغاية ما يمكنه، ويجب على القعدة لعذر أن يخلفوا الغزاة في أهلهم ومالهم»<sup>(١)</sup>.

### أخي المسلم:

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: بعث رسول الله ﷺ عشرة عيّنًا، وأمر عليهم عاصم بن ثابت الأنصاري جد عاصم بن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -، حتى إذا كانوا بالهدة بين عسفان ومكة ذكروا الحيّ من هذيل يقال لهم: بنو لحيان، فنفروا لهم بقريب من مائة رجل رام، فاقتصوا آثارهم، حتى وجدوا مأكلمهم التمر في منزل نزلوه، فقالوا: تمر يثرب فاتبعوا آثارهم فلما حسّ بهم عاصم وأصحابه لجأوا إلى موضع فأحاط بهم القوم فقالوا لهم: انزلوا فأعطوا بأيديكم ولكم العهد والميثاق، إن لا نقتل منكم أحدًا، فقال عاصم بن ثابت: أيها القوم أما أنا فلا أنزل في ذمة كافر، ثم قال: اللهم أخبر عنا نبيك ﷺ، فرموهم بالنبل فقتلوا عاصمًا ونزل إليهم ثلاثة نفر على العهد والميثاق، منهم خبيب وزيد بن الدثنة ورجل منهم أطلقوا أوتار قسيهم فربطوهم بها قال الرجل الثالث: هذا أول الغدر والله لا أصحبكم إن لي بهؤلاء أسوة - يريد القتلى - فجروه وعالجوه فأبى أن يصحبهم، فانطلق بخبيب وزيد بن الدثنة حتى باعوهما بعد وقعة بدر، فابتاع بنو الحارث بن عامر بن نوفل خبيبًا - وكان خبيب هو قتل الحارث بن عامر يوم بدر - فلبث خبيب عندهم أسيرًا حتى

(١) المستدرك على مجموع الفتاوى (٣/ ٢١٥).

أجمعوا على قتله، فاستعار من بعض بنات الحارث موسى يستحذ بها فأعارته، فدرج بني لها وهي غافلة حتى أتاه فوجدته مجلسه على فخذه والموس بيده قالت: ففزعت فزعة عرفها خبيب، فقال أتخشين أن أقتله؟ ما كنت لأفعل ذلك، قالت: والله ما رأيت أسيراً قط خيراً من خبيب، والله لقد وجدته يوماً يأكل قطعاً من عنب في يده، وأنه لموثق بالحديد وما بمكة من ثمرة، وكانت تقول: إنه لرزق رزقه الله خبيباً. فلما خرجوا به من الحرم ليقتلوه في الحِلِّ قال لهم خبيب: دعوني أصلي ركعتين فتركوه فركع ركعتين فقال: والله لولا أن تحسبوا أن ما بي جزع لزدت ثم قال: اللهم أحصهم عدداً، واقتلهم بدداً، ولا تبق منهم أحداً، ثم أنشأ يقول:

فلسـت أبـالي حين أقتـل مسلماً

على أي جنب كان لله مصرعي

وذلك في ذات الإله وإن يشأ

يبارك على أوصال شلو ممزع

أين نحن من هؤلاء؟!

عن أنس - رضي الله عنه - قال: انطلق رسول الله ﷺ وأصحابه حتى سبقوا المشركين في بدر، فدنا المشركون فقال النبي ﷺ: «قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض» قال نعم، قال: بخ بخ، قال رسول الله ﷺ: «ما حملك على قولك بخ بخ؟» قال: لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها، قال: «فإنك من أهلها» قال: فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنها لحياة طويلة، قال: فرمى ما كان معه من التمر، ثم قاتلهم حتى قتل رضي الله عنه.

وعنه - رضي الله عنه - أنَّ أُمَّ الرَّبِيع بنت البراء وهي أم حارثة بن

سراقة، أنتِ النَّبِيَّ ﷺ فقالت: يا رسول الله، ألا تحدثني عن حارثة، وكان قُتِلَ يوم بدر، فإن كان في الجنة صبرتُ، وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء، فقال: «يا أُمَّ حارثة، إنها جَنَّانٌ في الجنة، وإنَّ ابنك أصاب الفردوس الأعلى» [متفق عليه]

وعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال: جيء بأبي إلى النبي ﷺ قد مُثِّلَ به فوُضِعَ بين يديه، فذهبت أكشف عن وجهه فنهاني قومٌ فقال النبي ﷺ: «ما زالتِ الملائكة تُظِلُّه بأجنحتها» [متفق عليه].  
أولئك رجال كانت حياتهم جهاد ودعوة في سبيل الله..

كل عيش قد أراه نكدًا  
غير ركن الرمح في ظل الفرس  
وقيام في ليال دجن  
حارسًا للناس في أقصى الحرس<sup>(١)</sup>

### أخي المسلم:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: «ومن كان كثير الذنوب، فأعظم دوائه الجهاد»<sup>(٢)</sup>.

وقال - رحمه الله -: «اعلموا أن الجهاد فيه خير الدنيا والآخرة، وفي تركه خسارة الدنيا والآخرة، قال الله - تعالى - في كتابه: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ﴾ [التوبة: ٥٢] يعني: إمَّا النَّصْر والظفر، وإمَّا الشَّهادة والجنة، فمن عاش من المجاهدين كان كريمًا له

(١) ترتيب المدارك (٣٠٦/١).

(٢) مجموع الفتاوى (٤٢١/٢٨).

ثواب الدنيا، وحسن ثواب الآخرة، ومن مات منهم أو قتل فإلى الجنة، قال ﷺ: «يُعطي الشهيد ستَّ خصالٍ: يُغفر له بأوَّل قطرة من دمه، ويرى مقعده من الجنة، ويُكسى حلَّة من الإيمان، ويزوج ثنتين وسبعين من الحور العين، ويوقى فتنة القبر، ويؤمن من الفزع الأكبر» [رواه أهل السنن].

وقال ﷺ: «إنَّ في الجنة لمائة درجة، ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين السماء والأرض، أعدَّها الله - سبحانه وتعالى - للمجاهدين في سبيله»، فهذا ارتفاع خمسين ألف سنة في الجنة لأهل الجهاد. وقال ﷺ: «مثل المجاهد في سبيل الله مثل الصائم القائم، الذي لا يفتر من صلاة ولا صيام».

وقال رجل: أخبرني بعمل يعدل الجهاد في سبيل الله؟ قال: «لا تستطيعه»، قال: أخبرني به؟ قال: «هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تصوم ولا تفطر وتقوم ولا تفتقر؟» قال: لا، قال: «فذلك الذي يعدل الجهاد في سبيل الله»، وهذه الأحاديث في الصحيحين وغيرهما.

وكذلك اتَّفَق العلماء - فيما أعلم - على أنَّه ليس في التَّطَوُّعات أفضل من الجهاد، فهو أفضل من الحجِّ، وأفضل من صوم التَّطَوُّع، وأفضل من صلاة التَّطَوُّع<sup>(١)</sup>.

### أخي المسلم:

دعنا نسير مع أولئك الرِّجال الأفذاذ في طريق جهادهم وما يلاقون من الشَّدائد والصَّعاب لعلنا نستحثَّ الهمم ونقوي العزائم!

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/٤١٧).

قال عروة بن الزبير: لما تجهَّز النَّاسُ، وتهيأوا للخروج إلى مؤتة، قال للمسلمين: صحبتكم الله، ودفع عنكم، قال عبد الله بن رواحة:

لكنني أسأل الرحمن مغفرة

وضربة ذات فرع تقذف الزبد

أو طعنة بيدي حرَّان مُجهَّزة

بحربة تنفذ الأحشاء والكبد

حتى يقولوا إذا مروا على جسدي

أرشدك الله من غاز وقد رشداً<sup>(١)</sup>

قال: ثم مضوا حتى نزلوا بأرض الشام، فبلغهم أن هرقل قد نزل من أرض البلقاء في مائة ألف من الروم، وانضمت إليه المستعربة من لخم، وجذام، وبلقين، وبهرا، وبلي، في مائة ألف فأقاموا ليلتين ينظرون في أمرهم.

وقال نكتب لرسول الله ﷺ فنخبره بعدد عدونا.

قال: فشجع عبدالله بن رواحة الناس ثم قال: والله يا قوم إن الذي تكرهون للذي خرجتم له، تطلبون الشهادة، وما نقاتل العدو بعدة ولا قوم ولا كثرة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا، فإنما هي إحدى الحسينيين، إما ظهور وإما شهادة، قال: فقال الناس: قد - والله - صدق ابن رواحة فمضى الناس.

\* أمَّا الموقف الثاني فهو لموقف مؤثر وهم يسيرون إلى الموت

ويسرعون إلى لقاء العدو رغبة فيما عند الله!

عن زيد بن أرقم قال: كنت يتيماً لعبد الله بن رواحة في حجره، فخرج في سفرته تلك مردفي على حقيبة راحلته، فوالله إنا لنسير ليلة، إذ سمعته يتمثل بأبياته هذه:

إذا أدنيتني وحملت رحلي

مسيرة أربع يعد الحساء

فشأنك فأنعمي وخلال ذم

ولا أرجع إلى أهلي ورائي

وآب المسلمون وغادروني

بأرض الشام مُستهي الثواء

وردك كل ذي نسب قريب

إلى الرحمن منقطع الإخاء

هنالك لا أبالي طلع بعل

ولا نخل أسافلها رواء

فلما سمعتهن بكيت، قال: فخفقتني بالدره، وقال: ما عليك يا لكع

أن يرزقني الله الشهادة، وترجع بين شعبي الرحل.

فأخذ الراية عبدالله بن رواح بعد قتل صاحبيه، فجعل يستنزل نفسه

ويتردد بها بعض التردد، فقال عند ذلك:

أقسمت بالله لتنزله

طائفة أو لتكرهه

إن أجلب الناس وشدوا الرنة  
 ما لي أراك تكرهين الجنة  
 قد طال ما قد كنت مطمئنة  
 هل أنت إلا نطفة في شنة  
 وقال أيضًا:

يا نفس إن لا تقتلي تموتي هذا حمام الموت قد صليت  
 وما تمنيت فقد أعطيت إن تفعلي فعلهما هديت  
 وإن تأخرت فقد شقيت

فلما نزل، أتاه ابن عم له من لحم، فقال: شد بهذا صلبك، فإن قد  
 لاقيت من أيامك هذه ما قد لقيت، فأخذه من يده، ثم انتهش منه نهشة،  
 ثم سمع الحطمة في ناحية الناس، فقال: وأنت في الدنيا!! ثم ألقاه من  
 يده، ثم أخذ سيفه، فقاتل حتى قتل - رضي الله عنه - <sup>(١)</sup>.

\* وكان صلة بن أئيم في مغزي له ومعه ابن له، فقال: أي بني تقدم  
 فقاتل حتى أحسبك، فحمل فقاتل حتى قتل، فاجتمعت النساء عند  
 امرأته معاذة العدوية فقالت: «مرحبًا إن كنتن جئتن لتهنئي فمرحبًا بكن،  
 وإن كن جئتن لغير ذلك فأرجعن» <sup>(٢)</sup>.

ولعلنا نطل على ما ادّخره الله - عز وجل - للشهداء الصادقين لمن  
 بذلوا دماءهم رخيصة في سبيل الله . .

(١) حلية الأولياء (١/١١٨).

(٢) حلية الأولياء (٢/٢٣٩).

عن سمرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت الليلة رجلين أتاني، فصعدا بي الشجرة، فأدخلاني داراً هي أحسن وأفضل، لم أرقط أحسن منها، قالوا: أما هذه الدار فدار الشهداء» [رواه البخاري].

قال ابن كعب القرطبي: إن عبدالله ذا البجادين كان امرءاً من مزينة فوقع في قلبه حب رسول الله ﷺ وحب الإيمان فتوجه نحو النبي ﷺ وذهبت أمه إلى قومها فقالت: إن عبدالله قد توجه نحو محمد فاتبعوه فردوه. فقالت: أمه خذوا ثيابه فإنه أشد الناس حياءً، فإنكم إن أخذتم ثيابه لم يبرح، فأخذوا ثيابه وجردوه فقعده في البيت فأبى أن يأكل ويشرب؛ حتى يلحق بمحمد ﷺ فلما رأت أمه أنه لا يأكل ولا يشرب أتت قومها فأخبرتهم أنه قد حلف ألا يأكل وألا يشرب حتى يلحق بمحمد ﷺ فأعطوه ثيابه فإني أخاف أن يموت، فأبوا فأخذت بجادها - كساء غليظ - وقطعته قطعتين ثم زررت أحدهما فاتزره ووضع الآخر على رأسه، وقالت: اذهب. فذهب، ترفعه أرض وتخفضه أخرى، حتى قدم المدينة وقرأ القرآن وفقه في الدين، فكان يأوي هو وأصحابه إلى ظل بيت لامرأة من الأنصار تضع لهم طعامهم وتهيء لهم أمرهم، فقال له أصحابه ذات يوم: لو تزوجت فلانة، فبلغ ذلك المرأة فقالت: ما لكم هجيراً - عادة - إلا ذكري، لتمسكن عن ذكري أو لا يأويكم ظل بيتي، فبلغ ذلك أبا بكر - رضي الله عنه - فأتاها فقال: يا فلانة ألم يبلغني أن عبدالله خطبك فتزوجيه؟ فإنه في حسب من قومه، وقد قرأ القرآن وفقه في الدين، وأتاها عمر - رضي الله عنه - فقال لها مثل ذلك، فبلغ ذلك النبي ﷺ، وكان عبدالله إذا طلعت الشمس قام فصلى ما شاء الله أن يصلي، ثم يمر بالنبي ﷺ فيسلم عليه ثم يذهب إلى رحله، فصلى ذات يوم فمر



بالنبي ﷺ قال: «يا عبدالله ألم يبلغني أن تذكر فلانة؟» قال: بلى، قال: «قد زوجتكها»، فأتى أصحابه فقال: رسول الله ﷺ قد زوجنيها، فجاءت نسوة من الأنصار فذهبن بها وهيئنها وصنعنها، وصنعن لها بردة، وصنعن لها وسادة من آدم، وقدحًا، وشيئًا من طعام، فزفينها عشاءً فقام يصلي ما عرض لها ولا أرادها حتى أذن بلال بالفجر، فلما أذن ذهبت النسوة إلى أزواجهن فقلن: والله ما لعبد الله من حاجة، ما عرض لها ولا أرادها ولا قربها، وصلى عبد الله مع رسول الله ﷺ صلاة الفجر، فلما طلعت الشمس قام يصلي نحو ما كان يصلي فمر بالنبي ﷺ فسلم عليه فقال له رسول الله ﷺ: «أما لك في أهلك حاجة؟».

قال: بلى، ولكن رأيت نعمة من نعم الله - تعالى - رأيت امرأة جميلة وفراشًا وطعامًا فلم أجد شيئًا أتقرب به إلى الله إلا سلاحي، ولم أكن أوتر بسلاحي على الله ورسوله أحدًا إلا أن أصلي، فهذا وجهي إلى أهلي يا رسول الله، فذهب إلى أهله فأصاب منها، ثم أصابته جراحه يوم خيبر، فأوصى: «أني لم أكن أعطيت امرأتي شيئًا فأعطوها نصيبي من خير»، ومات.

**أين نحن من هؤلاء؟!**

قال ابن مسعود - رضي الله عنه -: أصابنا جوع شديد فخرجت ذات ليلة فرأيت نورية تبصُّ، فقلت: لأذنون منها لعلي أصيب عندها طعامًا، قال: فدنوت فإذا رسول الله ﷺ في القبر يحفر يناول أبا بكر وعمر التراب، وإذا عبدالله مسجى عليه، فلما دفنه قال: «اللهم إني عنه راضٍ فارض عنه» مرتين أو ثلاثاً<sup>(١)</sup>.

(١) الحلية (١/١٢٢)، والسيرة النبوية لابن هشام (٤/١٨٣).

ولم تكن القصور والدُّور منتهى آمالهم في الدُّنيا، بل كانوا يتخفَّفون في المباني والدُّور!

كان لشقيق بن سلمة خص من نصب (البيت في النصب أو شجر) وكان يكون فيه هو وفرسه فإذا غزا نقضه وتصدق به، وإذا رجع أنشأ بنيائه<sup>(١)</sup>.

وهذا سعد بن خَيْثَمَة الأنصاري - رضي الله عنه - أحد نقباء الأنصار الاثني عشر، شهد العقبة الأخيرة مع السبعين، ولمَّا ندب رسول الله ﷺ النَّاس إلى غزوة بدر قال له أبو خيثمة: إِنَّه لا بدَّ لأحدنا أَنْ يقيم، فَأَثَرَنِي بالخروج وأقم مع نسائك، فأبى سعد، وقال: لو كان غير الجنة أَثَرْتُك به؛ إِنِّي لأرجو الشَّهادة في وجهي هذا. فاستهما، فخرج سهم سعد، فخرج فقتل ببدر<sup>(٢)</sup>.

قال ابن تيمية - رحمه الله -: «يجب على جميع المسلمين أَنْ يكونوا يدًا واحدة على الكفار، وأن يجتمعوا ويقاتلوا على طاعة الله ورسوله والجهاد في سبيله، ويدعوا المسلمين إلى ما كان عليه سلفهم من الصدق وحسن الأخلاق، فإن هذا من أعظم أصول الإسلام وقواعد الإيمان التي بعث الله بها رسله وأنزل بها كتبه... أمر عباده عمومًا بالاجتماع ونهاهم عن التفرق والاختلاف».

إذا أَظْمَأْتُكَ كَفَّ اللُّئِي

م كَفَّتْكَ القَنَاعَةُ شَبْعًا وَرِيَا

(١) صفة الصفوة (٣/٢٨).

(٢) صفة الصفوة (١/٤٦٨).

فكن رجلاً رجلاه في الثرى  
وهامة همته في الثريا  
أيّاً لنائل ذي ثروة  
تراه بما في يديه أيّاً  
فإن أراقه ماء الحيا  
ة دون إراقه ماء المحيا<sup>(١)</sup>

كانت أم إبراهيم الهاشمية - رحمها الله - عابدة من عابدات البصرة الصالحات، وحدث ذات عام أن أغار الروم على ثغر من ثغور المسلمين، فانتدب الناس للجهاد في سبيل الله، فقام العبد الصالح عبد الواحد بن زيد في الناس واعظاً وخطيباً ومحرّضاً على الجهاد، وكانت أم إبراهيم حاضرة في ذلك المجلس، وطال حديثه وتشويقه للجهاد، ثم شرع في وصف حور الجنان الحسان وجمالهن، وأطنب في ذلك وتوسع، فماج الناس لذلك واضطربوا، واشتاقت النفوس إلى الجنان، وتطلعت الأفتدة إلى الحور الحسان!!

فوثبت أم إبراهيم من وسط الحاضرين وقالت لعبد الواحد: يا أبا عبيد، ألسنت تعرف ولدي إبراهيم، فإن أعيان أهل البصرة يخطبونه لبناتهم!!، وأنا أضن به عليهم، فقد والله أعجبتني هذه الحورية التي ذكرت لنا أوصافها، وأنا أرضاها زوجة لولدي إبراهيم!!، فهل لك أن تزوجه منها وتأخذ مهرها عشرة آلاف دينار، ويخرج معك في هذه

(١) تاريخ بغداد (١١/٣٢).

الغزوة، ففعل الله أن يرزقه الشهادة في سبيله، فيكون شفيعاً لي ولأبيه يوم القيامة؟!

فقال لها عبد الواحد بن زيد: لئن فعلت لتفوزن أنت وزوجك وولدك فوزاً عظيماً!! فنادت ولدها إبراهيم من وسط الناس، فقال لها: لبيك يا أماه! فقالت: أي بني، أَرْضِيت بهذه الجارية زوجة لك، ببذل مهجتك في سبيل الله، وترك العودة إلى الذنوب، فقال الفتى: إي والله يا أمي!!، رَضِيت وأي رضى، فقالت: «اللهم إني أشهدك أنني قد زوجت ولدي هذا من هذه الحورية، ببذل مهجته في سبيلك، وترك العودة إلى الذنوب، فتقبله مني يا أرحم الراحمين!!».

ثم انصرفت فجاءت بعشرة آلاف دينار، ثم قالت: يا أبا عبدالله، هذا مهر الحورية، تجهز به، وجَهِّز به الغزاة في سبيل الله!!

ثم انصرفت، فاشترت لولدها إبراهيم فرساً جيداً، وسلاحاً ثقيلاً، وخرج الجيش للقتال وهم يرددون قوله - تعالى -: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقْلِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

فلما أرادت أم إبراهيم فراق ولدها، دفعت إليه كفناً وحنوطاً وقالت له: أي بني، إذا أردت لقاء العدو، فتكفن بهذا الكفن، وتحنط بهذا الحنوط، وإياك أن يراك الله مقصراً في سبيله، ثم ضمته إلى صدرها، وقبلت ما بين عينيه وقالت: لا جمع الله بيني وبينك، إلا بين يديه، في عرصات القيامة!!

قال عبد الواحد: فلما واجهنا العدو، برز ابنها إبراهيم في المقدمة،

فقتل من العدو خلقاً كثيراً، ثم تجمعوا عليه فقتلوه!!

فلما انتهت الغزوة، ورجعنا إلى البصرة غانمين، خرج الناس يتلقوننا ويستقبلوننا، وخرجت أم إبراهيم فيمن خرج، فلما أبصرتني قالت: يا أبا عبيد، هل قبلت مني هديتي فأهنتي؟! أم ردّدت عليّ فأعزّيتي؟! فقلت لها: قد قبلت هديتك!!، وإن ولدك إبراهيم حي مع الشهداء إن شاء الله.

فخرت ساجدة لله - تعالى -، ثم قالت: الحمد لله الذي لم يخيب ظني وتقبل نسكي مني فلما كان من الغد، أتتني إلى المسجد، فقالت: يا أبا عبيد، بشراك!! بشراك!! فقلت لها: لا زلت مبشرة بالخير!! فقالت: رأيت البارحة ولدي إبراهيم في روضة حسناء، وعليه قبة خضراء، وهو على سرير من اللؤلؤ وعلى رأسه تاج وإكليل، وهو يقول لي يا أماء... أبشري!! فقد قبل المهر!! وزوّجت العروس إلى عريسها!!<sup>(١)</sup>.

وعن أبي قدامة الشامي - رحمه الله - قال: كنت أميراً على جيش من جيوش المسلمين، في بعض الغزوات، فدخلت بعض البلدان، فدعوتُ الناس إلى الغزو، ورغبتهم في الجهاد في سبيل الله - تعالى -، وذكرت لهم فضل الشهادة في سبيل الله، وما لأهلها عند الله - عز وجل - من الثواب العظيم والنعيم المقيم، ثم تفرق الناس، فركبت فرسي، وسرت إلى منزلي، فإذا أنا بامرأة، تقف لي على جانب الطريق، وتناديني وتقول: يا أبا قدامة!! يا أبا قدامة!! فقلت في نفسي: هذه مكيدة من الشيطان، ليفتنني بها!! فمضيتُ ولم ألْتَفِتْ إليها، فقالت: ما هكذا كان الصالحون!! فوقفْتُ لها حينئذ، فجاءتُ ودفعَتْ إليّ رقعة وخرقة

(١) كتاب [مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق] لابن النحاس (١/ ٢١٥) بتصرف.

مشدودة، وانصرفت باكيةً، فنظرت إلى الرقعة فإذا مكتوبٌ فيها:

إنك دعوتنا إلى الجهاد، ورغبتنا في الثواب، وأنا امرأة لا قدرة لي على الخروج بنفسي، فقطعت أجمل ما في جسدي، وهما ضميرتاي، وأعطيتهما إياك لتجعلهما قيدًا لفرس غازٍ في سبيل الله - تعالى -!! لعل الله - عز وجل - أن يرى شعري قيدًا لفرسٍ في سبيله، فيغفر لي.

فلما كانت صبيحة القتال، إذا بـغلام بين يدي الصفوف، يقاتل بقوة وشجاعة وبسالة!! فتقدمت إليه وقلت له: يا فتى، أنت غلامٌ صغير السن، راجل ولا فرس معك، ولا آمن أن تجول الخيل فتطأك بأرجلها، فارجع عن موضعك هذا!!.

فقال لي الغلام: أتأمرني بالرجوع وقد قال الله - تعالى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ﴾ وَمَنْ يُؤْلِهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرُهُ إِلَّا أَمْتَحَرَفًا لِقَالِ أَوْ مَتَحَرِّزًا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبَلَسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ [الأنفال: ١٥، ١٦] فأعجبني شجاعته وبسالته، فحملته على هجين كان معي!!.

فقال: يا أبا قدامة أقرضني ثلاثة أسهم!! فقلت له: أهذا وقت قرض!! فما زال يلحُّ عليّ حتى قبلت وقلت له: بشرط إن منَّ الله عليك بالشهادة في سبيله، أكون في شفاعتك يوم القيامة!! فقال: نعم!! فأعطيته ثلاثة أسهم، فوضع سهمًا في قوسه وقال: السلام عليك يا أبا قدامة!! ثم رمى به فقتل روميًا!! ثم رمى بالآخر وقال: السلام عليك يا أبا قدامة سلام مودع!! فجاءه سهمٌ فوق بين عينيه، فوضع رأسه على قربوس سرجه!! فتقدمت إليه، وقلت له: لا تنسها!! فقال لي ودماؤه

تنزف: نعم!! ولكن لي إليك حاجة!! إذا دخلت المدينة، فأْتِ والدتي وسلمي خُرْجي إليها وأخبرها بقصتي!!.

فقال له أبو قدامة: ولكن أخبرني من هي أمك؟! وكيف أعرفها من بين نساء المدينة?!.

فقال له الغلام: إن أمي هي التي أعطتك شعرها، لتجعله قيداً لفرسٍ في سبيل الله، فسلم لي عليها، فإنها في العام الأول، أصيبت بمقتل والدي في الجهاد، وفي هذا العام أصيبت بي!! ثم مات - رحمه الله - فحفرت له ودفنته بعد انتهاء المعركة، فلما هممنا بالانصراف عن قبره، قذفته الأرض، فألقته على ظهرها، فقال أصحابي: إنه غلام صغير السن، ولعله خرج بغير إذن أمه، فرفضته الأرض ولم تقبله، فقلت لهم: إن الأرض لتقبل من هو شر من هذا!!

فبينا نحن كذلك، لا ندرى ماذا نفعل به، إذ نزلت عليه طيورٌ بيضٌ، فأكلته!! ونحن ننظر إليها، لم يستطع أحدٌ منا الاقتراب منها!!

فلما أتيتُ المدينة، ذهبت إلى دار والدته، فلما قرعتُ الباب، خرجت أختي إليّ، فلما رأتني عادت، وقالت: يا أماه، هذا أبو قدامة، ليس معه أخي، فقد أُصيبنا في العام الأوّل بأبي، وفي هذا العام بأخي، فخرجتُ أمّه إليّ فقالت: أمْعَرِّيَا أم مُهْنَتَا?!.

فقلتُ: مامعنى هذا؟! فقالت: إن كان مات فعزني! وإن كان استشهد فهنتني!! فقلتُ: لا، بل مات شهيداً!! فقالت: له علامةٌ فهل رأيتهَا!!.

قلتُ: نعم!! لم تقبله الأرض، ونزلتُ الطيور فأكلت لحمه، وتركْتُ

عظامه، فدفنتها فقالت الأم: الحمد لله!! ثم قالت: إنه كان إذا جنَّ الليل، وقام في محرابه يصلي، ناجي مولاه - تعالى - وبكى وتضرع، وقال في مناجاته: «اللهم احشرنى في حواصل الطيور!!»<sup>(١)</sup>.

### أخي الحبيب أين نحن من هؤلاء؟!

عن أنس - رضي الله عنه - قال: جاء رجل إلى عمر - رضي الله عنهما - فقال: يا أمير المؤمنين احملني فإني أريد الجهاد فقال عمر لرجل خذ بيده، فأدخله بيت المال، يأخذ ما يشاء، فدخل فإذا هو بيضاء وصفراء فقال: ما هذا ما لي في هذا حاجة إنما أردت زادًا وراحلةً فردوه إلى عمر فأخبروه بما قال، فأمر له بزيادة وراحلة وجعل عمر يرحل له بيده فلما ركب رفع يده فحمد الله وأثنى عليه بما وهبه وأعطاه، قال: وعمر يمشي خلفه يتسنى أن يدعو له فلما فرغ قال: اللهم عمر فاجزه خيرًا، وأوماً بيده إلى رحله<sup>(٢)</sup>.

ألا في سبيل الله ماذا تضمنت  
بطون الثرى وأستودع البلد الفقير  
بدور إذا الدنيا دجت أشرق بهم  
وإن أجذبت يومًا فأيديهم القطر  
فيا شامتًا بالموت لا تشمتن بهم  
حياتهم فخر وموتهم ذكر<sup>(٣)</sup>

(١) صفة الصفوة لابن الجوزي (٢٠٠/٤) بتصرف.

(٢) كتاب الزهد لابن السري (٣١٤/١).

(٣) وفيات الأعيان (٢٤٠/٧).



عن جعفر بن عبدالله بن أسلم قال: لما كان يوم اليمامة، واصطف الناس كان أول من جرح أبو عقيل، رمي بسهم فوقع بين منكبيه وفؤاده في غير مقتل، فأخرج السهم، ووهن له شقه الأيسر في أول النهار، وجر إلى الرحل، فلما حمى القتال، وانهزم المسلمون، وجاوزوا رحالهم، وأبو عقيل واهن من جرحه، سمع معن بن عدي يصيح: (يا للأنصار) الله الله والكرة على عدوكم! قال عبدالله بن عمر: فنهض أبو عقيل يريد قومه، فقلت: ما تريد؟ ما فيك قتال!

قال: قد نوه المنادي باسمي، قال ابن عمر: فقلت له: إنما يقول: يا للأنصار ولا يعني الجرحى. قال أبو عقيل: أنا من الأنصار، وأنا أجيء ولو حَبَوًّا، قال ابن عمر: فتحزَّم أبو عقيل وأخذ السيف بيده اليمنى، ثم جعل ينادي: يا للأنصار! كرة كيوم حنين! فاجتمعوا رحمكم الله جميعاً، تقدموا فالمسلمون دريئة دون عدوهم، حتى أقحموا عدوهم الحديقة، فاختلطوا، واختلفت السيوف بيننا وبينهم.

قال ابن عمر: فنظرت إلى أبي عقيل وقد قطعت يده المجروحة من المنكب فوقعت في الأرض وبه من الجراح أربعة عشر جرحاً كلها قد خلصت إلى مقتل، وقتل عدو الله مسيلمة. قال ابن عمر: فوقفت على أبي عقيل وهو صريع بأخر رمق، فقلت: يا أبا عقيل! قال: لييك - بلسان ملثا - لمن الدبرة؟ يعني: الهزيمة. قلت: أبشر قد قتل عدو الله، فرفع إصبعه إلى السماء يحمد الله، ومات يرحمه الله<sup>(١)</sup>.

(١) مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق (٥٠٩/١).

### أخي المسلم:

قال ابن عبد ربه: «رجال الأنصار أشجع الناس، قال عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما -: «ما استلَّت السُّيُوف، ولا زحفت الزحوف، ولا أقيمت الصفوف، حتى أسلم ابنا قيلة، يعني الأوس والخزرج، وهما الأنصار من بني عمرو بن عامر، من الأزد».

عن قتادة قال: «ما نعلم حيًّا من أحياء العرب أكثر شهيدًا، أغرَّ يوم القيامة من الأنصار، قال قتادة: وحدثنا أنس بن مالك أنه قُتل منهم يوم أحدٍ سبعون، ويوم بئر معونة سبعون، ويوم اليمامة سبعون. قال وكان بئر معونة على عهد رسول الله ﷺ، ويوم اليمامة على عهد أبي بكر يوم مسليمة الكذاب».

وعن أنس أنه كان يقول: يا رب، سبعين من الأنصار يوم أحد، وسبعين يوم بئر معونة. وسبعين يوم مسليمة الكذاب، وسبعين يوم جسر أبي عبيدة<sup>(١)</sup>.

عن ابن سيرين: أنَّ المسلمين انتهوا إلى حائط فيه رجال من المشركين، فقعده البراء على ترس، وقال: ارفعوني برماحكم، فألقوه وراء الحائط، قال: فأدركوه وقد قتل منهم عشرة وجرح البراء يومئذ بضعةً وثمانين جراحة، ما بين رمية وضربة، فأقام عليه خالد بن الوليد شهرًا حتى برأ من جراحته<sup>(٢)</sup>.

### أين نحن من هؤلاء؟!

(١) العقد الفريد (١/١١٨).

(٢) أسد الغابة (١/٢٠٦).

قال أبو رافع: وجه عمر جيشاً إلى الروم، فأسروا عبدالله بن حذافة - رضي الله عنه - فذهبوا به إلى الروم، فأسروا عبدالله بن حذافة فذهبوا إلى مهلكهم، فقالوا: إن هذا من أصحاب محمد. فقال: هل لك أن تتنصر وأعطيك نصف ملكي؟ قال: لو أعطيتني جميع ما تملك، وجميع ما تملك العرب، ما رجعت عن دين محمد طرفة عين. قال: إذا أقتلك، قال: أنت وذاك، فأمر به، فصلب، وقال للرماة: أرموه قريباً من بدنه، وهو يعرض عليه، ويأبى، فأنزله، ودعا بقدر فصب فيها ماء حتى احترقت، ودعا بأسيرين من المسلمين، فأمر بأحدهما، فألقي فيها وهو يعرض عليه النصرانية، وهو يأبى، ثم بكى فقبل للملك: إنه بكى، فظن أنه قد جزع، فقال: رُدُّوه، ما أبكاك؟ قال: قلت: هي نفس واحدة تلتقى الساعة فتذهب، فكنت أشتهي أن يكون بعدد شعري أنفُس تلتقى في النار في الله. فقال له الطاغية: هل لك أن تُقبِّلَ رأسي، وأخلي عنك؟ فقال له عبدالله: وعن جميع الأسارى؟ قال: نعم، فقبِّلَ رأسه، وقدم بالأسارى على عمر، فأخبره خبره، فقال عمر: حق على كل مسلم أن يقبل رأس ابن حذافة، وأنا أبدأ، فقبل رأسه<sup>(١)</sup>.

**أين نحن من هؤلاء؟!!**

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه - لأخيه زيد يوم أحد: أقسمت عليك ألا لبست درعي، فلبسها ثم نزعها، فقال له عمر: مالك؟ فقال: إني أريد بنفسي ما تريد بنفسك.

وقال أبو إسحاق السبيعي: نزل عكرمة يوم اليرموك، فقاتل قتلاً

شديداً، ثم استشهد، فوجدوا به بضعا وسبعين من طعنة ورمية وضربة<sup>(١)</sup>.  
 عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: نزلت ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ﴾ فقال ابن  
 أم مكتوم: أي رب أنزل عذري، فأنزل الله ﴿غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾ [النساء: ٩٥]،  
 فجعل بينها، وكان بعد ذلك يغزو ويقول: ادفعوا إليّ اللواء فإني أعمى لا  
 أستطيع أن أفر، وأقيموني بين الصفين، قال أنس بن مالك: كان من ابن  
 مكتوم يوم القادسية راية ولواء.

قال خالد بن الوليد: «ما ليلة أبشر فيها بغلام أو تهدي إليّ فيها عروس  
 أحب إليّ من ليلة مرة باردة في سبيل الله»<sup>(٢)</sup>.

وعن ابن عمر قال: جمعت جعفرًا على صدري يوم مؤتة، فوجدت  
 في مقدم جسده بضعا وأربعين من بين ضربة وطعنة<sup>(٣)</sup>.

كيف وهو الذي سمع حديث النبي ﷺ عن سهل بن سعد - رضي الله  
 عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما  
 عليها، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها، والروحة  
 يروحها العبد في سبيل الله - تعالى - أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها»  
 [متفق عليه].

وعن سلمان - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:  
 «رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله  
 الذي كان يعمل، وأجرى عليه رزقه، وأمن الفتان» [رواه مسلم].

(١) السير (١/٣٢٤).

(٢) الثبات عند الممات ص (١٠٧).

(٣) السير (١/٢١٠).

قال الإمام النووي في هذا الحديث: هذه فضيلة ظاهرة للمرابط، وجريان عمله عليه بعد موته فضيلة مختصة به لا يشاركه فيها أحد. وقد جاء صريحاً في غير مسلم: «كل ميت يختم عمله إلا المرباط فإنه يُنمى له عمله إلى يوم القيامة»<sup>(١)</sup>.

### أخي المسلم:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: «والمرابطة في سبيل الله أفضل من المجاورة بمكة والمدينة وبيت المقدس، حتى قال: أبو هريرة - رضي الله عنه -: لأن أرباط في سبيل الله أحب إليّ من أن أوافق ليلة القدر عند الحجر الأسود»<sup>(٢)</sup>.

لما طعن جبار بن سلمى عامر بن فهيرة فأنفذه، قال عامر: فزت والله؟ قال الراوي: وذهب بعامر علوا في السماء حتى ما أراه، فقال رسول الله ﷺ: «أن الملائكة وارت جثته وأنزل عليين»، وسأل جبار بن سلمى ما قوله: فزت الله، قالوا: الجنة، قال: فأسلم جبار لما رأى من أمر عامر بن فهيرة فحسن إسلامه، قالت عائشة، رفع عامر بن فهيرة إلى السماء فلم توجد جثته يرون أن الملائكة وارتته<sup>(٣)</sup>.

وقال جابر: لما قتل أبي يوم أحد، جعلت أكشف عن وجهه وأبكي، وجعل أصحاب رسول الله ﷺ ينهوني وهو لا ينهاني وجعلت عمتي تبكيه، فقال النبي ﷺ: تبكيه أو لا تبكيه، ما زالت الملائكة تظلمه

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (٦١/١٣).

(٢) مجموع الفتاوى (٤١٨/٢٨).

(٣) رواه أحمد (٢٩٨/٣)، والبخاري (١٢٤٤).

بأجنتها حتى رفعتموه»<sup>(١)</sup>.

وعن جابر قال: قال لي رسول الله ﷺ: «ألا أخبرك أن الله كلم أباك كفاحاً»، فقال: عبي، سلني أعطك، قال: أسألك أن تردني إلى الدنيا، فأقتل فيك ثانية، فقال أنه قد سبق مني أنهم إليها لا يرجعون، قال: يا رب، فأبلغ من ورائي، فأنزل الله ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾<sup>(٢)</sup> [آل عمران: ١٦٩].

قال أبو الطيب:

عش عزيزاً أو مت وأنت كريم

بين طعن القنا وحقق الهنود

أخي الحبيب:

قال ابن عون: بينا نحن يوماً في بلاد الروم إذا أنا بوجوه قد تغيرت، فقلت لرجل إلى جنبي: ما هذا قال الذي أرى في وجوه الناس؟ قال: أما ترى العدو؟ فنظرت فإذا الجبل مسود من الأعلاج، قال ابن عون: نعلم أن الموت كره، وإلى جنبي رجل لا أرى في وجهه ما أرى في وجوه القوم، في يده تفاحتان يقلبهما إذ خرج رجل من العدو فدعا البراز، فبرز له رجل من المسلمين فحمل عليه فطعنه، ودعا إلى تفاحتيه، فأخذها فجعل يقلبهما، فقلت لرجل إلى جنبي من هذا؟ قال البطال:

وصبر عن معترك المنايا

وقد شرعت أستنها بنحري<sup>(٣)</sup>

(١) رواه الترمذي في المناقب (٤٦) حديث رقم (٣٠١٠)، وابن خبان (٧، ٢٢).

(٢) مكارم الأخلاق ص (٣٨).

(٣) شذرات الذهب (٨/٢).

وأأنواع الجهاد كثيرة والله الحمد - خاصة في هذا الزمن - منها الجهاد بالكلمة والقلم وفضح المنافقين والرد عليهم . . .

قال أبو إسماعيل عبدالله بن محمد الهروي: عرضت علي السيف خمس مرات لا يقال لي ارجع عن مذهبك، لكن يقال لي: اسكت عما خالفك، فأقول لا أسكت<sup>(١)</sup>.

**أخي المسلم:**

أولئك أبائكم وأجدادكم قال عنهم علي الجارم:  
عشنا أعزاء ملء الأرض ما لسمت  
جباهاً تربيها إلا مصلينا  
لا ينزل النصر إلا فوق رأيتنا  
ولا تسمى الظبى إلا نواصينا

\* سأل عمر خباب بن الأرت - رضي الله عنهما - عما لقي من المشركين، فقال خباب: يا أمير المؤمنين انظر إلى ظهري، لقد أوقدت لي نار وسحبت عليها فما اطفأها إلا ودك ظهري:

وفي زمن العزة والجهاد نرى قولاً عجيباً . . قال الزبير - رضي الله عنه -: «نحن أمة لا نموت إلا قتلى، فمالي أرى الفرش كثر عليها الأموات» . . فكيف لو رأى الحال اليوم!

وقد ذكر بعض العلماء: إن أكثر من ثمانين بالمائة من الصحابة - رضوان الله عليهم - قضوا نحبتهم في ميادين الجهاد والطعن والنزال،

ولهذا ارتفعت الراية وعز أهل الإسلام وانتشرت الدعوة في أصقاع الأرض.

وعن علي بن زيد: «أخبرني من رأى الزبير، وفي صدره أمثال العيون من الطعن والرّمي».

وعن عروة قال: «كان في الزبير ثلاث ضربات بالسيف: إحداهن في عاتقه، إن كنت لأدخل أصابعي فيها، ضرب ثنتين يوم بدر، وواحدة يوم اليرموك».

أنشد خبيب بن عدي أنشدوة الموت وهي قصيدة الفداء:

ولست أبالي حين أقتل مسلماً

على أي جنب كان في الله مصرعي

ولست عبد للعدو وتخشعاً

ولا جزعاً إني إلى الله مرجعي

وذاك في ذات الإله وإن يشأ

يبارك علي أشلاء شلّو ممزّع

**أخي المسلم:**

قال سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم - رحمه الله - في مراتب الجهاد:

«ثم بالنسبة إلى قتال الكفار لذلك ثلاث مراتب:

صدر الإسلام فيه الكف والصفح عن المشركين..

ثم انتقل إلى حال آخر، وهو الإذن في قتال من قاتل، لقوله: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا﴾ [الحج: ٩٣].

ثم بعد ذلك الأذان والأمر بقتال المشركين، كما قال: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥].



وهي آية السيف، وهذا الحديث<sup>(١)</sup> مثل الآية، فإنه كما شرع أن يقاتلوا دفعاً عن النفس، فإنه في الآخر أذن في القتال وأمر حتى يدخلوا في الإسلام».

ثم - قال رحمه الله - : «ثم المعروف أن المشركين يقاتلون لأجل شركهم، لا لأجل عدوانهم من أدلته حديث: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله...»<sup>(٢)</sup>.

ولم يقل: نقاتل من قاتلنا، ولا من نخشى شره.

﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [التوبة: ٢٩] دل على أن قتالهم بالوصف: ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾<sup>(٣)</sup> هذا هو العلة.

﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥] يفيد أنهم يقاتلون لأجل شركهم؛ فإن الاسم إذا كان بصيغة الوصف دل على اعتبار الوصف كقولك: أعط الفقير درهماً.

«قاتلوا من كفر بالله»<sup>(٣)</sup> هذا من البرهان على أن الكفرة يقاتلون لأجل كفرهم. والرسول أفهم الخلق، فلو كانوا لا يقاتلون إلا لأجل دفع شرهم لقال: إن قاتلوكم.

والله سبحانه لم يأمره أولاً بالجهاد، ثم أمر بذلك بعد.

(١) «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا...».

(٢) متفق عليه وأخرجه أصحاب السنن.

(٣) وهو حديث سلمان بن بريدة عن أبيه، وقد أخرجه الإمام أحمد ومسلم وابن ماجه والترمذي وصححه.

«أغزوا في سبيل الله»<sup>(١)</sup>، و«جاهدوا المشركين بقلوبكم، وأيديكم، وألسنتكم»<sup>(٢)</sup> في هذا الجهاد بأمرين، أو بثلاثة أمور عندما يكون بإمكانه؛ فإن الحديث يدل على أنهم يجاهدون بها كلها إذا أمكن، وتقدم أن ذلك فرض كفاية.

الحجة والبيان هذه حصة أهل العلم: كشف الشبهات، والذب بالقلم واللسان عن الدين، ومما يدل على ذلك قول النبي ﷺ لحسان: «اهْجُؤْهُمْ...»<sup>(٣)</sup> فالهجاء عندما يحتاج إليه، وبيان الحق عندما يوجد شبهة: كله جهاد.

ولا تجد في كتب أهل الدعوة<sup>(٤)</sup> ما يدل على أنهم يقاتلون لدفع شرهم، بل لو سألت صاحب فطرة لأنبأك أنهم يقاتلون لكفرهم. وهذه مسألة فروعية وبعض الإخوان يقول: وإن كانت فروعية فالقول بأنهم يقاتلون لأجل صيالهم كأنه يبطل مصارمتهم. وقال - رحمه الله - : «ونعرف شيئاً واحداً، وهو: أن العلماء متفقون على وجوب قتالهم، لكن الذي أوجب الله: هل هو لأجل هذا، أو لا. وكثير لا يدره».

الجمع بين القولين: في التعليل بدفع شرهم، ولأجل كفرهم. مع أن هذه المسألة لا متعلق لأحد فيها: هم في كل زمان دائبون في ذلك، فكيف مثل هذه الأزمان، يتركون إلى متى؟ وفي الحقيقة هم لا

(١) وهو حديث بريدة السابق.

(٢) رواه أحمد وأبو داود والنسائي.

(٣) وجبريل معك «اللهم أيده بروح القدس».

(٤) يريد: دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتلاميذه وتلاميذهم.

يزال شرهم، هم إذا جاءت مسألة الدين فهم جميعاً على سلبها من المسلمين، ويريدون أن يمنعوا الدين عن المسلمين، ويبقوا هكذا: يستعمرونهم في مصالحهم. وقتالهم للمسلمين في الوقت الحاضر، بالراديوهات، وبالمجلات، وبالمدارس، وبغير ذلك. وفي الحقيقة أنه من أعين المتعين قتالهم في الوقت الحاضر لو تيسر»<sup>(١)</sup>.

### أخي القارئ:

بينما الناس يأخذون أعطياتهم بين يدي عمر - رضي الله عنه - إذ رفع رأسه فنظر إلى رجل في وجهه ضربة: فسأله: فأخبره أنه أصابته في غزاة كان فيها فقال: عدوا له ألفاً فأعطى الرجل ألف درهم، ثم حول المال ساعة ثم قال: عدوا له ألفاً فاستحى الرجل من كثرة ما يعطيه فخرج، فسأل عنه، فقيل له: إنا رأينا أنه استحى من كثرة ما أعطي فخرج، فقال عمر: «أما والله لو أنه مكث ما زلت أعطيه ما بقي من المال درهم رجل ضرب ضربة في سبيل الله حفرت وجهه»<sup>(٢)</sup>.

قال رسول الله ﷺ: «إنَّ في الجنة مائة درجة أعدّها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدّرجتين كما بين السّماء والأرض» [رواه البخاري].

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «من آمن بالله وبرسوله، وأقام الصّلاة، وصام رمضان، كان حقّاً على الله أن يدخله الجنة، جاهد في سبيل الله أو جلس في أرضه التي ولد فيها».

(١) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن إبراهيم (١٩٨/٦).

(٢) حلية الأولياء (٣/٣٥٥).

فقالوا: يا رسول الله، أفلا نبشّر الناس؟!

قال: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مائة درجة أعدّها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتهم الله فاسألوا الفردوس، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة، أراه قال: وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة» [رواه البخاري].

«أو جلس في بيته» فيه تأنيس لمن حرم الجهاد وأنه ليس محروماً من الأجر، بل له من الإيمان والتزام الفرائض ما يوصله إلى الجنة وإن قصر عن درجة المجاهدين.

واستنتج ابن حجر من ظاهر الحديث أن المراد: لا تبشّر النَّاسَ بما ذكرته من دخول الجنة لمن آمن وعمل الأعمال المفروضة عليه فيقفوا عند ذلك ولا يتجاوزوه إلى ما هو أفضل منه من الدرجات التي تحصل بالجهاد...

و«الأوسط» الأعدل.

وفي الحديث إشارة إلى أن درجة المجاهد قد ينالها غير المجاهد، إمّا بالنّية الخالصة، أو بما يوازيه من الأعمال الصّالحة، لأنّه ﷺ أمر الجميع بالدّعاء بالفردوس بعد أن أعلمهم أنّه أعدّ للمجاهدين... (١).

دَبَّيْتُ لِلْمَجْدِ وَالسَّاعُونَ قَدْ بَلَّغُوا

جَهْدَ النُّفُوسِ وَأَلْقَوْا دُونَهُ الْأَزْرا

وَكابَدُوا الْمَجْدَ حَتَّى مَلَّ أَكْثَرُهُمْ

وَعَانَقَ مَنْ أَوْفَى وَمَنْ صَبَرا

لا تحسب المجد تمرًا أنت أكله  
لن تبلغ المجد حتى تلعق الصِّبر<sup>(١)</sup>

عن ابن عمر قال : وجدنا فيما أقبل من بدن جعفر بن أبي طالب ما بين منكيه تسعين ضربة ما بين طعنه برمح وضربه بسيف .

فتى الحرب عضت به الحرب عضها  
إن شمرت عن ساقها الحرب شمرًا

### أخي المسلم :

نصر الله قريب إذا تحققت شروطه : ﴿ إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ ﴾ [محمد : ٤٧] ، ولهذا كان السلف - رحمهم الله - يتوبون إلى الله - عز وجل - خاصة عند ملاقات العدو واقتراب الواقعة !

كان الفضيل بن عياض يقول للمجاهدين إذا أرادوا أن يخرجوا للجهاد «عليكم بالتوبة فإنها ترد عنكم ما لا ترده السيوف» .

وكان أبو الدرداء - رضي الله عنه - يقول : «اعمل عملاً صالحاً قبل الغزو فإنما تُقاتلون الناس بأعمالكم» .

وقال مسلمة بن عبد الملك أمير السرايا : «برجاء بن حيوة وبأمثاله نُنصر»<sup>(٢)</sup> .

وقال الأصمعي : لما صاف قتيبة بن مسلم الترك ، وهاله أمرهم ، سأل عن محمد بن واسع ف قيل : هو ذاك في الميمنة جامع على قوسه ، يشير

(١) الأمالي لأبي علي النخعي (١/ ١١٣) .

(٢) السير (٤/ -) .

بأصبعه نحو السماء، قال: تلك الأصبع أحب إليّ من مائة ألف سيف شهير وشاب طير<sup>(١)</sup>.

وكانوا - رحمهم الله - يسارعون إلى الجهاد وإعلاء كلمة الله ورفع راية الدّين وإذلال الكفّار والمشرّكين.

أفنوا أعمارهم في الجهاد ومزقوا أجسادهم في القتال، بعضهم أقام عمره في الجهاد وبعضهم ما عاد من غزو إلا أنشأ غزوة أخرى، وبعضهم تعد له الغزوات كما يعد لغيره الحج.

غزا أبو عامر حاجب الممالك الأندلسية في مدته نيّفاً وخمسين غزوة ولقد جمع من غبار غزواته ما عملت منه لبنه، والحدث خده<sup>(٢)</sup>.

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع، ولا يجتمع على عبد غبار في سبيل الله ودخان جهنم» [رواه الترمذي، وقال حديث حسن صحيح].

عن أبي عبيد عبد الرحمن بن جبر، أن رسول الله ﷺ قال: «ما اغبرّت قدما عبد في سبيل الله فتمسّه النار» [رواه البخاري].

قال الحافظ ابن حجر: فإذا كان مجرد مس الغبار للقدم يحرم عليها النار، فكيف بمن سعى وبذل جهده واستتفد وسعه<sup>(٣)</sup>.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فهذا في الغبار الذي يضيب

(١) السير (٦/١٢١).

(٢) السير (٦/١٧).

(٣) فتح الباري (٦/٣٠).

الوجه والرجل : فكيف بما هو أشق منه كالثلج ، والبرد ، والوحل»<sup>(١)</sup> !  
 وذكر أنَّ صلاح الدِّين الأيوبي لم يؤد حجة الإسلام وشغله جهاد  
 الصليبيين عن الحجِّ ، ولم يؤاخذه أو يعتب عليه ؛ لأنَّ جنس أعمال الجهاد  
 أفضل من جنس أعمال الحج كما يقول ابن تيمية فالأعمال درجات .  
 وكان هارون الرشيد يحج عاماً ويغزو عاماً ولهذا قال الشاعر في حقه :  
 فمن يطلب لقاءك أو يردّه  
 فبالحرمين أو أقصى الثغور<sup>(٢)</sup>

### أخي المسلم :

انظر إلى ما يتكبده المجاهدون وما يلاقيه الرجال من شدة الأهوال  
 وقرع النبال يصورها بشر بن ربيعة في معركة القادسية :  
 تذكر هداك الله وقع سيفونا  
 بباب قديس والمكر ضرير  
 عشية وذ القوم لو أن بعضهم  
 يعار جناحي طائر فيطير  
 إذا برزت منهم إلينا كتيبة  
 أتونا بأخرى كالجبال تمور  
 فضاربتهم حتى تفرق جمعهم  
 وطاعنت إنسي بالطعان مهير<sup>(٣)</sup>

(١) مجموع الفتاوى (٤١٨/٢٨) .

(٢) شذرات الذهب (١/٣٣٤) .

(٣) السير (١/٣٦٥) .

قال عبدالله بن عبدالله بن عمر: غزا المسلمون كابل وعليهم عبدالرحمن بن سمرة، فانتهوا إلى ثلثة لا يقوم عليها إلا رجل واحد فقال: انظروا من يقوم عليها، فقالوا: عمر بن عبد الله بن عبيد الله بن معمر، فدعوه، فقالوا: قم عليها، فقام عليها ثم إنه أصابته رمية فسقط، فحمل إلى أهله فقالوا: من يقوم عليها فقالوا: عباد بن الحصين فدعوه فقام عليها فما رأينا شله قط، ما زالوا يقابلونه ويرمونهم ويقاتلهم ويكبر حتى إذا كان في بعض الليل خمد صوته فلم نسيه، قلنا: إن الله قتل عباد، فلما أصبحنا وجدنا، قد شد عليهم، واقتحم الثلثة فولوا وكانت الهزيمة، وإذا قد صحل حلقة من الصباح وانقطع صوته<sup>(١)</sup>.

وحين قدم الزبير على عمرو وجده محاصراً حصن (بابلون) فلم يلبث الزبير أن ركب حصانه وطاف بالخندق المحيط بالحصن، ثم فرّق الرجال حول الخندق، وطال الحصار حتى بلغت مدته سبعة أشهر، فقبل للزبير: «إن بها الطاعون» فقال: «إنما جئنا للطعن والطاعون»<sup>(٢)</sup>.

يا راكبين عناق الخيل ضامرةً  
كأنها في مجال السبق عقبان  
وحاملين سيوف الهند مرهفة  
كأنها في ظلام الليل نيران  
ورائعين وراء النهار فسي دعة  
لهم بأوطانهم عز وسلطان<sup>(٣)</sup>

(١) مكارم الأخلاق ص (٤٢).

(٢) طبقات ابن سعد (١٠٧/٣).

(٣) موارد الظمآن (٧١٠/٢).



عن ابن عمر قال: جمعت جعفرًا بن أبي طالب على صدري يوم مؤتة، فوجدت في مقدم جسده بضعة وأربعين من بين ضربة وطعنة<sup>(١)</sup>.  
 أولئك - رضي الله عنهم - من رضوا بالسياحة في سبيل الله، السياحة الإيمانية التي ارتضاها الله - جل وعلا - لعباده وأمرهم بها..  
 عن أبي أمامة - رضي الله عنه - أن رجلاً قال: يا رسول الله، ائذن لي في السياحة، فقال النبي ﷺ: «إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله عز وجل» [رواه أبو داود بإسناد جيد].  
 والله در الشاعر وهو يقول:

من ذا الذي رفع السيوف ليرفع  
 اسمك فوق هامات النجوم منارا  
 كنا جبالاً في الجبال وربما  
 صرنا على موج البحار بحارا  
 بمعابد الإفرنج كان أذاننا  
 قبل الكتائب يفتح الأمصارا  
 لم تنس أفريقيا ولا صحرائها  
 سجداتنا والأرض تقذف نارا  
 وكأن ظل السيف ظل حديقة  
 خضراء تنبت حولنا الأزهارا  
 أرواحنا يا رب فوق أكفنا  
 نرجو ثوابك مغنماً وجوارا

قال جبير بن نفير: لما فتحت قبرص فرق بين أهلها فبكى بعضهم إلى بعض فرأيت أبا الدرداء جالساً وحده يبكي فقلت: يا أبا الدرداء ما يبكيك في يوم أعز الله فيه الإسلام وأهله؟ فقال ويحك يا جبير ما أهون الخلق على الله - عز وجل - إذا أضاعوا أمره، بينما هي أمه قاهرة ظاهرة لهم الملك تركوا أمر الله فصاروا إلى ما ترد<sup>(١)</sup>.

قال عبد الله بن عبد الخالق: سبى الروم نساء مسلمات، فبلغ الخبر الرقة وبها هارون الرشيد أمير المؤمنين، فقبل لمنصور بن عمار: لو اتخذت مجلساً بالقرب من أمير المؤمنين فحرضت الناس على الغزو، ففعل فبينما هو يذكرهم ويحرضهم فإذا نحن بحرقه مصرورة مختومة قد طرحت إلى منصور، وإذا كتاب مضموم إلى الصرة، ففك الكتاب فقرأه فإذا فيه: إن امرأة من أهل البيوتات من العرب، بلغني ما فعل الروم بالمسلمات وسمعت تحريضك الناس على الغزو، وترغيبك في ذلك، فعمدت إلى أرم شيء من بدني وهما ذو أبتاي فقطعتهما وصررتهما في هذه الخرقه المختومة وأناشدك بالله العظيم لما جعلتها قيد فرس غار في سبيل الله فلعل الله العظيم أن ينظر إلى تلك الحال نظرة فيرحمن بها. قال: فبكى وأبكى الناس، وأمر هارون أن ينادي بالنفير، فغزا بنفسه، فأنكى فيهم وفتح الله عليهم. قال الذهبي هذه امرأة حسنة قصدها وغلطت في فعلها لأنها جهلت أن ما فعلت منهى عنه فليتنظر إلى قصدها.

**أخي المسلم:**

للجهاد أبواب كثيرة وللمشاركة في الجهاد طرق متعددة.. بالنفس

(١) الجواب الكافي ص (٨١).

والمال والجهد والرأي والكتابة والتَّحْرِيسُ . .

قال ﷺ: «إن الله يدخل بالسهم ثلاثة نفر الجنة: صانعه يحتسب في صنعته الخير، والرامي به، ومنبله، وارموا واركبوا، وأن ترموا أحب إلي من أن تركبوا، ومن ترك الرمي بعد ما علمه رغبة عنه، فإنها نعمة تركها» أو قال: «كفرها» [رواه أبو داود].

وقد أثنى الله - عز وجل - على المنفقين في سبيله - تعالى - فقال عز وجل: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ۖ ۙ دَرَجَتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۖ﴾ [النساء: ٩٥، ٩٦].

وعن زيد بن خالد - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «من جهز غازيًا في سبيل الله، فقد غزا، ومن خلف غازيًا في أهله بخير فقد غزا» [متفق عليه].

قال الإمام النووي - رحمه الله -: «يعني أنَّ الذي جهَّز غازيًا حصل له أجر بسبب الغزو، وهذا الأجر يحصل بكلَّ جهاد، وسواء قليله وكثيره، ولكلِّ خالف له في أهله بخير من قضاء حاجة لهم، وإنفاق عليهم، أو مساعدتهم في أمرهم، ويختلف قدر الثَّواب بقلة ذلك وكثرته، وفي هذا الحديث الحثُّ على الإحسان إلى من فعل مصلحة للمسلمين أو قام بأمر من مهمَّاتهم»<sup>(١)</sup>.

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (٤٠/١٣).



فلو كان يفدى بالنفوس فديته  
بنفس وهذا الظن في كل مسلم<sup>(١)</sup>

### أخي المسلم:

لا يغيب المنظر عن الأنظار فكل يوم كارثة حتى باتت من تبشير  
الصباح كل يوم . . ألا ترى المرأة المسكينة والطفل الباكي كل يوم!  
في خيمة عصفت ريح الزمان بها  
لمحت بعض بني قومي وقد سلموا  
فأسلموا لنيوب الليث ضاربه  
البرد والجوع والإذلال والألم<sup>(٢)</sup>

### أخي المسلم:

ساءلتنني في حمانا ظبية  
أتحب الشوق في عين صبية  
قلت لا أعشق طرفاً ناعساً  
وخذوداً وشفاهها قرمزية  
إنما أعشق صدرًا عامرًا  
يحمل الموت ويزهو بالمنية  
أدركت سرى وقالت ظيبي  
أنت لا تعشق غير البندقية<sup>(٣)</sup>

(١) شذرات الذهب (٥/—).

(٢) شعراء الدعوة الإسلامية العصر الحديث (١١/٤).

(٣) شعراء الدعوة الإسلامية (١٣/٤).

وقد طال المقام وصدق الشاعر في قوله :  
 السيف أصدق أنباء من الكتب  
 في حده الحد بين الجد واللعب  
 بيض الصفائح لأسود الصحائف في  
 متونها جلاء الشك والريب<sup>(١)</sup>

\*\*\*

## وعيد من ترك الجهاد

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسْكَنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤]، فهذه ثمانية شهوات تعلق صاحب الدنيا بديناه وتحببه إلى البقاء فيها فإن طغى حب الله عليها هانت عند صاحبها وقدم روحه رخيصة في سبيله فكان الله - سبحانه - المشتري والشهيد هو البائع والثلمن سلعة الله الجنة.

وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَالٌ كَثِيرٌ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْخُذْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨، ٣٩].

وقوله: ﴿اللَّهُ أَتَأْخُذْتُمْ إِلَى﴾: أي إلى نعيمها والإقامة فيها.

قال القرطبي: هذا توضيح على ترك الجهاد وعتاب على التقاعد عن المبادرة إلى الخروج، وقال ﷺ: «من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من النفاق» [رواه مسلم].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: «وأقوام ينكلون عن الأمر والنهي والقتال الذي يكون به الدين كله لله، وتكون كلمة الله هي العليا، لئلا يفتنوا، وهم قد سقطوا في الفتنة... وهذه حال كثير من المتدينين،

يتركون ما يجب عليهم من أمر ونهي وجهاد يكون به الدين كله لله؛ لئلا يفتنوا بجنس الشهوات، وهم قد وقعوا في الفتنة التي هي أعظم مما زعموا أنَّهم فرُّوا منه» انتهى ملخصاً<sup>(١)</sup>.

(١) مجموع الفتاوى (١٦٧/٢٨).



## ثمرات الشهادة في سبيل الله

الشهادة رتبة عظيمة ومنزلة عالية اختصها الله - سبحانه - لبعض عبادة ليرفع درجتهم في الجنة ويحشرهم في زمرة الأنبياء والصديقين كما قال تعالى: ﴿ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ۖ ﴾ [النساء: ٦٩] فخاصة عباد الله أربعة أصناف، والشهداء من ضمن هذه الخاصة.

وقد اختلفت الأقوال في سبب تسمية الشهيد شهيداً:

ف قيل : لأنه مشهود له بالجنة .

وقيل : الشهيد بمعنى الشاهد، أي : الحاضر في الجنة .

وقيل : سمي بذلك لأن الله وملائكته يشهدون له بالجنة .

وأياً كان من هذه الأقوال صحيحاً فإن للنفس المؤمنة تمنى الشهادة والبحث عن مظانها وقد منَّ الله - سبحانه وتعالى - على الشهداء بفضائل لا تحصى، ومآثر لا تستقصى كيف لا وهم يقدمون أرواحهم بأكفهم وهي أغلى ما يملكون طمعاً فيما عنده سبحانه، وسأذكر باختصار مع الاختصار على ما ثبت من الأدلة بعض ثمرات الجهاد في سبيل الله وكفى بثمره واحدة:

١ - الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون، أرواحهم في حواصل طير خضر: قال تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ۚ ﴾ فَرَحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩، ١٧٠]، عن مسروق قال: سألنا عبد الله عن هذه الآية: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ

اللَّهُ أَمْوَاتًا... ﴿ فقال - رضي الله عنه - : سألنا عن ذلك رسول الله ﷺ ، فقال : أرواحهم في جوف طير خضر ، لها قناديل معلقة بالعرش تسرح في الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل فاطلع عليهم ربهم اطلاعه فقال هل تشتهون شيئاً ؟ فقالوا : أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ففعل ذلك بهم ثلاث مرات ، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا يا رب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا ﴾ [رواه مسلم] .

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : «لما أصيب إخوانكم يوم أحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم وحسن مقيلهم ، قالوا : يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله بنا لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب» فأنزل الله هذه الآية : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا... ﴾ <sup>(١)</sup> .

قال القرطبي - رحمه الله تعالى - : الذي عليه المعظم من العلماء : إن حياة الشهداء محققة وأنهم أحياء في الجنة يرزقون كما أخبر - تعالى - ، ولا محالة إنهم ماتوا وإن أجسادهم في التراب وأرواحهم حية كأرواح سائر المؤمنين ، وفضلوا بالرزق في الجنة من وقت القتل حتى كأن حياة الدنيا دائمة لهم .

٢ - من ثمرات الشهادة : أنه ليس أحداً يدخل الجنة ويحب أن يخرج منها ولو أعطي ما في الدنيا جميعاً إلا الشهيد ، فإنه يتمنى أن يرده الله إلى

الدنيا ليقاتل في سبيل الله كما قتل أولاً لم يرَ من عظيم كرامة الشهداء وفضلهم عند الله - تعالى - قال ﷺ: «ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وإن له ما على الأرض من شيء إلا الشهيد فإنه يتمنى أن يرجع إلى الدنيا ليقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة» [متفق عليه].

وقال ﷺ: «والذي نفس محمد بيده لوددت أن أغزو في سبيل الله وأقتل، ثم أغزو فأقتل، ثم أغزو فأقتل» [متفق عليه]

فانظر أخي أشرف من مشى على التراب المغفور له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر سيد ولد آدم يقسم بالله أنه يرغب في الشهادة فما بال أناس غرقوا في الذنوب والملذات قد نكصوا عنها ولم يلقوا إليها بالاً نعوذ بالله من الخذلان.

٣ - الشهادة تكفر ما على العبد من الذنوب التي بينه وبين الله : قال ﷺ: «يغفر للشهيد كل شيء إلا الدين»، وفي رواية: «القتل في سبيل الله يكفر كل شيء إلا الدين» [رواه مسلم].

قال القرطبي في تفسيره: «الدين الذي يحبسه صاحبه عن الجنة - والله أعلم - هو الذي قد ترك له وفاء، ولم يوص به؛ أو قدر على الأداء فلم يؤده ومات ولم يوفه، وأما من أدين في حق واجب كفاقة وعسر وليس في سفه وإسراف ولم يترك وفاء فإن الله لا يحبسه عن الجنة - إن شاء الله شهيداً - كان أو غيره» انتهى كلامه.

٤ - الشهادة في سبيل الله متاجرة رابحة مع الله : ثمنها الجنة وهذا وعد من الله - سبحانه وتعالى - ومن أصدق من الله قيلاً، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَلُهُمْ﴾ (١) سَيِّدِيهِمْ وَيُصْلِحْ  
بَالَهُمْ (٢) وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ (٣) ﴿[محمد: ٤ - ٦].

٥ - الشهيد لا يجد من ألم القتل في سبيل الله إلا كما يجد أحدنا من  
ألم القرصة: قال ﷺ: «ما يجد الشهيد من القتل إلا كما يجد أحدكم من  
مس القرصة» (١) (٢).

يقول مؤلف كتاب [تفريج الكرب]: «وكنت أعجب قبل - عندما - أقرأ  
عن بعض الصحابة - رضوان الله عليهم جميعاً - وقد وُجد في جسده أكثر  
من ثمانين طعنة رمح أو ضربة سيف وكنت أقول: كيف يتحمل هذا الألم  
الشديد وأحدنا لا يتحمل وخزة الإبرة الصغيرة؟ وبعد قرائتي لهذا  
الحديث زال هذا العجب فسبحان من جعل النار بردًا وسلامًا على  
إبراهيم» انتهى كلامه.

٦ - الشهيد لا يفضلُه النبيون إلا بدرجة النبوة: قال ﷺ: «القتلى ثلاثة  
رجال» ذكر أولهم، فقال ﷺ: «رجل مؤمن جاهد نفسه وماله في سبيل الله  
حتى إذا ألقى العدو قاتله حتى يقتل، ذلك الشهيد الممتحن في خيمة الله  
تحت عرشه لا يفضلُه النبيون إلا بدرجة النبوة» (٣).

٧ - أكرم الله الشهداء بأن لا تأكل الأرض أجسادهم: فعن جابر بن  
عبدالله - رضي الله عنه - قال: لما أراد معاوية أن يجري الكظامة «شبهية  
بالقناة» قال: من كان له قتيل فليأت قتيله - يعني قتل أحد - قال

(١) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) والقرصة: هي شد الجلد والضغط عليه بين إصبعين.

(٣) رواه أحمد، والبيهقي.

فأخرجناهم رطابًا يثنون قال: فأصابَت المسحاة أصبع رجل منه فانفطرت دمًا»<sup>(١)</sup>.

وأيضًا قصة جابر مع أبيه الذي استشهد في أحد فدخل السيل على قبره في عهد معاوية بعد ستة وأربعون سنة من موته قال جابر: فكأنه نائم وما تغير من حاله شيء لا قليل ولا كثير<sup>(٢)</sup>.

٨ - ولعظم منزلة الشهيد فإن الله كلف الملائكة بإظلاله حتى يُرفع: لحديث جابر بن عبد الله أنه قال جاءني أبي يوم أحد قد مثل به حتى وضع بين يدي رسول الله ﷺ وقد سجد ثوبًا فذهبت أريد أن أكشف عنه فنهاني قومي ثم ذهبت أكشف عنه فنهاني قومي فأمر رسول الله ﷺ فرفع فسمع صوت صائحة، فقال: «من هذه»، فقالوا: ابنة عمرو، أو أخت عمرو، قال: «فلم تبكي؟»، أو قال: «لا تبكي فما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفع» [متفق عليه].

٩ - ومن ثمرات الشهادة أن الله يكرم الشهيد بأطيب الريح وهي رائحة المسلك: قال ﷺ: «والذي نفسي بيده لا يكلم أحد في سبيل الله - والله أعلم بما يكلم في سبيله - إلا جاء يوم القيامة واللون لون الدم والريح ريح المسك» [متفق عليه].

وقد تُشَمُّ هذه الرائحة الطيبة من الشهيد حال موته في الدنيا ولذلك شواهد لا يتسع المقام لذكرها، وعن أنس - رضي الله عنه - أن رجلاً أسود أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إني رجل أسود ممتن الريح

(١) رواه ابن المبارك وعبد الرزاق.

(٢) ذكره الواقدي في المغازي.

قبيح الوجه لا مال لي فإن قاتلت هؤلاء حتى أقتل فأين أنا؟ قال ﷺ: «في الجنة» فقاتل حتى قُتل فأتاه ﷺ عليه فقال: «قد بيّض الله وجهك، وطيب ريحك، وأكثر مالك»، وقال لهذا ولغيره: «لقد رأيت زوجته من الحور العين نازعته جبة له من صوف تدخل بينه وبين جبته»<sup>(١)</sup>.

١٠ - من مات شهيدًا أجرى عليه عمله ورزقه حتى يبعث: لقوله ﷺ: «رباط يوم خير من صيام شهر وقيامه وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمل وأجرى عليه رزقه وأمن الفتان» [رواه مسلم].

وقال ﷺ: «كل ميت يختم على عمله الذي مات عليه إلا المرباط في سبيل الله - عز وجل - فإنه ينمو له عمله إلى يوم القيامة ويأمن من فتنة القبر»<sup>(٢)</sup>.

فالمرباط ليلة كصائم قائم لمدة شهر وإذا مات مرباطًا فإن له من الأجر كمن بقي مرباطًا إلى يوم القيامة وقال ﷺ: «رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها» [متفق عليه].

١١ - شهادة النبي ﷺ لحسن وجمال دار الشهداء في الجنة: قال ﷺ: «رأيت الليلة رجلين أتياني فصعدا بي الشجرة وأدخلاني دارًا هي أحسن وأفضل، لم أرقط أحسن منها قال لي: أما هذه فدار الشهداء» [رواه البخاري].

١٢ - يغفر الله للشهيد في أول دفعة من دمه: كما قال ﷺ: «لشاهد عند الله ست خصال وذكر منها يغفر له في أول دفعة من دمه أو يرى مقعدة من الجنة»<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه الحاكم، وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

(٢) رواه الترمذي، وقال: حسن صحيح.

(٣) رواه الترمذي، وقال الألباني في صحيح الجامع: صحيح.

١٣ - ويجار الشهيد من عذاب القبر ويأمن من الفزع الأكبر: لقوله ﷺ: «ويجار من عذاب القبر ويأمن من الفزع الأكبر».

١٤ - يكرمه الله - سبحانه وتعالى - على رؤوس الخلائق يوم القيامة بتاج الوقار: قال ﷺ: «ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها»<sup>(١)</sup>.

١٥ - يزوج الشهيد باثنين وسبعين زوجة من الحور العين: قال ﷺ: «يزوج اثنتان وسبعين زوجة من الحور العين»<sup>(٢)</sup>.

١٦ - وتعد كرامة الشهادة الشخص نفسه فيشفع في سبعين من أقاربه: كما قال ﷺ: «للشاهد عند الله ست خصال وذكر منها: ويشفع في سبعين من أقاربه»<sup>(٣)</sup>.

### أخي المسلم:

عن سهل بن حنيف - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال: «من سأل الله - تعالى - الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه» [رواه مسلم].

يعني أنه إذا سأل الشهادة بصدق أعطي من ثواب الشهداء وإن كان على فراشه، وفيه استحباب سؤال الشهادة، واستحباب نيّة الخير<sup>(٤)</sup>. وعن أنس - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «من طلب

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي (١٣/٥٥).

الشهادة صادقاً أعطيها ولو لم تصبه» [رواه مسلم].

أسأل الله - عز وجل - أن يجعلنا من الشهداء في سبيله مقبلين غير مدبرين وأن يرزقنا الصبر والثبات إنّه ولي ذلك والقادر عليه.

\*\*\*



## فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة . . . . .	٥
مدخل . . . . .	٧
أكل الصديقين . . . . .	١٠
الذكر والشكر . . . . .	١١
وكلوا واشربوا . . . . .	١٣
الإسراف والتبذير . . . . .	١٤
فضول الطعام . . . . .	١٦
ما شبع ستة عشر عامًا . . . . .	١٩
لا يفرحون بشيء . . . . .	٢١
النعم ثلاثة . . . . .	٢٤
الدنيا أعيان موجودة . . . . .	٢٧
أعظم المهلكات . . . . .	٢٩
الدنيا أجل حاضر . . . . .	٣١
مطية لحسن العبادة . . . . .	٣٥
العيش عيش واحد . . . . .	٣٦
من سنن المرسلين . . . . .	٣٨
ما أبالي ما فاتني . . . . .	٣٩

الموضوع	الصفحة
فوائد الجوع	٤١
رقة القلب	٥٠
الحمية رأس الدواء	٥١
ما سبب آجالكم؟	٥٣
تفصيل دقيق لابن تيمية	٥٤
بيت النبوة	٥٨
لا تستوحش لهم الغبراء	
المقدمة	٦٣
مدخل	٦٥
الخوف من الله	٦٦
تعريف الورع	٦٧
ورع أبي بكر الصديق	٦٨
الورع يطهر دنس القلب	٧٠
أفضل العبادة	٧١
من أكل الحرام عصت جوارحه	٧٣
تمام التقوى	٧٤
ما أشد الورع	٧٥
إن مت اليوم	٧٧
أمر الديننا كلها عجب	٧٨
إخوة يوسف	٧٩
مسك من البحرين	٨٣

## الصفحة

## الموضوع

٨٦	أيسر الناس حساباً
٨٧	قصة من حائط
٨٨	شييتني هود
٨٩	المسارعة إلى الفتوى
٩١	بيت شعر
٩٢	ومن الورع
٩٥	من دق الصراط عليه في الدنيا
٩٧	استفت قلبك
٩٩	سأل رجل عن المكاسب
١٠١	من لم يكن فيه ثلاث
١٠٣	علامات الورع

## من تواضع لله رفعه

١٠٩	المقدمة
١١١	مدخل
١١٢	من منازل إياك نعبد
١١٤	من سيرته ﷺ
١١٦	ما هو التواضع؟
١١٨	رأس التواضع ثلاث
١١٩	العجب
١٢٠	الفرق بين التواضع والمهانة
١٢٥	أين نحن من هؤلاء؟

الصفحة	الموضوع
١٢٧	التواضع نوعان
١٢٧	ابن تيمية المتواضع
١٢٨	أول ذنب عصي الله به
١٢٩	وصايا
١٣٢	التكبر على الخالق
١٣٥	مواقف عظيمة
١٣٩	الكبر من أخلاق الكفار
١٤٠	من أنواع الكبر
١٤٤	من خصال المتكبرين
١٤٦	أصحاب المنامات
١٤٩	العجب يدعو إلى التكبر
١٥١	مواقف جميلة
١٥٣	الحال مع الفقراء
الرزق أبوابه ومفاتيحه	
١٦١	المقدمة
١٦٣	مدخل
١٦٩	أسباب الرزق
١٨٩	كثرة المال ونتاجه
١٩٣	فوائد المال
٢٠٧	ترك التجارة للعباد
٢١٣	بيان علاج الحرص والطمع والدواء الذي تكتسب به صفة القناعة

## الصفحة

## الموضوع

## أنهلك وفيينا الصالحون؟!

٢١٩	المقدمة
٢٢١	المدخل
٢٢٩	بواعث الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
٢٣٥	بعض الثمرات
٢٣٩	خطوات الإنكار
٢٤١	حالات الإعفاء من الإنكار
٢٥٣	فضولي

## انفروا خفافاً وثقالاً

٢٦١	المقدمة
٢٦٢	مدخل
٣٠٥	وعيد من ترك الجهاد
٣٠٧	ثمرات الشهادة في سبيل الله
٣١٥	الفهرس